



علم الانسان
(الانثروبولوجيا الثقافية)





منشورات جامعة دمشق

كلية التربية

علم الإنسان (الأنثروبولوجيا الثقافية)

الدكتورة

زينب زيود

الأستاذ في قسم أصول التربية

١٤٣٩-١٤٤٠ هـ
٢٠١٧-٢٠١٨ م

جامعة دمشق



الفهرس

الصفحة

الموضوع :

مقدمة.....	١٣ _
الباب الأول.....	- ١٩ _
الفصل الأول : مفهوم الأنثروبولوجيا وأطوارها.....	- ١٩ _
مقدمة.....	- ٢١ _
المفهوم الاصطلاحي للأنثروبولوجيا.....	- ٢٢ _
مجالات الأنثروبولوجيا حسب تصور الأنثروبولوجيين الأمريكيين ..	- ٢٣ _
مجالات الأنثروبولوجيا حسب تصور الأنثروبولوجيين الأوروبيين ...	- ٢٦ _
١- مفهوم الأنثروبولوجيا في بريطانيا.....	- ٢٧ _
٢- مفهوم الأنثروبولوجيا في ألمانيا.....	- ٢٨ _
٣- مفهوم الأنثروبولوجيا في روسيا.....	- ٢٨ _
الأنثروبولوجيا العربية المعاصرة.....	- ٣٠ _
مفهوم الأنثروبولوجيا في الوطن العربي.....	- ٣٢ _
واقع الأنثروبولوجيا العربية.....	- ٣٣ _
أهداف الأنثروبولوجيا.....	- ٣٩ _
مجالات علم الأنثروبولوجيا.....	- ٤٠ _
مراجع الفصل الأول.....	- ٤٣ _
الفصل الثاني : أطوار الأنثروبولوجيا.....	- ٤٥ _
مقدمة.....	- ٤٧ _
أطوار علم الأنثروبولوجيا.....	- ٤٩ _

- ١- مرحلة الدراسات الوصفية للرحالة..... - ٤٩ -
- ٢- مرحلة الدراسات الجيولوجية..... - ٥٢ -
- ٣- مرحلة دراسات الشعوب البدائية..... - ٥٣ -
- ٤- مرحلة الحملات الاستعمارية..... - ٥٤ -
- ٥- انتقال الأنثروبولوجيا من دراسة المجتمعات البدائية إلى دراسة المجتمعات المعاصرة..... - ٥٧ -
- مراجع الفصل الثاني..... - ٦١ -
- الفصل الثالث : علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى..... - ٦٣ -
- مقدمة..... - ٦٥ -
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء / البيولوجيا..... - ٦٨ -
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع..... - ٧٠ -
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة..... - ٧٣ -
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس..... - ٧٧ -
- الأنثروبولوجيا وعلم اللغة..... - ٧٩ -
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا..... - ٨٢ -
- علاقة الفولكلور بالأنثروبولوجيا..... - ٨٣ -
- مراجع الفصل الثالث..... - ٨٧ -
- الفصل الرابع : نظريات نشأة الحياة وأصل الإنسان..... - ٨٩ -
- مقدمة..... - ٩١ -
- أصل الإنسان في ميثولوجيا الشعوب..... - ٩١ -
- قصص التكوين..... - ٩٦ -
- ١- قصة التكوين التوراتية..... - ٩٦ -

٢- قصة التكوين عند البابليين	١٠٢ -
٣- قصة التكوين عند السومريين	١٠٥ -
قصة التكوين عند الفراعنة	١٠٧ -
نظريات نشأة الحياة على الأرض	١٠٨ -
أصول البشرية	١١١ -
مراحل أطوار النوع البشري	١١٢ -
الأوسترالوبيثكوس	١١٢ -
الإنسان العاقل	١١٤ -
مراجع الفصل الرابع	١٢١ -
الباب الثاني : ميادين الأنثروبولوجيا	١٢٣ -
الفصل الأول : الأنثروبولوجيا الطبيعية	١٢٥ -
المقدمة	١٢٧ -
فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية	١٢٧ -
السلالات البشرية	١٣٤ -
١- السلالة القوقازية	١٣٥ -
٢- السلالة الزنجية	١٣٧ -
٣- السلالة المغولية	١٣٧ -
٤- السلالة الأسترالية	١٣٩ -
- قضية التمايز العرقي	١٤٠ -
مراجع الفصل الأول	١٤٥ -
الفصل الثاني : الأنثروبولوجيا النفسية	١٤٧ -

مقدمة.....	- ١٤٩ -
نشأة الأنثروبولوجيا النفسية وتطورها	- ١٥٠ -
موضوع الأنثروبولوجيا النفسية.....	- ١٥٥ -
١- أثر الثقافة في الشخصية.....	- ١٥٦ -
٢- عوامل تأثير الثقافة في الشخصية	- ١٦٣ -
أثر الشخصية في الثقافة	- ١٧٠ -
١-دراسة استجابة الجماعات للتجديد بين القبول والرفض	- ١٧٠ -
٢-دراسة أنواع الضغوط التي قد يستخدمها أعضاء الثقافة المانحة على أعضاء الثقافة المستقبلية لقبول تجديد ما أو رفضه	- ١٧٤ -
٣-دراسة العمليات الإحيائية.....	- ١٧٧ -
مراجع الفصل الثاني	- ١٨٣ -
الفصل الثالث : الأنثروبولوجيا الثقافية والحضارية.....	- ١٨٥ -
مقدمة.....	- ١٨٧ -
مفهوم الثقافة وخصائصها	- ١٨٧ -
علاقة الثقافة بالأنثروبولوجيا	- ١٩١ -
فروع الانثروبولوجيا الثقافية.....	- ١٩٢ -
الانثروبولوجيا الحضارية	- ١٩٦ -
مفهوم الحضارة.....	- ١٩٧ -
الخصائص الأساسية للحضارة	- ٢٠٢ -
المضمون الذاتي والموضوعي للحضارة	- ٢٠٨ -
مجالات تخصص الأنثروبولوجيا الحضارية	- ٢٠٩ -
١- الحضارة والفعل الاجتماعي.....	- ٢٠٩ -

٢- الحضارة والثقافة.....	٢١١ -
٣- الحضارة والمدنية.....	٢١٢ -
٤- الحضارة والمجتمع.....	٢١٥ -
٥- الرموز الحضارية.....	٢١٨ -
٦- الأنوية الحضارية.....	٢١٨ -
مراجع الفصل الثالث.....	٢٢١ -
الفصل الرابع : الأنثروبولوجيا الاجتماعية.....	٢٢٣ -
مقدمة.....	٢٢٥ -
مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية.....	٢٢٥ -
أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية.....	٢٢٦ -
مجالات تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية.....	٢٢٨ -
١- البناء الاجتماعي.....	٢٢٨ -
٢- الأسرة والقرابة.....	٢٣٢ -
٣- المفاضلة الاجتماعية.....	٢٣٣ -
مراجع الفصل الرابع.....	٢٤٣ -
الفصل الخامس : الأنثروبولوجيا الاقتصادية.....	٢٤٥ -
مقدمة.....	٢٤٧ -
علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاقتصاد.....	٢٤٨ -
النظم الاقتصادية.....	٢٥٣ -
موضوعات النظم الاقتصادية.....	٢٥٤ -
طبيعة النظم الاقتصادية.....	٢٥٦ -
١- نظام جمع الطعام.....	٢٥٧ -

٢- نظام الصيد	٢٥٧ -
٣- نظام البستنة	٢٥٨ -
٤- نظام الرعي	٢٥٩ -
مراجع الفصل الخامس	٢٦٣ -
الفصل السادس : الأنثروبولوجيا السياسية	٢٦٥ -
مقدمة	٢٦٧ -
دلالة الأنثروبولوجيا السياسية	٢٦٨ -
تأسيس الأنثروبولوجيا السياسية	٢٧١ -
المفهوم الحديث للأنثروبولوجيا السياسية	٢٧٥ -
مجالات تخصص الأنثروبولوجيا السياسية	٢٧٧ -
١- القرابة والسلطة السياسية	٢٧٧ -
٢- المقدس والسلطة السياسية	٢٧٩ -
٣- التدرج الاجتماعي والسلطة	٢٨٣ -
مناهج الأنثروبولوجيا السياسية وتياراتها	٢٨٥ -
١- التكوينية	٢٨٦ -
٢- الوظيفية	٢٨٦ -
٣- التصنيفية أو النموذجية	٢٨٧ -
٤- الاصطلاحية	٢٨٧ -
٥- البنيوية	٢٨٨ -
٦- الدينامية	٢٨٩ -
٧- مجتمع اللادولة	٢٨٩ -
مراجع الفصل السادس	٣٩٣ -

بعض المصطلحات العلمية المستخدمة في الكتاب - ٢٩٥ -

مراجع الكتاب - ٢٩٧ -

(ملحق) - ٣٠٧ -

لمحة عن أسماء أعلام الأنثروبولوجيا الواردة في الكتاب





مقدمة

الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً، إنها المعرفة المنظمة عن الإنسان، هو الدراسة العلمية للإنسان في كل زمان ومكان، ولا يتقيد بفترات الزمن أو بحواجز المكان، ولكنه يتقيد بموضوع واحد لا يخرج عنه وهو الإنسان. وتهدف الأنثروبولوجيا إلى دراسة الحياة البشرية والحضارية دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان. إضافة إلى استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية/ الحضارية التي تتم دراستها.

يمكننا أن نعتبر الأنثروبولوجيا علماً حديثاً يقرب عمره من قرن وربع القرن تقريباً، ولأن الأنثروبولوجيا تعنى بدراسة النظريات التي تتعلق بطبيعة المجتمعات البشرية، فإننا نستطيع أن نعدّها، من جهة أخرى، من أقدم العلوم. إذ هي بدأت مع أقدم تأملات الإنسان حول تلك الموضوعات. مع مطلع القرن العشرين بدأت تتضح ملامح الدراسات الأنثروبولوجية الفيزيائية والثقافية على حد سواء. فقد أصبحت الأنثروبولوجيا تخصصاً أكاديمياً معترفاً به.

إن الأنثروبولوجيا علم قائم بذاته خاص بدراسة التاريخ الطبيعي لمجموعة أوجه النشاط البشري وقد مرّ بعدد من المراحل، فمنذ عهد الاستكشافات الكبرى بالقرن الخامس عشر، تراكمت كميات من

المعلومات الأنثروبولوجيا، بالإضافة إلى ما قدمته الجيولوجيا العلم الأنثروبولوجيا، واهتمام علماء الأنثروبولوجيا بدراسة الشعوب البدائية.

إن تاريخ الأنثروبولوجيا هو غير منفصل عن تاريخ الاستعمار (والتبشير) الأوروبي، ولا يَخرج المستعمرون أبداً من اعترافهم بأنّ دراساتهم الأنثروبولوجيا للشعوب هو لتأمين قاعدة للإرشادات السياسية والسيطرة الإدارية لهم على تلك الشعوب، فهم يرون ذلك وضعاً شرعياً وضرورياً وإنسانياً يسوغه تفوق المجتمع الغربي في مجال العلوم الاجتماعية، والحجة هي نقل هذه الشعوب إلى مرحلة المدنية والتقدم

وفي حين استطاع الأنثروبولوجيون الغربيون التنبؤ ببعض الأحداث في مجتمعاتهم عجز الباحثون في الوطن العربي عن التنبؤ بالصراعات التي تعصف بعالمنا، وإن كانت المجتمعات في حال تغير دائم، فعلينا اختيار التغير الذي نريده نحو الأفضل، مما يحتاج إلى دراسات معمقة لتقافتنا العربية، فلا يمكن لنا أن نتقدم دون القيام بدراسات أنثروبولوجيا نقدية توفر معلومات دقيقة، وتكون على مستوى الطموح الذي يسهم في حل المشكلات الخطيرة التي يواجهها المجتمع العربي.

تتناول الأنثروبولوجيا بالبحث أصل الإنسان في ميثولوجيا الشعوب، الإنسان كان دائماً ولا يزال موضع التأمل والدراسة من قبل الكثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حدّ سواء، فقد عاشت البشرية عشرات القرون وهي تعتمد في المعارف الخاصة بأصل الحياة على

قصص تقليدية، لكل أمة صيغتها الخاصة بها، وهذه القصص قد عاقت التفكير العلمي بشأن البحث عن أصل الحياة. وتتخذ أساطير الخلق والتكوين مكان المركز في أي منظومة ميثولوجية. فهي التي تتحدث عن أصل الكون. وكيف ظهر العالم إلى الوجود، وعن أصل الآلهة وأنسابها ومراتبها وعلاقتها بعضها ببعض. إن وجود الإنسان في دنياه الغربية جعله يتساءل عن سر بدء الحياة على هذه الأرض، وفي هذا الصدد ظهرت النظريات المتنوعة والمختلفة عن نشأة الحياة على الأرض.

وتؤلف الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى - ولا سيما العلوم الإنسانية - منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول كائن موضوع الدراسة، وهو الإنسان، ويأتي هذا التشابك (التكامل) بين هذه العلوم بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية، التي تنظم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بين المجالات المعرفية المختلفة التي تسعى إليها هذه العلوم. وتتعدد فروع الأنثروبولوجيا وفقا للتطورات والتغيرات التي تتضمنها وتشملها في دراستها للإنسان وتطوره من الجوانب الطبيعية، والنفسية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والحضارية.

فالأنثروبولوجيا الطبيعية هي فرع من علم الإنسان المختص بدراسة آليات التطور البيولوجي والقدرة على التكيف وتنوع الأعراق عند البشر المعاصرين والرئيسيات العليا والسجل الأحفوري لتطور البشر. وقد أدى اهتمام العلماء الأنثروبولوجيين بدراسة التباين بين الشخصيات في الثقافات المختلفة إلى ظهور فرع متخصص يعرف

بالأنثروبولوجيا النفسية أو الثقافة والشخصية، يتحدّد في العلاقة بين الثقافة والشخصية.

والأنثروبولوجيا الثقافية هي فرع آخر من فروع الأنثروبولوجيا، تقوم بدراسة الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة. والأنثروبولوجيا الثقافية تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة. كما أنها تهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها، ودراسة عمليات التغيير والتمازج الثقافي، والمقارنة بين الثقافات، وتفسير أطوار ثقافة ما في مجتمع ما.

وتعالج الأنثروبولوجيا الحضارية في دراستها الإنسان في نطاق منظومته الحضارية، تعالج تباين سلوكه ونشاطه اليومي على ضوء تباين ظروفه الموضوعية المحددة لأدواره في المجتمع. فقد كان الإنسان يصارع البيئة من أجل البقاء فكان تفكيره لذاته، ولكن بعد سلسلة من قفزات الارتقاء التي تتخلل بالإبداع والانتقال إلى الأفضل بفعل مجهوده الفكري ومهاراته المتراكمة ومتعته في ممارسة ما يتقن ويحسن عمله، انطلق من معطيات خلقية لبناء حضارة لتفيد تنظيماته الاجتماعية وهكذا أصبح الإنسان في هذه الخطوة يفكر ويبنى اجتماعياً وهذا هو سر العلاقة بين الحضارة والمجتمع.

والأنثروبولوجيا الاجتماعية، هي الدراسة التكاملية المقارنة القائمة على ملاحظة السلوك الإنساني في مضمونه الاجتماعي. وهي دراسة تكاملية لأنها تتبنى المنهج الكلي. وهي دراسة مقارنة بمعنى أنها تدرس نظام القرابة أو الاقتصادي في مجتمع معين، ثم تقارن بين هذا النظام

ونظيره في مجتمع آخر. وتهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بمجال محدد من مجالات العلوم الاجتماعية وهو دراسة مجموع البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع، بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات.

أما علم الأنثروبولوجيا الاقتصادية فيتناول دراسة مجموعة من الموضوعات الأنثروبولوجيا من وجهة نظر علم الاقتصاد. لقد أسهم علم الإنسان إسهاماً فعالاً في إثراء علم الاقتصاد بما قدمه من دراسات عن المجتمعات البدائية والبسيطة والمنعزلة، وقد حل علماء الإنسان، وفسروا النظم الاقتصادية لتلك المجتمعات وفقاً لثقافة تلك الجماعات، وتتبع تاريخها وتطورها وأنواعها المختلفة، وعلاقة تلك النظم الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة ببقية الأنظمة الأخرى في تلك المجتمعات.

وتتناول الأنثروبولوجيا السياسية بالدراسة أثر المتغيرات الاجتماعية والحضارية في تشكيل بنية السلطة السياسية، وتغير أنظمة الحكم في المجتمع، والأنثروبولوجيا السياسية هي دراسة الجوانب الاجتماعية والسياسية للمجتمع وصلاتها مع قضايا أخرى مثل مسألة السلطة، ومصدرها، وأثرها في المجتمع. أيضاً تبحث في العلاقة بين الأفراد داخل المجتمع، وتوزيع السلطة، وتبحث في الطرق التي يستخدمها الأفراد في الحصول على السلطة ونوعها ومدى سيطرة أولئك الذين يملكون السلطة على المجتمع.

ويمثل الفولكلور الشعبي مدخلاً لدراسة حضارة الإنسان، لأنه يشمل الجوانب القيمية والأخلاقية والجمالية والإبداعية التي يطرحها الإنسان عبر تاريخه الطويل. وعذ الأنثروبولوجيون علم الفولكلور فرعاً من فروع الأنثروبولوجيا.

إنّ الكتاب الحالي ما هو إلا محاولة لإعطاء فكرة عن الأنثروبولوجيا لما لها من أهمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتشجيع على تقدّم المعرفة بالأنثروبولوجيا من خلال الدراسات الجدّية والموضوعية وذلك في سعي نحو إيجاد أنثروبولوجيا عربية، تتّجه دراساتها نحو مشكلات المجتمع العربي، وتسهم في تقدّمه بما يناسب معطيات العلوم الإنسانية المختلفة.

المؤلفة

الباب الأول

مفهوم الأنثروبولوجيا وأطوارها

- الفصل الأول : وصف الأنثروبولوجيا مفهومها وأهدافها
- الفصل الثاني : أطوار الأنثروبولوجيا
- الفصل الثالث : علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى
- الفصل الرابع : نظريات نشأة الحياة وأصل الإنسان



الفصل الأول

مفهوم الأنثروبولوجيا ومجالاتها

مقدمة

الأنثروبولوجيا هي مصطلح مركب من مقطعين باللغة اليونانية هما (أنثروس) وتعني إنسان و (لوجيا) وتعني علم وبهذا فهي تعني: "علم الإنسان أو المعرفة المنظمة عن الإنسان" وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أي العلم الذي يدرس الإنسان.

وتاريخ استخدام هذا الاصطلاح حسب العلامة الانكليزي "هادون" يعود للحضارتين الإغريقية والرومانية، حيث استخدمه "أرسطو" للإشارة إلى الشخص الذي يتحدث عن نفسه. ويتضح من المعنى اللفظي لاصطلاح الأنثروبولوجيا ان موضوع هذا العلم هو الإنسان، والإنسان هو الإطار الوحيد الذي يحدد الموضوعات التي يدرسها هذا العلم أما الزمان والمكان فلا يقيدان الموضوعات التي تدخل في نطاقه بمعنى أنه العلم الذي يدرس الإنسان وأجداده وأصوله منذ أقدم العصور والأزمنة حتى الوقت الحالي، فهو يدرس الإنسان في كل زمان، وكذلك يدرس الإنسان في كل مكان، ولا يتقيد بفترات الزمن أو بحواجز المكان، ولكنه يتقيد ببحث موضوع واحد لا يخرج عنه وهو "الإنسان" (وصفي، ١٩٧١، ٩-١٥).

الأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد الجوانب البيولوجية والاجتماعية والثقافية للإنسان وميدان الدراسة الأساسي لها هو الجماعات أو المجتمعات التي تدعى بالبدائية وإن كان هذا الميدان اتسع في الأوقات الأخيرة فأصبح يشمل دراسة المجتمعات العليا القديمة وبتأثير المدرسة الثقافية الأميركية ازداد المجال اتساعاً ليشمل مجتمعات أوروبية الأصل تعيش في ظروف تكنولوجية حديثة، ومن ثم أصبحت تدرس الأنماط الحضارية ذات الطابع المعاصر والقديم والأولي والمدني، كما تدرس المجتمعات الحديثة في الريف والمدينة وتأثير الهجرات في التركيبات الحضارية الثقافية المعاصرة.

إذا علم الأنثروبولوجيا هو أحد فروع العلوم الإنسانية . والأنثروبولوجيا أو الإثنولوجيا كما عرفت قديماً "هي عبارة عن دراسة المجتمعات البدائية، التي كان يقال عنها: إنها لم تعرف الكتابة، ولم يتم فيها استعمال الآلة". (لومبار، ١٩٩٧، ٩).

لكن ما لبث هذا العلم أن تحول من علم يدرس المجتمعات البدائية إلى علم يدرس المجتمعات على اختلاف مستوياتها البدائية والمتقدمة والمعاصرة، ذلك لما تحمله كلمة (بدائية) من تجريح للشعوب الفقيرة. خاصة أن هذه الشعوب صارت إلى الزوال.

- المفهوم الاصطلاحي للأنثروبولوجيا

يشار إلى الأنثروبولوجيا على أنها علم الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي ومنها الأنثروبولوجيا الطبيعية والاجتماعية والحضارية والتطبيقية (سليم، ١٩٧٥، ٧). ولذلك، تعرف الأنثروبولوجيا، بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنماط اجتماعية في ظل ثقافة معينة.. ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكاً

محددًا؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل. ولذا يعد علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوراً، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله (أبو هلال، ١٩٧٤، ٩).

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضاً، بأنها علم (الإناسة) العلم الذي يدرس الإنسان مخلوقاً، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعاً (الجباوي، ١٩٩٧، ٩).

كما تعرف الأنثروبولوجيا بعدة تعريفات منها:

- ١- علم الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها.
 - ٢- علم الإنسان من حيث هو كائنٌ طبيعي واجتماعي حضاري.
 - ٣- علم الحضارات والمجتمعات البشرية.
- ومن الناحية الاصطلاحية لمفهوم الأنثروبولوجيا نجد تصورين أساسيين لمفهوم هذا العلم، التصور الأول هو : (فهم ، ١٩٨٦ ، ١٤-١٧)

مجالات الأنثروبولوجيا حسب تصور الأنثروبولوجيين الأمريكيين
التصور الأمريكي الذي ينظر للأنثروبولوجيا علماً يهتم بدراسة الإنسان من الناحيتين العضوية والثقافية على حد سواء ويستخدم الأمريكيون مصطلح :

الأنثروبولوجيا الجسمية أو الفيزيائية للإشارة إلى دراسة الجانب العضوي التطوري الحيوي للإنسان .

بينما يستخدمون مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية لمجموع التخصصات التي تدرس النواحي الثقافية والاجتماعية لحياة الإنسان يدخل في ذلك الدراسات المتعلقة بالإنسان القديم (الأركولوجيا)، كما تتناول الأنثروبولوجيا الثقافية دراسة لغات الشعوب الأولية واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة وذلك في إطار ما يعرف بعلم اللغة. وقد حددت الباحثة الأمريكية / مارغريت ميد/ طبيعة علم الأنثروبولوجيا وأبعاده، بقولها: "إننا نصنف الخصائص الإنسانية للجنس البشري (البيولوجية والثقافية) انساقاً مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة. كما نهتم أيضاً بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية وتحليلها، إضافة إلى البحث في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته " .

(Mead, 1973, 280).

وبصفة عامة، يسعى الأنثروبولوجيون -لتفسير نتائج الدراسات والربط فيما بينها في إطار نظريات التطور، أو ضمن مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر ومن منطلق ما سبق يمكن تحديد مجالات الأنثروبولوجيا حسب التصور الأمريكي بـ:

١- دراسة الإنسان من الناحيتين:

- الجانب العضوي أو التطوري الحيوي للإنسان وهو الأنثروبولوجيا الفيزيائية أو الجسمية.

- الجانب الثقافي أو الأنثروبولوجيا الثقافية وتعنى مجموع التخصصات التي تدرس النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان، يدخل في ذلك:

٢- علم اللغويات : دراسة لغات الشعوب الأولية (البداية) واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة.

٣- الأركيولوجيا: وتعلق بحياة الإنسان القديم (حضارات ما قبل التاريخ) .

٤- الأنثوجغرافيا: الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال مدة زمنية محددة.

ويرى العالم "هيرزكوفنتر" في كتابه (الإنسان وأعماله) بأن الأنثوجغرافي هو وصف للحضارات وبحث مشاكل النظرية المتعلقة بتحليل العادات البشرية للمجتمعات الإنسانية المتباينة. والأنثوجغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا.

٥- الأنثولوجيا: تهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الأنثوجغرافية بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية من حيث أصولها وتطورها وتنوعها. وهذه الكلمة الغربية (الأنثولوجيا) هي الاسم العلمي لعلم السلالات البشرية، وهو العلم الذي يختص بدراسة الشعوب والأجناس المختلفة فيقوم بتصنيف الشعوب الموزعة على وجه الأرض إلى خمس مجموعات أساسية وهي: مجموعة البيض، مجموعة الصفرة، مجموعة السود، والبوشمان التي

تعيش حالياً في أنجولا ويبلغ تعدادها عشرة آلاف نسمة. أما المجموعة الخامسة فهي قبائل (الأبورجين) التي عاشت في أستراليا قبل وصول المستوطنين الأوروبيين.

- مجالات الأنثروبولوجيا حسب تصور الأنثروبولوجيين الأوروبيين:

الأنثروبولوجيا كلمة مشتقة من أصل يونانيانين الأول Anthropolos وتعني الإنسان ، والثاني Logos : وتعني العلم. وقد ظهر هذا المصطلح أول ما ظهر - حسب ما يرى الباحث الفرنسي "جان بواريه" في القرن الثامن عشر ليعني دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان، وربما كان عالم الطبيعة الألماني "جوهانبلومينباخ" هو أول من أدخل الكلمة في منهج تدريس التاريخ الطبيعي، وذلك في الطبعة الثالثة لكتابه الذي صدر عام ١٧٩٥ بعنوان "التنوعات الطبيعية الجوهرية بين البشر"، ثم أشاع الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانت" استخدامه خاصة بعد صدور كتابه "الأنثروبولوجيا من منظور عملي".

أما التصور الأوروبي للأنثروبولوجيا فهو مختلف بين بلد وآخر، فقد كان يقصد بالأنثروبولوجيا حتى عهد "كانت" دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان حيث اتسعت في أوروبا موضوعات الأنثروبولوجيا بهذا المعنى وتنوعت لتشمل :

- المقارنة بين الإنسان والحيوان

- تنوع السلالات البشرية

- الخصائص الوراثية للشعوب

- الدراسات المقارنة بين الإناث والذكور من حيث الصفات التشريحية، والعمليات البيولوجية، وصلة ذلك بتحديد الأدوار والوظائف الاجتماعية لكل نوع.

وقد اختلف مفهوم الأنثروبولوجيا بين الدول الأوروبية ، وفيما يلي توضيح لذلك :

١- مفهوم الأنثروبولوجيا في بريطانيا :

أطلق الإنكليز عليها مصطلح "الأنثروبولوجيا الاجتماعية" وتعاملوا معها علماً قائماً بذاته لا يدرج تحتها أي من الأركولوجيا أو علم اللغويات وهذا ما ساعدهم على وضع نماذج نظرية تشرح أبنية المجتمعات وتفسر الآليات والوظائف التي تساعد على استمرارية الحياة الاجتماعية وتماسكها، وبهذا خرج إلى الوجود ما يشار إليه مثلاً بأنثروبولوجيا القرابة أو الدين أو الاقتصاد أو النظم السياسية وغير ذلك مما يسير ضمن إطار الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

وتتحدد مهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية حسب : "إدوارد إيفانز بريشارد" بدراسة كل من :

أ- السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالأسرة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية.

ب- العلاقات بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية.

٢- مفهوم الأنثروبولوجيا في ألمانيا:

في البلاد ذات اللغة الألمانية، تقسم الانثولوجيا إلى فرعين مستقلين. فبينما يهتم "علم الشعوب" بالشعوب المعتبرة غريبة، يدرس "علم الشعب" الثقافة الألمانية بصورة حصرية. ولقد ازدهر علم الشعب في نفس فترة الحركة القومية الألمانية، بداية القرن التاسع عشر. ومع استلهاها من فكر الرومنطقيين الألمان، فإنها استمدت غذاءها من فقه اللغة الجرمانية. أما علم الشعوب فإنه نشأ في نهاية القرن التاسع عشر. وباستثناء فترة (١٨٨٥-١٩١٨)، فإنه سيكون انثولوجيا لمجتمعات دون مستعمرات ودون مفردات للسكان المحليين. فلقد اهتم أساسا بإعادة تكوين الحضارة الأصلية واعتمد منهاجاً حديسياً.

ورغم أن الطلاق بين العلمين كان قد أعلن ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر، فإنهما يشتركان في عدد من المعطيات، لقد ارتبط الاثنان باهتمام كبير بالمتاحف الغربية والفولكلورية، وهما يعرفان الثقافة حسب قطبية مزدوجة بين المادي والروحاني، مما يهدد بتغييب التنظيم الاجتماعي. كما أن الاثنين يعلنان تميزهما عن السوسولوجيا، ويؤكدان عدم انتمائهما إلى العلوم الاجتماعية. (بونت، ٢٠١١، ١٦٣) حيث تستخدم الكلمة (انثروبولوجيا) للإشارة إلى الدراسة الطبيعية للإنسان، وكلمة أنثولوجيا لتشير إلى علم الشعوب.

٣- مفهوم الأنثروبولوجيا في روسيا:

يشيع في روسيا استخدام مصطلح الإثنوغرافيا، الذي يدرس التنظيم الاجتماعي للمجتمعات البدائية والمقصود بالبدائية الشعوب

المنعزلة غير الأوروبية) وخاصة فيما يتعلق بالتحويلات التي تحدث في تلك المجتمعات عند تحولها إلى دول جديدة . ويهتم الأثنوجرافيون الروس بـ:

أ-دراسة المشكلات المتصلة بالجماعات العرقية

ب- المشاعر القومية للأقليات

ج-تطور المجتمعات الإنسانية في إطار النظرية الماركسية ونتائج الثورة البلشفية التي حدثت ١٩١٧. وتعد الثورة البلشفية في روسيا القيصرية هيالتطبيق العملي لأفكار المفكر " كارل ماركس " ومساعدته فريدريك أنجلز وكتاباتهم".

" لقد عرفت الأثنوغرافيا ازدهاراً كبيراً، بعد عام ١٩١٧، في الوقت الذي سخرت فيه ولا سيما مع الألسنية لخدمة أهداف الدولة الاشتراكية التي أكملت أهداف النظام السابق وطورتها في ما يتعلق بإدراج الشعوب الآسيوية البدائية أو البدوية في المجل الذي يسيطر عليها الروس. احترمت السياسة الجديدة لاحتواء تلك الشعوب قاعدتها الأرضية وهويتها الألسنية والثقافية، وجزءاً من نمط معيشتها. وتتابع جمع المواد يرافقه عمل إثنوغرافي تطبيقي.

كذلك خصت الماركسية الرسمية الاثنوغرافيا بمهمة نظرية لكونها علماً مساعداً للتاريخ مثل الأنثروبولوجيا المادية والألسنية، وتتطوي هذه المهمة على إظهار شكلات تطور المجتمعات، بينما استندت الأطر الفكرية التي فرضت على العلم إلى كتاب أنجلز (أصل

العائلة) و(الملكية الخاصة) و(الدولة) الذي وضع أساسات "النظرية" الماركسية في الأنثروبولوجيا. ابتداء من العشرينيات انتشرت الإثنوغرافيا السوفياتية أكثر فأكثر على هامش الأنثروبولوجيات الوطنية الأخرى". (بونت، ٢٠٠١، ٢٢)

-الأنثروبولوجيا العربية المعاصرة

تعدّ الدراسات الأنثروبولوجية في العالم العربي محدودة جداً، بل ربما من المقبول الادعاء أن اهتمامات الدارسين الغربيين كانت محصورة في دراسة المجتمعات «البدائية» البسيطة والمعزولة في العالم، وقصر مفهوم الدراسات الأنثروبولوجية عليها، وجعلت الدراسات السوسيولوجية مقصورة على المجتمعات الغربية، أما المجتمعات التي لها بنية معقدة التركيب فإنها لا تدخل ضمن اهتمامات الدارسين. صحيح أن هناك بعض الدراسات اهتمت من منطلقات «إستراتيجية» أو «لخدمة الإدارات الاستعمارية» بدراسة هذه المجتمعات، لكنها مع ذلك كانت غير مؤثرة في إطار البحث العلمي العام.

لكن الأنثروبولوجيا منذ خمسينيات القرن العشرين، بعد انتهاء حقبة الاستعمار والإدارة المباشرة لبعض الدول الغربية لمقدرات العديد من الشعوب وقع تحول عن تركيز الاهتمام بالمهمشين و«البدايين» والمعزولين أو المختلفين عن العالم الغربي، وبدء دراسات أنثروبولوجية، تستخدم المناهج والمصطلحات نفسها لدراسة ظواهر إنسانية بدلاً من دراسة مجتمعات مستعمرة بعينها(باقادر، ٢٠١٢).

وكذلك التوسع في دراسة ما عرف بدراسة المناطق مجالاَ لاهتمام المختصين في هذا الحقل العلمي. ومن بين المناطق التي درسها هؤلاء العالم العربي. ونجد عند بعض علماء الأنثروبولوجيا جدلاً ونقاشات حول مفهوم العالم العربي بوصفه «منطقة ثقافية» معينة.

لقد استطاع الأنثروبولوجيون الغربيون التنبؤ ببعض الأحداث في مجتمعاتهم فيما عجز الباحثون العرب عن التنبؤ بالصراعات التي تعصف بعالمنا، وإن كانت المجتمعات في حال تغير دائم، فعلينا اختيار التغير الذي نريده نحو الأفضل، مما يحتاج إلى دراسات معمقة لتقافتنا، فلا يمكن لنا أن نتقدم دون القيام بدراسات اجتماعية وأنثروبولوجية توفر معلومات دقيقة، وهناك من يشير بأن علم الأنثروبولوجيا هو نتاج استعماري، فلم تكن السلطة المستعمرة تأتي بحاكم دون قيامه بدراسة أنثروبولوجية، لما لهذا العلم من فائدة لمساعدتهم على فرض سيطرتهم وتحديد نوعية المشاريع التي سيقومون بها لفائدتهم كما كان على الحاكم أن يكتب تقريراً يومياً عن منطقته، وهي موجودة الآن في مكاتب جامعات عديدة حول العالم، ومنهجها العلمي والنظري ما زال يتبع.

الأنثروبولوجيا اليوم تسهم إسهاماً كبيراً في فهم ما يجري في العالم سواء في الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، خاصة وأن المجتمعات تتغير باستمرار فمن خلال الاستماع إلى ما يقوله الناس نستطيع أن نقارن هذه المتغيرات بأخرى مشابهة مرت بها شعوب أخرى وبذلك نستطيع أن نتجنب الصراعات المحتملة وسوء الفهم من

خلال المقارنات والاستنتاجات، آخذين بعين الاعتبار أن كل صراع كبير سببه تفاصيل صغيرة.

- مفهوم الأنثروبولوجيا في الوطن العربي:

الأنثروبولوجيا: هي علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً، وحددت فروع الأنثروبولوجيا في: الأنثروبولوجيا الطبيعية - الاجتماعية الثقافية (سليم ، ١٩٧٥، ٧) . إن الأنثروبولوجيا لم تلق لأوقات طويلة ترحيباً في معظم الدوائر العلمية العربية، وقد ظل تدريسها - حتى مدة قريبة - محدوداً جداً بداخل أقسام الفلسفة أو علم الاجتماع.

دخلت الأنثروبولوجيا إلى العالم العربي في الثلاثينيات تحت اسم (علم الاجتماع المقارن) وذلك على أيدي عدد كبير من علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين ، مثل " بريتشارد " ، و "هوكارت" ، و "بريسيناقي" . ممن تولوا التدريس في الجامعة المصرية . ثم جاء بعدهم في الأربعينيات "راد كليف براون" الذي قام بتدريس الأنثروبولوجيا في جامعة الإسكندرية تحت اسم علم الاجتماع المقارن (فهمي ، ١٩٨٦ ، ٢٥٩ - ٢٦٠) .

ولعل من الأسباب التي لم تسمح للأنثروبولوجيا بالانتشار فرعاً من فروع المعرفة ما يشير إليه بعض الباحثين من تعارض نظرية التطور الحيوي للإنسان والتفسير الديني الذي يرى أن الإنسان مخلوق إلهي لا يمثل حلقة متطورة من أصل حيواني. إلى جانب ذلك، ربما كان لارتباط مفهوم الأنثروبولوجيا تاريخياً بدراسة المجتمعات "المتخلفة أو البدائية"، وصلتها بالاستعمار تأثيراً في التقليل من قيمة علم الأنثروبولوجيا في نظر الدوائر العلمية

العربية، وخاصة في مرحلة العمل على التقدم والاستقلال لشعوب المنطقة العربية.

منذ الستينيات كسبت الأنثروبولوجيا أرضية جديدة في العالم العربي، حيث حظيت بفهم أفضل لإمكانية استخدامها لما يحقق أهداف العالم العربي في التقدم والازدهار. ونرى ذلك واضحا في الازدياد المضطرد في تدريس مادة الأنثروبولوجيا في الجامعات والمعاهد العليا بالبلاد العربية (فهم، ١٩٨٦، ٢٠٢ - ٢٠٨).

- واقع الأنثروبولوجيا العربية:

علم الأنثروبولوجيا، حسب "ليفى شتراوس" هو أن ترى نفسك كما يراك الآخرون. والغربيون يهتمون بمعرفة صورتهم من خلال الآخرين».

لقد تغير علم الأنثروبولوجيا في السنوات الأخيرة، وتوسعت ميادينه، لقد تغير من دراسة الثقافات والأثنيات إلى مجالات أرحب، أما ويندي جيمس فتضيف: «هناك اختلاف بين هذا العلم في بريطانيا والولايات المتحدة. فكما هو معروف هناك الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الأنثروبولوجيا الثقافية، والأنثروبولوجيا الأثرية التي تهتم بدراسة حياة الشعوب القديمة عبر دراسة معاداتهم. وقد بدأ هذا الفرع يضمحل وينظر له موضحة قديمة فما جدوى النظر إلى المتاحف والهيكل العظمية والموتى؟ لذا بدأ الاهتمام بالحياة المعاصرة، كيف يعيش الناس؟ ما الذي يسعدهم؟ ما هي معاناتهم؟

وهناك الأنثروبولوجيا الطبية. فالصداع مثلا، تعالجه بعض الشعوب بالفصد وأخرى بالأسبرين، وبدأنا نتعمق أكثر في فهم كيفية عمل جسم الإنسان؟ وفهم الأمراض من وجهة نظر المريض حسب ثقافته والعلاقة بين الجسد والروح.

وحسب بعض الدراسات، فإن علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) لم يلقَ الاهتمام في الدوائر العلمية والبحثية العربية، كما هي الحال في المؤسسات العلمية الغربية وباحثيها، سواء في البحوث الميدانية / التطبيقية، أو في الدراسات الأكاديمية، كالدراسات الفلسفية والنفسية والتربوية.

وقد عزا معظم الباحثين العرب عدم الترحيب بالأنثروبولوجيا وانتشارها في العالم العربي، إلى سببين أساسيين : (نقلا عن الشماس، ٢٠٠٤، ١٦٦)

أولهما : عدم تقبل فكرة التطور الحيوي عند الإنسان، بالنظر لتعارضها والفكر الديني وتفسيراته التي تؤكد أن الإنسان مخلوق من عمل الله، وليس نتاج حلقة تطورية ذات أصل حيواني. ولكن ثمة بعض المفكرين العرب من دعا إلى التوفيق بين الفكرتين، والأخذ منهما ما يفيد العلم.

وثانيهما : ارتباط نشأة الأنثروبولوجيا وبداياتها التاريخية بالاستعمار، حيث كانت الدراسات تتم على المجتمعات البدائية والمتخلفة، بهدف معرفة بنيتها التركيبية وطبيعتها الثقافية، مما يسهل استعمارها، في

الوقت الذي كان فيه المجتمع العربي يعاني من الاحتلال والاستعمار، ويسعى للتحرر والتقدم.

وهكذا تمّ التعاطي مع أي اهتمام أوروبي أو غربي، بالمجتمعات العربية أو الإسلامية وثقافتها، على أنه يقع في دائرة الأطماع الاستعمارية أو التآمر على العرب والإسلام. وأصبح كلّ إنسان غربي (يبدى شيئاً من الاهتمام بهذه الموضوعات) موضع شبهة وريبة في العالم العربي.

وعلى الرغم من اتساع الدراسات الأنثروبولوجية لتشمل المجتمعات البشرية المختلفة، سواء في تكوينها أو في درجة تقدمها، فما زالت ثمة رواسب تعوق اعتمادها علماً يبحث في مشكلات المجتمع العربي وإيجاد الحلول المناسبة لها، ولا سيما القضايا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية". وفي هذا المجال يقول كلايد كلاهون « الأنثروبولوجيا تضع الإنسان أمام المرأة ، مرآة تمنحه صورة أوضح لنفسه وأقرانه ، وتوضح دوافعه وسلوكه فضلاً عن دوافع الآخرين (الشماس، ٢٠٠٤ ، ١٦٨) .

إن تشكيلة مجتمع المعرفة سافت التواصل والانتشار الثقافي إلى آفاق جديدة تتعلق بصراع الهويات والولاءات والاهتمامات، لذلك فإن الأنثروبولوجيا الأوروبية والأمريكية تستهدف الشخصية الاجتماعية العربية، ومحدداتها الموضوعية التدخل باهتماماتها وولاءاتها واتجاهاتها والتحكم في جدل الثقافة العربية تمهيداً لتضليل ممنهج يستهدف الهوية

والسلوك، والتقليد من شأن الاهتمامات العربية الكبرى وإبدالها باهتمامات ثانوية كالموضة والاستهلاك والتقليد الأعمى للغرب في الملبس والآداب الاجتماعية.

وتحاول بعض السياسات الغربية- وبسخاء- تغيير الاهتمامات الثقافية العربية الهادفة إلى بلوغ الاستقلال الذي يحقق للدول العربية حرية الحركة الشعبية والظفر بأهدافها المصيرية المتمثلة بالقضاء على التخلف والجهل والأمية والاستقلال الحقيقي بكل أبعاده البنائية التي تدعم بإصلاحات جذرية تؤدي إلى تقوية دور الجماهير الشعبية والنهوض بالتنمية الشاملة التي تتمحور حول الذات العربية وحق الإنسان في حريته وكرامته وعدالة اجتماعية، وهذه المشروعات تستند إلى أجيال محصنة بالمعرفة ومالكة للخبرة لمعرفة المستقبل العربي وحكمة لاستشراف التحديات ومصادرها تمهيداً لمجابهتها قبل وقوعها.

في حين نعيش زمن الانشقاقات والتفكك في الحياة العربية ما زالت حتى هذه اللحظة الدراسات الأنثروبولوجية في عالمنا العربي غارقة في تقليد للدراسات الأكاديمية الغربية، عوضاً عن الرقي بدراساتنا الاجتماعية والأنثروبولوجية في جامعاتنا ومعاهدنا العربية، وتأسيس مراكز أبحاث تقوم بمهامه الوطنية، ولكن ينبغي أيضاً أن نعترف بأن هناك أطروحات أعدت بأقلام عربية يشهد لها بالجدية والانتماء، ناقشت مشكلات الأمة العربية من أجل حلها في إطار الممكن " (السماك، ٢٠١٣).

وفي إطار الاتجاه الحالي، في كثير من البلدان العربية نحو التحديث والارتقاء، بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي، دون إحداث أضرار بالقيم والتعاليم الدينية، وأسس التراث الاجتماعي والتقاليد الأصيلة، فإنّ للأنثروبولوجيا أثراً كبيراً في إبراز هذا التراث، ودراسة تلك التقاليد وإحياء الحضارة العربية. ويتضح كذلك، الإسهام الفعّال الذي يمكن أن يؤديه الأنثروبولوجيون العرب، في مجال مشروعات التنمية، وذلك من خلال تحليل مفهومات الأنثروبولوجيا الثقافية ودراستها دراسة ميدانية. (فهيم، ١٩٨٦، ٢٦٨)

كثيرة هي العلوم والتقنيات والصناعات التي يحتاج إليها الوطن العربي من أجل أن ينهض ويتقدم. فالنهوض لا يتم من فراغ، وإنما لابدّ من أدواته أو آلياته واحتياجاته. وإذا كان الوطن العربي بحاجة ماسة إلى التقنية بكل أبعادها من أجل أن يظفر بمعركة المستقبل، فإنه بحاجة ماسة أن يفهم نفسه، وأن يتعرف على مشكلاته وأن يعي وعياً منهجياً أن العلاقة بين الوطنية والقومية علاقة عضوية وجدلية لا تنفي إحداها الأخرى.

والأنثروبولوجيا هي أحد أهم العلوم النظرية التي يحتاج إليها الوطن العربي في معرفة نفسه، لأنه العلم الذي يدرس الإنسان العربي، ويتناول بالتحليل ظروفه البيئية والاجتماعية والسياسية والثقافية والقيمية. والعلم الأنثروبولوجي هو الذي يدرس التأثير المتبادل بين الثقافة العربية والشخصية

العربية ، لأن الثقافة في التحليل الأخير هي مرآة المجتمع التي يرى فيها نفسه.

ويظل أمام العلم الأنثروبولوجي النقدي في مدرسته العربية دراسة الحياة السياسية في المدن والأرياف العربية على ضوء الحقائق التي أعلنتها هذه الدراسات، حتى تتعرف على صيرورة هذه الحياة خلال انتقالها من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل". (دياب، ٢٠١٣)

ولتحقيق ذلك يجب الدعوة إلى فتح النوافذ الثقافية العربية على الثقافات الأخرى، ولا سيما تلك الثقافات التي يمكن الاستفادة منها في التعرف إلى ثقافة العصر ودراساتها والاقتداء بها، بما ينسجم وجوهر الشخصية العربية المتميزة، ومقومات الثقافة العربية، بما في ذلك التيارات الفكرية والاتجاهات والمذاهب الأدبية والفنية، والانتقاء منها. فالثقافات كلها - ومنها الثقافة العربية - تنمو وتزدهر وتتقدم، بالاتصال والاحتكاك والتأثير المتبادل، بينها وبين الثقافات الإنسانية العالمية.

وهذا ما يجب أن تؤسس له الدراسات الأنثروبولوجية العربية المعاصرة، بحيث تظهر بجلاء تلك العلاقة بين الحضارة العربية والحضارة الإنسانية، ومن جوانبها المختلفة، بعيداً عن الأحكام المسبقة، والأخذ بالفكر الأنثروبولوجي النقدي والمقارن، وتطبيق ما يمكن تطبيقه من نظريات الأنثروبولوجيا، بما يناسب طبيعة المجتمع العربي، وتركيبته التاريخية.

- أهداف الأنثروبولوجيا

في ضوء ما سبق حول مفهوم الأنثروبولوجيا يمكن تحديد أهداف الدراسات الأنثروبولوجية كما يلي :

أ- ترقيب السلوكات المقبلة للمجتمعات موضوع البحث، بغية تحديد العلاقات، التي يفترض إنشاؤها بهذا المجتمع.

ب- حل النزاعات بين الشعوب.

ت- تشخيص ردود الأفعال الممكنة، التي قد يتخذها مجتمع معين حيال خطة تنموية معينة.

ث- تبين مدى إمكانية تقبل مجتمع معين لثقافة معينة، من خلال معرفة كيفية عيشها وطرقها، وكيفية تفكيرها.

ج- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك من طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل مايقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحياة اليومية.

ح- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان : بدائي - زراعي - صناعي - معرفي - تكنولوجي.

خ- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان ، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية . وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة ، وإيجاد عناصر التغير المختلفة .

د- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية / الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصور لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة (لينتون، ١٩٦٤، ١٥).

- مجالات علم الأنثروبولوجيا

يقسم العلماء البريطانيون الأنثروبولوجيا ضمن أربعة أقسام مختلفة وهي كالآتي:

١- الأنثروبولوجيا الطبيعية: هذا القسم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلوم الطبيعية مثل "التشريح، وعلم الحياة وعلم وظائف الأعضاء، وينقسم هذا القسم إلى مجالات فرعية أخرى منها:

- علم العظام. Osteology
- علم البناء الإنساني. Human Morphology
- مقاييس جسم الإنسان. anthropometry
- دراسة مقاييس الأجسام الحية. Biometrics
- علم الجراحة الإنساني. Human serology

ويتم تدريس هذا القسم في كليات الطب والعلوم بالإضافة لكليات العلوم الاجتماعية.

ومن مواضيع الأنثروبولوجيا الطبيعية:

- ظهور الإنسان سلالة متميزة وصفاته الخاصة مثل السير منتصباً.

- القدرة على استعمال اليدين، والقدرة على الكلام.
- دراسة السلالات البشرية القديمة وصفاتها، وتوزيع تلك العناصر على قارات الأرض، كطول القامة، ولون الشعر وكثافته، ولون العين والبشرة، وأشكال الأنوف.
- تهتم بالوراثة.
- ٢-الانثروبولوجيا الاجتماعية: يهتم هذا القسم بدراسة المجتمعات البدائية، مثل الريفية والحضرية في الدول النامية والمتقدمة. ويدرس هذا القسم عدة مجالات منها:
 - البنية الاجتماعية وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الناس والنظم الاجتماعية مثل الأسرة، والعشيرة وصلة القرابة، والزواج، والطبقات الاجتماعية.
 - الأنظمة الاقتصادية.
 - النظم السياسية، كالقوانين، ونظام العقوبات، والسلطة والحكومة.
 - الأنظمة العقائدية في المجتمع، كالسحر والدين.
- ٣-الانثروبولوجيا الثقافية: تسمى أيضا الانثروبولوجيا الحضارية، وتهتم بكل شيء له علاقة بثقافة المجتمعات وحضاراتها مثل:
 - اختراعات الشعوب البدائية، والأدوات التي استخدمتها، وأسلحتها.
 - طبيعة بناء المساكن.
 - أنواع الألبسة ووسائل الزينة.
 - الفنون، والآداب، والقصص، والخرافات التي كانت رائجة في فترة من الزمن.

و تهتم بالاتصال الحضاري بين الشعب ومن يتصل به من شعوب، والتبادل الثقافي فيما بينهم.

٤-الانثروبولوجيا التطبيقية: نشأ هذا المصطلح بعد ظهور الاستعمار واحتلال دول أخرى، ويقصد به دراسة مشاكل الاتصال بالشعوب البدائية المستعمرة ومعرفة كيفية إدارتها وتصريف شؤونها والعمل على تحسينها. وتطور هذا القسم كثيراً لتتسع مجالاته كثيراً إلى مجالات أخرى منها:

- التربية والتعليم. حياة الحضر والسكان.
- التنمية الاجتماعية والاقتصادية.
- الصحة العامة، والنفسية.
- الإعلام، والاتصال وبرامج الإذاعة والتلفزيون. الفن، والفلكلور "التراث الشعبي".
- المجالات الصناعية والعسكرية والحرب النفسية، والسياسة ومُشكلات الإدارة والحكم، والجريمة والسجون، وغيرها.

مراجع الفصل الأول

- أبو هلال، أحمد (١٨٧٤) مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، الأردن، عمان.
- باقادر، أبو بكر أحمد، ورشيق، حسن (٢٠١٢) الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر بدمشق
- بونت، بيار وإيزار، ميشال (٢٠١١) معجم الانثولوجيا والانتروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصمد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت.
- الجباوي، علي (١٩٩٦/١٩٩٧) الأنثروبولوجيا - علم الإنسانية، جامعة دمشق.
- دياب، عز الدين (٢٠١٣) من أجل مدرسة عربية في الأنثروبولوجيا النقدية، موقع الفكر السياسي - <http://www.reefnet.gov.sy/>
- سليم، شاكر مصطفى (١٩٧٥) المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مطبعة العاني - بغداد.
- السمّك، منال (٢٠١٣) علم دراسة المجتمعات العربية.. أين وإلى أين ؟ الأنثروبولوجيا مفهوم يكتنفه الغموض ويغيب عن باحثينا ، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سورية.
- الشماس، عيسى (٢٠٠٤) مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

- فهميم، حسين (١٩٨٦) قصة الأنثروبولوجيا :فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٩٨، الكويت.
- لومبار، جاك ١٩٩٧مدخل إلى الإثنولوجيا. ط ١، ترجمة:حسن قببسي، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- لينتون، رالف (١٩٦٤) دراسة الإنسان، ترجمة : عبد الملك النائف، المكتبة العصرية، بيروت.
- وصفي، عاطف (١٩٧١) الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية،بيروت.
- Mead, Margaret (1973) Changing Styles of Anthropological Work. Annual Review of Anthropology, Palo Alto.

الفصل الثاني

أطوار الأنثروبولوجيا

- مقدمة
- أطوار الأنثروبولوجيا
- مرحلة الدراسات الوصفية للرحالة
- مرحلة الدراسات الجيولوجية
- مرحلة دراسات الشعوب البدائية
- مرحلة الحملات الاستعمارية
- انتقال الأنثروبولوجيا من دراسة المجتمعات البدائية إلى دراسة المجتمعات المعاصرة



- مقدمة -

يرى أكثر العلماء والباحثين أن جميع المجتمعات تمر من خلال عملية تطورية واحدة من أكثرها بدائية إلى أكثرها تطوراً، ولأن الأنثروبولوجيا تهتم بالمجتمعات البدائية أكثر، كانت دراسة هذه المجتمعات تمثل ميلاد الأنثروبولوجيا. وإن اختلف المؤرخون عن مدى حياتها إلا أن الأنثروبولوجيا علماً مستقلاً له ميدانه ومنهجه وله طريقته الخاصة ومقارنته المستقلة لم يظهر إلا في نهاية القرن التاسع عشر، فالأنثروبولوجيا كانت في الحقيقة في البداية موجودة في المقامات الفلسفية والأمثلة الشعبية أي ضمن نطاق كل ما يدرس الإنسان في شتى جوانب حياته وعلاقته بذاته والآخرين وبالكون وما وراء الكون.

تعد الدراسات الأنثروبولوجية قديمة جداً قدم الإنسان ذاته حينما عاشت الجماعات المختلفة بعضها مع بعض أو عندما كانت متجاورة فيما بينها، وقد أثار هذا الوضع فضول تلك الجماعات خلال اتصالها فيما بينها، لمعرفة طبائع كل منها للآخر، ربما بهدف السيطرة على الموارد كل منهما وإخضاعها لسلطانها بسبب التنافس على المصادر المعيشية ومن ناحية أخرى، حاول بعض الباحثين خلال تاريخ الإنسان وصف ثقافات الشعوب وتقديم ملاحظات عن الطبيعة الإنسانية والوجود البشري كما افترضوا بعض التفسيرات التي توضح الاختلافات بين بني البشر سواء من الناحية الفيزيائية أو العادات والتقاليد...

ومهما يكن من أمر، فإن البدايات الأولى لهذا العلم ترجع إلى الفلاسفة والمفكرين القدامى الذين تناولوا موضوعات تتعلق بالدين والسلالة وتقسيم المجتمع إلى طبقات.... ولكنها اصطبغت بالصبغة الفلسفية، ومن ثم فقد تناول العديد من الفلاسفة مثل أفلاطون موضوعات أكثر حداثة مثل طبيعة العلاقات

الاجتماعية والجماعات العرقية. وتعد رحلات المؤرخين وتقاريرهم مرافدا آخر للدراسات الأنثروبولوجية، ومن هؤلاء " هيرودوت " الذي عاش خلال القرن الخامس قبل الميلاد ويجعله معظم كتاب تاريخ الأنثروبولوجيا أول باحث أنثروبولوجي في التاريخ فقد جمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية حيث تناول تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية في كتابه "التواريخ" قدم معلومات في تسعة فصول عن حوالي خمسين شعبا من خلال رحلاته وكذلك وصفه الدقيق للحرب من خلال رحلاته - التي دارت بين الفرس والإغريق إبان القرن السادس قبل الميلاد، كما زار مصر وذكر خصائص سكانها وذكر عبارته المشهورة "مصر هبة النيل" كما وصف بدو ليبيا. ويعد منهجه الوصفي بداية المنهج الأثنوجرافي المعروف الآن. وغني عن البيان، الأثر العظيم الذي أحدثته العلامة العربي ابن خلدون من خلال أسفاره العديدة في عصره وقد تمخض عنها ظهور كتابه الخالد «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» وكذلك المقدمة التي اشتهرت أكثر من شهرة الكتاب ذاته. ومن خلال العنوان ذاته يتضح لنا المسالك التي سافر فيها والشعوب التي زارها سواء العرب أو العجم - الفرس - أو البربر - سكان شمال إفريقيا - وكثرة أسفاره خلال تلك الأوقات وسجل تسجيلا أميناً كل ما رآه حتى المكان والطقس والمناخ والمنازل والعادات والتقاليد، ومن ثم تداخلت المعلومات الجغرافية والسياسية والاجتماعية في مقدمته وكتابه، وأطلق على العلم الجديد الذي توصل إليه اسم «علم العمران البشري» وكان يقصد به بالطبع علم الاجتماع. واضح إذن ارتباط الدراسات الأنثروبولوجية بغيرها من الدراسات في فروع العلم الأخرى سواء الجيولوجيا أو البيولوجيا أو الحفريات أو الأكيولوجيا والعلوم الإنسانية المختلفة،

ومن ثم فقد كانت أية دراسات - ولو سطحية مبكرة - تتم وكان لها صلة ما
بالإنسان إلا وجعلت خطوة على طريق ظهور علم الأنثروبولوجيا بفروعه التي
أصبحت معروفة الآنوتبلورها.

ومع مطلع القرن العشرين بدأت تتضح ملامح الدراسات الأنثروبولوجية
الفيزيائية والثقافية على حد سواء. فقد أصبحت الأنثروبولوجيا تخصصاً أكاديمياً
معترفاً به. كما أسهمت في توضيح مفهوم السلالة أو العنصر مما كان يسوده
من خلط بين مفهوم اللغة والقومية والثقافة في الماضي.

- أطوار علم الأنثروبولوجيا

إن الأنثروبولوجيا علم قائم بذاته خاص بدراسة التاريخ الطبيعي
لمجموعة أوجه النشاط البشري مرّ بالمراحل الآتية:

١ - مرحلة الدراسات الوصفية للرحالة:

لقد اعتمدت الدراسات الأولى نظرياً ومنهجياً على الوصف
والتحليل المستخلص من الحكايات الشعبية والأساطير بهدف استنباط
نمط الانجازات الحضارية في تاريخ تطور الإنسان منذ وجد فتوصلت
الأنثروبولوجيا إلى انجازات الإنسان الحضارية في اكتشاف النار
وصناعة بعض الأدوات وبعض تقنيات إنتاج الطعام، ومنذ عهد
الاستكشافات الكبرى بالقرن الخامس عشر، تراكمت كميات من
المعلومات الأنثروبولوجية التي جمعها الرحالة والمبشرون والجنود عن
شعوب الأصقاع التي جابوها، وكانت مصادر المعلومات هي التحليلات
الصورية وما تناقلته الأفكار والألسن من قصص وحكايات وأساطير،
لهذا تعرضت جوانب كثيرة من المعلومات للتشويه.

وهكذا انتشر اسم هذا المصطلح تدريجياً في تداول هذه المادة العلمية مع بداية القرن السادس عشر، وأخذ نظرة أكثر علمية وجدية، وتجلّى ذلك لدى العلامة الإنكليزي "هادون" فهو أول من استخدم مصطلح الأنثروبولوجيا ليربطه بمصطلح شاع بالحضارة الإغريقية استخدمه الفيلسوف أرسطو لوصف الشخص الذي يتكلم عن نفسه ثم بعد ذلك استخدمه المفكر هانت عنواناً لكتابه الذي نشره عام (١٥٠١) الذي تضمن دراسة خصائص جسم الإنسان من الناحية التشريحية، ثم ظهر المصطلح عام (١٦٥٥) في كتاب باللغة الانكليزية يبحث في الطبيعة البشرية بشقيها التشريحي والنفسي ولربما كان هذا هو رابط مفهوم علم الأنثروبولوجيا قديماً بأنه يشير إلى ربط الروح بالجسد ثم انتشر المصطلح متجاوزاً هذا التفسير إلى الأصول الاجتماعية والحضارية والبيولوجية المكونة لسلوك الإنسان وعاداته وتقاليده.

وتجسدت تلك بدراسات الفيلسوف الفرنسي "مونتسكيو" بالقرن الثامن عشر الذي ميّز بكتابه روح القوانين بين البناء الاجتماعي ونظام القيم ودعا للتوجه نحو الأصول التاريخية للأنساق والبنى الاجتماعية، فاتجه علماء الأنثروبولوجية نحو المجتمعات البدائية حيث رأوا فيها مصدراً ثميناً لجمع المعلومات عن مراحل تاريخية يفترض أنّ مجتمعات معاصرة مرت بها. (الأخرس، ٢٠٠١، ٣٤).

إن كتب الرحلات من أقدم أشكال الأدب، فبعضها احتوى، وكثير منها أوحى، بتأملات حول أسباب اختلاف المجتمعات البشرية. ولقد شهد كل عصر من عصور الاكتشافات الجغرافية فورة من الاهتمام في أنواع

جديدة من المجتمعات التي اكتشفها المكتشفون. ولقد اعتاد المكتشفون والمستعمرون أن يفترضوا أن من الأشياء المسلم بها أن شعوبهم هي المقياس الذي تقاس به الشعوب. لقد شهد القرن التاسع عشر بداية الرحلات من أجل ملاحظة أمثلة مختلفة من المجتمعات البشرية. وكان أشهر الرحالة في القرن التاسع عشر (باستيان) (١٨٢٦ - ١٩٠٥) وكان مولعا بالأفكار لذاتها، وبخاصة بالمعتقدات الدينية. وكان معجبا بأوجه الاتفاق التي اكتشفها في أماكن متباعدة من العالم. وقد عزا ذلك إلى الصفات النفسية العامة لدى بني البشر كافة. "وحدة النفس للجنس البشري" التي تقود الناس بصورة مستقلة، لان يفكروا في أساطير وطقوس متشابهة. أما الرحالة (راتسل) (١٨٤٤ - ١٩٠٤) فقد عارض أفكار (باستيان) جملة وتفصيلا. وكان مهتما بالأدوات دون الأفكار. فرأى أنه مادام معظم الأشخاص لا يملكون القابلية على الاختراع، فإن الأدوات يجب أن تكون قد اخترعت من قبل عدد محدود من الناس، ثم انتشرت عن طريق الهجرة إلى بقاع مختلفة من العالم.

ولذا فقد بحث عن أوجه التشابه بين الأدوات في أماكن متباعدة. ولكنه لم يبحث عن أدلة أخرى عن الهجرة التي يفترض أنها نشرت إلى مناطق العالم. وتدعى نظريته "مذهب الانتشار" ولقد طور هذه النظرية تلميذه (فروبينس) (١٨٧٣ - ١٩٢٨). الذي اعتقد أنها أن "المركبات الحضارية" - وهي خليط من أدوات وعناصر من السلوك - يجب أن تكون قد هاجرت كلها عندما لا يكون هناك أي سبب آخر يدعو إلى وجودها مترابطة. ولقد كرس جهوده لتعقب طريق هجرتها، ووصل إلى

نظرية تقول: إن الاختراعات الأساسية كافة قد ظهرت في مكان واحد، هو مصر (تدعى هذه النظرية المذهب الهيلوليثي).

ولا أحد يدعي اليوم أن كل النظم الاجتماعية، والأساليب الفنية، والأساطير كانت قد انتشرت في العالم بطريق الانتشار، ولا أحد كذلك يدعي أن كل مجتمع قد طور بصورة مستقلة كل جانب من جوانب حضارته. وتبدو كل المناقشة غير واقعية لأنها تتجاهل الحقيقة الظاهرة، وهي أن تقليد الأدوات والأساليب الفنية شيء مختلف كل الاختلاف عن "اقتباس" النظم والأساطير، والحقيقة أن أغلب الكتاب الذين عاشت آثارهم كانوا يرون أن تاريخ المجتمعات لا بد أنه كان مزيجاً من تطور مستقل، وتأثر بمؤثرات خارجية. يضاف إلى هذا أن أغلبهم كان تطورياً لأنهم كانوا مهتمين بتطور النظم الاجتماعية أكثر من اهتمامهم بموضوع انتشارها جغرافياً (مير، ١٩٨٣، ٢٨ - ٣٠).

٢- مرحلة الدراسات الجيولوجية:

تركزت عملية جمع المادة العلمية لعلم الأنثروبولوجيا في هذه المرحلة التي بدأت في النصف الأول للقرن التاسع عشر على ما يعثر عليه الجيولوجية من بقايا عظمية إنسانية أو من أدوات كان يستخدمها الإنسان في حياته اليومية فقد صنف العالم "لينو" الأجناس البشرية المختلفة عام (١٧٥٠) على ضوء الدراسات الجيولوجية وعلم الحفريات القديمة ثم تلتها دراسات العالم الفرنسي "يوشيه ديبرت" بين عامي (١٨٤٧-١٨٦٤) التي أشارت إلى عثوره على أدوات حجرية في وادي سوم بأوروبا عام (١٨٣٠) وأعطت دليلاً على وجود الإنسان في

أوروبا بالعصر الجليدي الرابع ثم أعقبه " سيرجون ليبوك " عام ١٨٦٥ الذي أشار إلى معلومات تبين الفرق بين ثقافات الإنسان في العصرين الحجريين الحديث والقديم، ثم أكد اكتشاف هيكل إنسان النياتدرتال في ألمانيا عام ١٨٦٥ على وجود الإنسان القديم فيها وكان ذلك الاكتشاف عبارة عن ركيزة للأنثروبولوجيا حيث كانت بداية بحوث علمي الآثار والأنثروبولوجية الطبيعية.

٣-مرحلة دراسات الشعوب البدائية:

"إن مفهوم البدائية الذي يطبق على المجتمعات غير الغربية هو ابتكار القرن الثامن عشر، وهو يقوم على فكرة أن الهجيين وبخاصة - الهنود الأمريكيين - هم الأجداد الاجتماعيون للمتحضرين الذين بلغوا مرحلة التطور التام، لكونهم يمثلون واحدة من مراحل مر بها هؤلاء المتحضرون" (بونت، ٢٠٠٤، ٢٨٣).

إن أبرز سمات هذه المرحلة تمثلت باهتمام علماء الأنثروبولوجيا بدراسة شعوب بدائية أو شبه بدائية معاصرة تعيش في بعض الأماكن كأفريقيا واندونيسيا واستراليا واستخلاص أساليب تطور تلك الشعوب، ومن تلك الدراسات يستنتج علماء الأنثروبولوجيا حياة شعوب ما قبل التاريخ، وتجلت هذه الدراسات عند أنصار المدرسة التطورية أمثال: "باخ أوفن"، "تايلر مورغان" للفترة بين عام (١٨٦١-١٨٧٧) الذين استنتجوا من دراساتهم أن التقدم البشري يتبلور من خلال الانتقال من المرحلة الحيوانية إلى البدائية ثم إلى البربرية ثم إلى

التمدن، وهذا كان أسلوب "مورغان" و"أنجلز" في دراساتهم لتطور العائلة ونظام الزواج وروابط القرابة ونسب الأبناء (الأموي والأبوي) وملكية القبيلة للأبناء وظهور العشيرة التي ارتبط بنظام الزواج وملكية الثروة في نهايات المرحلة البربرية من عصر المشاعية البدائية (السباعي، ١٩٨٥، ٦٥-٦٧). وكيف أنّ شخصية الفرد تتصهر في شخصية الجماعة التي تمثل كل شيء بالنسبة له وتتشابه الأدوار بالأسرة وتعتمد على الجنس (ذكراً وأنثى) والعمر (أطفال، شباب، كهول، شيوخ) والمركز في النظام العائلي (أب، أم، عم، خال، ابن، بنت).

وتقوم عمليات الضبط الاجتماعي على أسس معيارية متفق عليها، وكان الأنثروبولوجيون يفترضون أنّ مراحل تطور المجتمعات الإنسانية واحدة ومن ثم في حالة تعذر دراسة الأصول التاريخية لمجتمع ما فإنه ممكن دراسة مجتمعات أخرى في مرحلة تطور أدنى وصولاً إلى جذور المجتمعات المعاصرة، لكن هذا الافتراض النظري ثبت عدم دقته مؤخراً لظهور دراسات أثبتت أنّ انساق تطور المجتمعات لا يتم على نحو واحد.

٤- مرحلة الحملات الاستعمارية:

إن تاريخ الأنثروبولوجيا هو غير منفصل عن تاريخ الاستعمار (والتبشير) الأوروبي، فمنذ القرن السادس عشر وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، واصل بحارون

وتجار وإداريون ومبشرون إمداد الغرب بالمعلومات عن الشعوب الأجنبية. وابتداء من القرن التاسع عشر تقريباً، تم تجهيز الحملات لاستعمارية اللاحقة من خلال رحلات استعلام على غرار الرحلة التي قام بها المستكشف الألماني "هنريش بارث" في إفريقيا الغربية من ١٨٥٠ - ١٨٥٥ لحساب الجمعية الجغرافية الملكية في لندن.

إن الأنثروبولوجيا لم تنتشر إلا في البلدان المستعمرة الحديثة: في الدرجة الأولى بريطانيا العظمى. وتبدو كل الإدارات الاستعمارية مهتمة باستخدام أعمال الإثنولوجيين، فهي تستقدم باحثين، وتطلب إجراء أبحاث تطبيقية أولاً". (بوننت، ٢٠٠٤، ٦٥) ولا يخرج المستعمرون أبداً من اعترافهم بأن دراساتهم الأنثروبولوجية للشعوب هو لتأمين قاعدة للإرشادات السياسية والسيطرة الإدارية لهم على تلك الشعوب، فهم يرون ذلك وضعاً شرعياً وضرورياً وإنسانياً يسوغه تفوق المجتمع الغربي في مجال العلوم الاجتماعية، والحجة هي نقل هذه الشعوب إلى مرحلة المدنية والتقدم.

ولذلك فإن الدراسات الأنثروبولوجية المعمقة لتلك الشعوب لمعرفة تاريخها وعاداتها وحاجاتها ونقاط ضعفها كانت ميداناً خصباً لأفكار علماء الأنثروبولوجيا وانطلاقاً من ذلك اتجهت الدراسات الأنثروبولوجية في القرن التاسع عشر نحو دراسة النظم والبنى الاجتماعية من منظور تطوري في ماضيها

لمعرفة المراحل التي مرت بها تلك النظم مفترضين أن كل مرحلة تاريخية استتبع في أشكال تطورها اتجاهات متباينة ترتبط بفترات الماضي من جهة وبالواقع الراهن من جهة أخرى.

والفكرة حول ذلك أن النظام الاجتماعي هو نظام إنساني يمكن أن ينشأ في مكان وينتشر في مكان آخر حيث يتفاعل مع معطيات المجتمع ومن ثم يولد نسقاً جديداً من البنى الاجتماعية يتميز عما كانت عليه في مكان ولادتها الأولى، وهذا يتطلب من علماء الأنثروبولوجيا التمييز بين ثلاثة مفاهيم في الأنثروبولوجيا مفهوم نشأة النظام ومفهوم تطور النظام ومفهوم انتشار النظام، وهذا يعني أن البحوث الأنثروبولوجية يجب أن توجد قاعدة اقتصادية واجتماعية للاستعمار الجديد. حيث تجلى هذا الأمر بتحديث بعض الجوانب في البنى الاقتصادية والاجتماعية بما يعمل على استيعاب المعطيات الحضارية والتكنولوجية للمجتمع الغربي، فكان لا بد من تحديث بعض الأنظمة القضائية والإدارية في كثير من المجتمعات الإفريقية ومراجعتها بما يحقق الانسجام والتواء بين تلك الأنظمة، والاستقطالات الاستعمارية للمجتمع الرأسمالي (الأخرس، ٢٠٠١، ٣٤).

٥- انتقال الأنثروبولوجيا من دراسة المجتمعات البدائية إلى دراسة المجتمعات المعاصرة:

ركز علم الأنثروبولوجيا في بدايته منذ القرن التاسع عشر الميلادي على دراسة الإنسان وأسلافه الأوائل وأصوله منذ أقدم فترات التاريخ، وما قبل التاريخ وفي كل بقاع العالم، وذلك من خلال الحفريات والآثار، ولهذا انصببت اهتماماته على دراسة المجتمعات البدائية، لكن ما لبث هذا العلم أن تحول من علم يدرس المجتمعات البدائية إلى علم يدرس المجتمعات على اختلاف مستوياتها البدائية والمتقدمة والمعاصرة، ذلك لما تحمله كلمة (بدائية) من تجريح للشعوب الفقيرة. خاصة أن هذه الشعوب صارت إلى الزوال.

فأصبحت الأنثروبولوجيا تدرس الظواهر البشرية الحالية والماضية، والمجتمعات المصنعة والمتخلفة تقنياً. حيث توسع مجال الدراسة وشمل المجتمعات غير البدائية؛ كالقروية والبدو الرُّحَّل، والمجتمعات المتقدمة. أي أنها تدرس الثقافات التي تعد أجنبية بالنسبة لثقافة المعايين، ومن ثم يمكن للإنثروبولوجي الذي لديه ثقافة مدنية، أن يدرس مجتمعاً ذا ثقافة ريفية فلاحيه، وأن يدرس تقاليده الشعبية.

أما أسباب اقتصار اهتمام علماء الأنثروبولوجيا التقليدية على تحليل الأصول التاريخية لبعض المجتمعات البدائية فهي كثيرة، ومن خلال نظرة تحليلية لكل هذه الأسباب، يمكن تحديدها بالنقاط التالية:

أ- استخدامها من قبل المستعمرين: وبخاصة في مرحلة الاستعمار القديم وللتحكم بالشعوب المستعمرة (الاستعمار القديم). فقد درس

الأنثروبولوجيون المجتمعات غير الأوروبية، التي كانوا يطلقون عليها المجتمعات البدائية أو البربرية؛ أي: المجتمعات الصغيرة والمعزولة؛ مثل: "المجتمع القبلي"، أو التي لا تعرف الكتابة؛ كما سماها البعض في تلك الفترة والآن، عن طريق مجموعة من الرحل والمستكشفين والعسكريين الذين كانوا يذهبون إلى هناك على شكل بعثات استكشافية لهذه المجتمعات، الغاية منها توطين الاستعمار بها واستغلالها، خصوصًا مجتمعات العالم الإسلامي، مع التركيز على المشرق العربي، كون هذه المنطقة هي مهد للديانات السماوية، وتتوفر فيها ثروات مهمة كالنفط والغاز الطبيعي، بالإضافة إلى أنها عرفت امتداد ثلاث إمبراطوريات كبرى.

ب- اعتماد علم الأنثروبولوجيا على المنهج التكاملي، أو ما يسمى في هذا العلم بالنظرة الشمولية. وبالتالي تسعى الدراسات الأنثروبولوجية نحو تحديد جميع عناصر الثقافة والنظم الاجتماعية في مجتمع ما. وهذا لا يتحقق إلا بدراسة المجتمعات البدائية صغيرة الحجم مثل قبائل "النوير" والأراندي" بالسودان. وهنا يعمل الأنثروبولوجي على تشخيص طريقة حياة أبناء القبيلة، من خلال ملاحظة مساكنهم وملابسهم والأدوات التي يستخدمونها ونظمهم العائلية والقرابية والاقتصادية والدينية. وكذلك يهتم بدراسة الطقوس الدينية والمعتقدات السحرية والعادات والتقاليد والفنون السائدة، علاوة على اهتمامه بتناول النظام السياسي والجماعات التي تتكون منها القبيلة والمراكز الاجتماعية فيها والأدوار الاجتماعية لأفرادها. وهكذا يستطيع الأنثروبولوجي التعرف على طريقة حياة

المجتمع الصغير الذي يدرسه، على حين لو أجرى هذه الدراسة على المجتمع الهندي أو المجتمع الفرنسي أو المجتمع المصري لعجز عن تحديد طريقة الحياة تلك، ولما توصل إلى الصورة الكلية التي يقود إليها المنهج التكاملي.

ج- العامل الإيديولوجي : يرى الأنثروبولوجيون أن العامل الإيديولوجي أسهم إسهاما بارزا في تركيز علماء الأنثروبولوجيا الأوائل على دراسة المجتمعات البدائية صغيرة الحجم. نظرا لما انتصف به تلك المجتمعات من سمات رئيسة تؤلف مجالا خصبا للأنثروبولوجي وللتعرف على أصل الإنسان وأطوار المجتمعات. من بدائية إلى متحضرة حيث سعى بعضهم إلى وضع مقياس يقيس تطور المجتمعات، بحيث تحتل المجتمعات الأوروبية قمته (مائة درجة مثلاً)، وتشغل المجتمعات البدائية نقطة البداية فيه (الصفر مثلاً)، وبين هذين القطبين (من الصفر إلى المائة)، يمكن التعرف على المستوى أو الدرجة التي تشغلها هذه المجتمعات على مقياس التطور. (المكاوي، ١٩٩٠، ١٩ - ٢٠).

ذ- البحث عن الأصول الأولى للنظم والثقافات: كان السبب الآخر في تركيز علماء الأنثروبولوجيا على دراسة المجتمعات البدائية، أو ما يسمونها بـ "المجتمعات اللاكتابية" المنعزلة أو الأقل تقدماً هو البحث عن الأصول الأولى للنظم والثقافات، معتقدين أن هذا هو الطريق إلى فهم كيفية تطور الثقافة وطبيعة السلوك الإنساني، وذهبوا إلى اعتقاد أن الثقافات قد نشأت وتطورت في سلسلة من المراحل المتوازية، ويرى الأنثروبولوجيون أن غاية تغير المجتمعات هو التقدم والرقى، وأن

المراحل التي يمر بها أي نظام من الأنظمة الاجتماعية هي المراحل نفسها التي يمر بها أي مجتمع آخر.

فكل نظام يتطور وفق مراحل معينة، ويتعين عليه أن يمر بها مهما تكن الظروف؛ لأن تلك المراحل عالمية؛ أي: يمر بها كل مجتمع في العالم في خطوط مستقيمة، وبما أن المجتمعات البدائية تمثل البداية البسيطة للمجتمعات المركبة، فإن دراسة هذه النظم الاجتماعية البسيطة تمكنهم من فهم كيفية نشوء التركيبات الاجتماعية والسياسية المعقدة، ومن ثم كيف تطورت. هذا الافتراض بدا يتضاءل لظهور دراسات أثبتت أن انساق تطور المجتمعات لا تتم عادة بشكل واحد فدراسة المجتمعات البدائية في إفريقيا قد لا تؤدي إلى فهم واقع المجتمعات الأوروبية المعاصرة.

مراجع الفصل الثاني

- الأخرس، محمد صفوح (٢٠٠١) الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات، وزارة الثقافة السورية.
- بونت، بيار وإيزار، ميشال (٢٠١١) معجم الانثولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصمد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت.
- السباعي، بدر الدين (١٩٨٥) مشكلة المرأة / الحل التاريخي، دار الجماهير، دمشق.
- مير، لويس (١٩٨٣) مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة: شاكر مصطفى سليم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
- المكاوي، علي (١٩٩٠) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة.



الفصل الثالث

علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم اللغات
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا
- علاقة الأنثروبولوجيا بالفولكلور



مقدمة

على الرغم من الاعتراف بالأنثروبولوجيا علماً مستقلاً بذاته، يدرس الإنسان من حيث نشأته وتطوره وثقافته، فما زال العلماء، ولا سيما علماء الإنسان يختلفون حول تصنيف هذا العلم بين العلوم المختلفة.. فيرى بعضهم أنه من العلوم الاجتماعية، كعلم النفس والاجتماع والتاريخ والسياسة. ويرى بعضهم أيضاً أنه من العلوم التطبيقية، كالرياضيات والطب والفلك. بينما يرى بعضهم الآخر أنه من العلوم الإنسانية، كالفلسفة والفنون والديانات.. لكن هذه العلوم كلها دخلت على مرّ التاريخ الثقافي لشعب ما، إلى جسد هذه الثقافة وأصبحت جزءاً منها، ومكوّناً من مكوّناتها، الأمر الذي أدى في النهاية إلى اختلاف الثقافات بين المجتمعات البشرية. ومن هنا كان علم الأنثروبولوجيا، ذا صلة بكثير من العلوم أخرى.

فعلم الأنثروبولوجيا اضطرّ المرة تلو المرة، إلى الانتظار ريثما تتجح العلوم الطبيعية في استجلاء نقطة معينة عن طريق التجارب التي تجري على الحيوانات. ومما لا شك فيه أنّ نتائج الأبحاث التي أجراها علماء الوراثة على الجرذان وذباب الأشجار المثمرة، هي التي مهّدت الطريق لفهم قوانين الوراثة عند الكائنات البشرية، ولجلاء المشكلات المختلفة المتصلة بما يسمّى (العروق أو الأجناس البشرية). غير أنّنا من جهة أخرى، نستطيع القول : إنّ الحقائق التي اكتشفتها العلوم الطبيعية، لا تساعد كثيراً في فهم طبيعة السلوك الإنساني، وذلك لأنّ معظم الظواهر السلوكية البشرية لا تجد ما يماثلها مماثلة وثيقة على الصعيد الحيواني.

ويصدق هذا بوجه خاص على الظاهرات المتصلة بالحياة الاجتماعية المنظمة. فمع أن علماء الأنثروبولوجيا استطاعوا استخدام بعض الأساليب التي طوّرتها العلوم الاجتماعية، فإنهم قلّما اضطروا إلى انتظار تطوّر مثل هذه الأساليب. والواقع أن إسهامهم في تطوّر العلوم الاجتماعية، لا يقل شأنًا عن إسهام هذه العلوم في تطوّر الأنثروبولوجيا (لينتون، ١٩٦٧، ١٦).

وعلى الرغم من أن الإنسان يدرس من قبل علوم أخرى؛ كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ، وعلم التشريح، والجغرافيا البشرية والسياسية، وعلم الاقتصاد، وعلم الأديان، إلا أن علم الأنثروبولوجيا ينفرد بخصائص منهجية في دراسة الإنسان، يتحدد من خلالها سمات هذا العلم عن بقية العلوم الأخرى، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

١- علم الأنثروبولوجيا يدرس المجتمع إجمالاً، دون التركيز على جانب محدد بذاته، وبذلك فهو يستخدم المنهج الكلي في الدراسة، ويدرس المجتمع من عقائده، وشعائره، واقتصاده، وسياسته... إلخ.

٢- يستخدم علم الأنثروبولوجيا المنهج المقارن في دراسة الإنسان، فهو أنسب الطرق في دراسة الأنثروبولوجيا؛ حيث تتم دراسة مقارنة لمجتمعات متعددة في أبنيتها الاجتماعية وثقافتها؛ حتى يمكن التوصل إلى تعميمات علمية مجردة، تُحدد خصائص تلك المجتمعات.

٣- تعتمد الأنثروبولوجيا الثقافية أو الاجتماعية المعاصرة على ما يسمى بالبحث الحقلّي، أو المعاينة الميدانية للنموذج المختار للدراسة؛

حيث انتهى عهد الأنثروبولوجيا النظرية، وأصبحت الدراسة الميدانية هي الحقل التجريبي لعلم الأنثروبولوجيا، تمامًا كبقية العلوم الأخرى التي تعتمد على التجارب المخبرية.

٤- من أهم الخصائص التي تميز الأنثروبولوجيا عن غيرها من العلوم الإنسانية، هو اختياره لنوعية معينة من النماذج المجتمعية التي تدرسها، وقد كان النموذج المختار للدراسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هو المجتمع الذي يوصف بأنه بدائي؛ لأنه مجتمع صغير نسبيًا ومحدود الكثافة، تسهل دراسته دراسة كلية شاملة.

وتؤلف الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى - ولا سيما العلوم الإنسانية - منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول كائن موضوع الدراسة، وهو الإنسان، ويأتي هذا التشابك (التكامل) بين هذه العلوم بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية التي تنظم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بين المجالات المعرفية المختلفة التي تسعى إليها هذه العلوم. (الحاجي، بدون عام، ٣).

وسنكتفي بتبيان صلة الأنثروبولوجية بعلم الأحياء، وعلم الاجتماع، وعلم الفلسفة، وعلم النفس، وعلم الجيولوجيا والجغرافيا، وعلم اللغات، وعلاقتها بالفلكلور، ونترك صلتها بالعلوم الأخرى لأنها سترد في الفصول اللاحقة، من خلال عرض فروع الأنثروبولوجيا.

— علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء / البيولوجيا

يتناول علم الأحياء دراسة الكائنات الحية من وحيد الخلية الأبسط تركيباً، وحتى كثير الخلايا والأكثر تعقيداً. ولذلك يعرف بأنه: العلم الذي يدرس الإنسان فرداً قائماً بذاته، من حيث بنية أعضائه وتطورها.

ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية، ولا سيما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي. وتدخل في ذلك، نظرية التطور التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحية وأنواعها ووظائف أعضائها، تتغير باستمرار ما دامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالاً جديدة، قد تكون أرقى من الأجيال السابقة، كما هي الحال عند الإنسان. كما تستند هذه النظرية إلى أن الإنسان بدأ كائناً حياً بخلية واحدة، تكاثرت في إطار بنيته العامة، إلى أن انتهى إلى ما هو عليه الآن من التطور العقلي والنفسي والاجتماعي. وهذا ما دلت عليه بقايا عظام الكائنات الحية المكتشفة في الحفريات الأثرية.

فالأنثروبولوجيا، من الناحية النظرية، شديدة القرب من البيولوجيا ؛ فكلاهما يدرس عملية إعادة إنتاج الحياة، وكلاهما مبني على نموذج نظري للتتبع، وكل في تخصصه. (الشماس، ٢٠٠٤، ٣٢)

إن المنهج البيولوجي للإنسان هو واحد من مركبات الأنثروبولوجيا ذات الرؤية الطبيعية. تأخذ هذه الأنثروبولوجيا المغتنية ببعد بيولوجي عن الميادين الأخرى للبيولوجيا مفاهيم جديدة، ومعارف وتقنيات. وزيادة على ذلك، تأخذ مما أتت به العلوم الاجتماعية كميات متغيرة القيمة كثيراً ما تعرف أو تراقب ظهور

السمات البيولوجية. وستضع الأنثروبولوجيا البيولوجية نفسها على مفصل البعدين البيولوجي والاجتماعي، تاركة وضعها البدائي مجرد علم طبيعي. إن أولى المهمات التي ستوكل إليها هي وضع مسألة الأعراق البشرية قيد المراقبة العلمية. لقد سمحت محاضرات نظمها الانيسكو (خصوصاً بين ١٩٥١ و ١٩٦٤) بإثبات قيمة وحدود تطبيق مفهوم العرق على الإنسان وبوضع حد للسجلات حول هذا لموضوع ضمن العلم". (بونت، ٢٠١١، ٢٢٧)

ويحظى تحليل التنوع في العلمين، بأثر حيوي: التنوع الجيني في علم (البيولوجيا) والتنوع الاجتماعي في (الأنثروبولوجيا)، فالتنوع أمر أساسي لما تسميه البيولوجيا " الفاعلية البيولوجية " وهي القدرة على مواصلة الحياة، وإخلاف الذرية. والأمر ذاته نجده في الأنثروبولوجيا فيما يطلق عليه: إشباع الحاجات الأساسية.

"إن ما يميز دارس الأنثروبولوجيا البيولوجية، ويجعل ميدان دراسته جزءاً متصلاً من ميدان الدراسة الأنثروبولوجية العامة اهتمامه بالتنوع البشري والتكيف، وظاهرة الثقافة بالذات. فمن الواضح أن الإنسان يشترك في كثير من السمات البيولوجية وبقية العالم الحيواني. وقد تعرض الإنسان وأسلافه لبعض التغيرات البيولوجية من أجل التكيف مع الظروف البيئية الجديدة أو المتغيرة. على أن أسلاف الإنسان استطاعوا عند نقطة معينة من تاريخهم تطوير القدرة على صنع الثقافة، مما أتاح لهم زيادة أكبر في تنوع وفي سرعة الاستجابات التكيفية. وتنقسم البحوث العديدة المتنوعة في الأنثروبولوجيا البيولوجية إلى ميدانين رئيسيين هما:

- دراسة الإنسان نتاجاً لعملية التطور.
- دراسة الجماعات البشرية وتحليلها". (الجوهري، ٢٠٠٤، ٢٩)

بالإضافة لذلك، تسعى الأنثروبولوجيا الطبيعية للتعرف على السمات الفيزيائية للإنسان القديم، ولذلك يفتش الباحثون عن آثاره ومخلفاته، ويقارنون بينها وبين بعضها من ناحية، وبينها وبين الإنسان من ناحية أخرى، وتعد دراسة العمليات الفعلية التي تحدث التغيرات البيولوجية في الإنسان من أهم موضوعات الأنثروبولوجيا البيولوجية " (Reger, 1974, 122-126).

ومهما يكن الأمر، فإنّ النقاش ما زال مفتوحاً حول أثر الأنثروبولوجيا في الدراسات الخاصة بتطور الإنسان هذا التطور الذي يدخل في الإطار التاريخي، ولكن بطبيعة بيولوجية، لا بدّ من دراسة مبادئها ومظاهر تغييرها.

- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع

علم الاجتماع : هو دراسة الحياة الاجتماعية للبشر، سواء مجموعات، أو مجتمعات، ويدرس أيضا العلاقات بين الأفراد وعمليات التفاعل فيما بينهم، وتصرفاتهم أعضاء مكونين لهذه الجماعة، وقد عرّف أحياناً كدراسة التفاعلات الاجتماعية، فهو يركّز على سلوكيات الأفراد ضمن هذا المجتمع أو ذاك، ويدرس من ثمّ تأثير البيئة الاجتماعية (الاقتصادية والثقافية) في تكوين الشخصية الإنسانية، وتحديد العلاقات بين الأفراد.

إن مصطلح / علم الاجتماع / مشتق من كلمتين، الأولى هي (سوسيولوجيا Sociu) اللاتينية، وتعني رفيق أو مجتمع. والثانية (لوغوس Logos) اليونانية، وتعني العلم أو البحث. وبما أن علم الاجتماع يتناول التفاعل الاجتماعي عندما يدرس الجماعة، فإن ثمة تداخلاً كبيراً بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فكلاهما يدرس البناء الاجتماعي والوظائف الاجتماعية..

ولكن كيف نميز علم الأنثروبولوجيا من علم الاجتماع؟ إن هذا السؤال قائم على أساس أن كل من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يدرس النظم الاجتماعية، ولكن التفرقة التقليدية بينهما تتلخص في أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس المجتمعات البدائية بينما يدرس علم الاجتماع المجتمعات المتقدمة لدرجة أن عرف بعض العلماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها علم الاجتماع الذي يدرس المجتمعات البدائية. وتتخلص الإجابة عن ذلك السؤال فيما يلي :

١- بأن التمييز يقوم على أساس المنهج المتبع، إذ بينما تتبع أبحاث الأنثروبولوجيا منهج الدراسة الميدانية المركزة وتهتم بتحديد العلاقات الوظيفية بين النظم الاجتماعية، نجد أن أبحاث علم الاجتماع تتبع المناهج الإحصائية السريعة التطبيق وتهتم بالنظام الاجتماعي كموضوع الدراسة- في ذاته بالربط بينه وبين نظام أو عامل آخر بصورة إحصائية" (وصفي، بدون تاريخ، ٥٢).

٢- تركز الأنثروبولوجيا في دراساتها، على المجتمعات البدائية / الأولية، وأيضاً المجتمعات المتحضرة / المعاصرة. أما علم الاجتماع

فيركز في دراساته على المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كما يدرس الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع أو ذاك من المجتمعات الحديثة، ويندر أن يدرس المجتمعات البدائية أو المنقرضة. (الشماس، ٢٠٠٤، ٢٧).

٣- علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية يدرس الحياة الاجتماعية (المجتمع كله)، وينظر إليها نظرة شاملة، ويدرس البيئة العامة، والعائلة ونظم القرابة والدين والتكنولوجيا والفن وغير ذلك على أنها أجزاء في نسق اجتماعي عام، بينما تكون دراسة علم الاجتماع متخصصة إلى حد بعيد. بمعنى أنه يدرس بعض مسائل أو مشكلات منفصلة قائمة بذاتها كمشكلات: الأسرة والطلاق والجريمة، والبطالة (بريتشارد، ١٩٦٠، ٣١).

د- أن الباحث الأنثروبولوجي، يعتمد تشخيص الظاهرة استناداً إلى فهم الواقع كما هو، ومن خلال الملاحظة المباشرة ومشاركة الأفراد في حياتهم العادية. (الشماس، ٢٠٠٤، ٢٧) - في المقابل نجد أن الباحث في علم الاجتماع، يعتمد على افتراضات نظرية لدراسة وضع المتغيرات الاجتماعية، ويحاول التحقق منها من خلال المعلومات التي يجمعها بواسطة استبيان أو استمارة خاصة.

"مثال: الباحث الأنثروبولوجي يدرس جماعة ما من منظور حضاري فيدرس تاريخها وتطورها العادات والتقاليد... كل ما يسهم في تعميق المعرفة بهذه الجماعة. كما يستخدم الملاحظة الاستبتيان

والصور الحية. أما الباحث الاجتماعي يتوجه لدراسة الجماعة استنادا لاستمارة أسئلة ويقوم بتعميم النتائج على باقي الجماعات.

- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة

تعود كلمة (فلسفة) إلى الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين: (فيلو PHILO + سوفيا SOPHY) أي فيلوسوفيا PHILOSOPHY، وتعني : (حبّ الحكمة) أو محبة الحكمة.

وإذا كانت الفلسفة كما يرى أرسطو هي "علم المبادئ والأسباب الأولى غايتها البحث عن الحقيقة برمتها وبأكثر الأساليب الفكرية نظاما وتماسكا " فإنها بهذا تشارك الأنثروبولوجيا في عملية البحث عن الحقيقة مع اختلاف الوسائل بينهما (أم العلوم) كما كانت تسمى، بالنظر لشمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والإنسانية والفيزيائية، فإن صلة الأنثروبولوجيا بها وثيقة جدًا، ولا سيما فيما يتعلّق بعدد من النقاط، أهمها:

١- نظرة الإنسان إلى الكون والحياة، وتأملاته المختلفة في زمان ما أو مكان محدّد هو أحد الموضوعات المهمة للأنثروبولوجيا التي تهدف إلى الكشف عن مختلف أنماط التفكير والسلوك لدى الجماعات البشرية عبر الزمان والمكان.

٢- دراسة أصل الإنسان ونشأته وحياته وسعيه إلى البقاء والخلود، وما ينجم عن ذلك من تطوّر وتغيّر مستمرّين، كلّها تقع في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية، ولا سيما تلك العلاقة الأزلية بين طبيعة الإنسان، وواقعه وما يطمح إليه من آمال وأهداف، تؤمّن صيرورة حياته. وقد أعلن "مرسال موس" ١٩٦٠ عن الأمل بأن "الأنثروبولوجيا الكاملة قد تحل مكان الفلسفة لكونها

قد تتوصل بالتحديد إلى فهم تاريخ الفكر البشري الذي تفترض وجوده. وبانتظار تحقق ذلك الاحتمال البعيد الحدوث، علينا الملاحظة بأنه بسببي النسيج والمشروع المعرفي للانثروبولوجيا والفلسفة، يجدر عدم وصف العلاقات القائمة بينهما علاقات علمين يواجه كل منهما الآخر.

٣- التجربة الانثروبولوجية تتطوي على بعد فلسفي واضح، مثلما لا يمكن فصل المعرفة التي يقدمها المؤرخ عن بعض فلسفة للتاريخ. كما أن التحليل الأنثروبولوجي يوجد دائما داخل أطر من الأفكار والمبادئ الأساسية والبديهيات الأولية التي كانت تفترض عادة على أنها منتمية للفلسفة. فليس هناك من نظرية انثروبولوجية متحررة بالكامل من "فلسفة ظل"، كما أن عين الانتوجرافي هي دائما، بطريقة أو بأخرى، عضو تراث فكري. وتصورات الغيرية الثقافية تندرج في أفق انتظار يحدد رؤية الآخر، في عمق الصورة.

٤- الفلسفة سابقة للانثروبولوجيا إذن، وهي ترافقها حتى على الأرض. وذلك لا يعود فقط لكون المسيرة الأنثروبولوجية هي، كما يقول "كلود ليفي-ستروس" (١٩٧٣) أم الشك ومرضعته، ووقفه فلسفية مثالية، ولكن أيضا لكون شروحات الانتوجرافيين، وحتى توصيفاتهم البسيطة، تتداخل مع قرارات نظرية وخيارات منهجية لا يمكن لأي ملحق إثنوجرافي أن يبررها أو يدينها. تقيم الانثروبولوجيا إذن، وبصورة دائمة، على أرضية الفلسفة، حتى وإن لم يتجاوز ذلك تساؤلات التكوين والمباحث العلمية التي تنيرها كليات تملأ اللوحات الانتوجرافية ويمنحها التحليل مواصفات ومهمات. (بونت، ٢٠١١، ٢١٥-٢١٦)

٥- مفهومي الزمان والمكان: إن العلاقة بين الفلسفة والانثروبولوجيا تأتي من منطلق صعوبة الفصل بين الفلسفة بمعناها المطلق والعلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية، وبخاصة ما يتعلق بنظرية الإنسان لمفهومي الزمان والمكان، حيث إن إدراك الإنسان لمفهوم الزمان لم يكن واحدا عبر العصور. كذلك فهم الفلاسفة له لم يكن واحدا. "وتعتمد الأعمال الأنثروبولوجية إلى معالجة الزمن في الأساس عبر أشكال إدراكه، والتصورات التي ينتج عنها، وطريقة احتسابه وإدارته. ولا يتم تصور الزمن إلا من خلال علاقة الإنسان بالطبيعة من جهة، وبالمجتمع من جهة أخرى، على أن يجعل كل منهما منتميا إلى زمنية مختلفة جذريا عن الأخرى. هكذا يمكن تبين مظاهر عديدة للزمن الاجتماعي: بيئي، تقني -اقتصادي، سلالي، اسطوري، تاريخي، طقوسي....، يمكن أن يعتبر كل منها معبرا عن زمنية مختلفة." (بونت، ٢٠١١، ٥٣٢).

وبالنسبة للعلاقة بين الزمان والمكان علاقة ارتباط بين الفلسفة والتعبير الاجتماعية، فالزمان والمكان تعبيران ملتصقان بالحياة الاجتماعية أشد التصاق، ما الذي يخطر ببالك عندما نسمع كلمة الزمن؟ (ساعة - دقيقة - ثانية - يوم - أسبوع - شهر - سنة - فصل - ربيع - خريف - صيف - شتاء - نهار - ليل - شروق - غروب - عيد - صوم ..إلخ) (الزمن التاريخي - الزمن النفسي - الزمن السابق - الزمن اللاحق - الزمن الصاعد - الزمن المتكسر - الزمن الدائري - الزمن اللولبي).

- ما الذي يخطر ببالك عند سماع كلمة مكان ؟ بيت - غرفة -
شقة منزل - مكتب - مدرسة - مسجد - كنيسة - مستشفى - عيادة -
مستوصف - دكان - مقهى عادي - مقهى انترنت - سيارة - كراج -
مطار - طائرة - ميناء - سفينة - شاطئ...

"فالزمن شيء يصعب الإمساك به، تدركه عقولنا ولا نستطيع إدراكه بحواسنا، ولكننا قد ندرك آثاره التي يعتقد البعض أنها الزمن، فنحن نرى حركة عقرب الثواني بينما لا نستطيع أن ندرك حركة عقرب الساعات بالسرعة والدقة نفسها، والزمن يرتبط بالمكان والحركة التي لولاها لما استطعنا إدراك الزمن.

فحركة الأرض حول نفسها تنتج الليل والنهار، بينما تنتج حركتها حول الشمس الفصول الأربعة وما يترتب عليها، والزمان تابع للحركة ناتج عنها، والحركة لا يمكن أن تحدث إلا في المكان" (أيوب، ٢٠٠٤، ٣) أما المكان فهو "الموقع الثابت المحسوس القابل للإدراك والحاوي للشيء، وهو مستقر بقوة إحساس الكائن الحي " الإنسان:

نزول كما زال أجداننا * ويبقى الزمان على ما ترى
أما المكان فثابت لا ينطوي * لكن زمانك ذاهب لا يثبت

وحسب بعض المدارس الفلسفية، فإن الزمان والمكان شكلان رئيسيان لوجود المادة ، والفلاسفة معنيون أساسا إذا كان الزمان والمكان حقيقيين أو أنهما بكل بساطة تجريدان خالصان ولا يوجدان إلا في وعي الإنسان (شيلا، ٢٠٠٨، ٥).

- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس

يهتم علم النفس بدراسة الإنسان الفرد من جوانب شخصيته المختلفة بغية الوصول إلى حقائق تتصل بالظواهر النفسية، ويهتم علم النفس كذلك "بالمبادئ والقوانين العامة التي تحكم سلوك الإنسان السوي، ومن الموضوعات الرئيسية التي يهتم بها علم النفس العام الدافعية والانفعالات والذكاء والقدرات العقلية كالإدراك والتفكير والذاكرة والانتباه ، وكذلك يهتم بالتعلم والشخصية " (الداهري ، بدون عام، ٢٥). كما يهتم بالمبادئ الأساسية المساهمة في النمو عند الإنسان ابتداء من لحظة ميلاده مروراً بمرحلة الطفولة والمراهقة ووصولاً إلى مرحلة الشيخوخة، حيث يعمل على توضيح العوامل المؤثرة في عملية النمو سواء أكانت وراثية أو بيئية مرتبطة بالمجتمع.

ونجد الأنثروبولوجيا تتشارك وعلم النفس في دراستها للسلوك الإنساني لكن ضمن الإطار الثقافي والاجتماعي والحضاري الذي ينتمي إليه ويعيش فيه. إلى جانب أنه يدرس تأثير البيئة على سلوك الأفراد، إذ نجد أن سلوك الأفراد بالبادية يختلف كثيراً عن سلوك الأفراد بالمناطق الحضرية.

ويمكن تحديد أهم النقاط التي تشير إلى العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس بما يلي:

١- ضمن الأنثروبولوجيا يظهر لنا أحد فروعه وهو الأنثروبولوجيا النفسية، ويتضمن هذا الفرع دراسة علاقة الفرد بالثقافة والمجتمع فهو يدرس سلوك الإنسان في جماعة عموماً، أما علم النفس فيركز على الفرد خاصة. هذا ويوجه الاهتمام في الأنثروبولوجيا النفسية بدراسة "الشخصية والتغير الثقافي والدراسة المقارنة للتغير المرتبط بالنمو على امتداد دورة حياة الفرد ودراسة مفهوم

الهوية... ومن المؤثرات النظرية الأساسية في الأنثروبولوجيا النفسية نظرية "فرويد" أو التحليل النفسي" (شعبان، ٢٠٠٤، ١٢-١٣).

٢- يهتم علم النفس بتفسير الأحلام والمرض والرموز التي يستخدمها الإنسان في التعبير عن واقعه، ورأى فيها الأنثروبولوجيين منبعاً لدراسة انثروبولوجية معاصرة.

٣- على الرغم من أن علم النفس يقصر دراسته على الإنسان الفرد، بينما تركز الأنثروبولوجيا اهتمامها على المجموعة من جهة، وعلى كل فرد بصفته عضواً في هذه المجموعة من جهة أخرى، فثمة صلة وثيقة بين العلمين. حيث اكتشف علماء النفس أن الإنسان لا يعيش إلا في بيئة اجتماعية يؤثر فيها ويتأثر بها، يتفاعل مع أعضائها، يتعاون معهم ويتضامن، ويمارس السيطرة أو يخضع للسيطرة، وكل هذه القضايا (التعاون - التكافل - القيادة والمشاركة..) إنما هي عناصر أساسية للأنثروبولوجي الذي يريد فهم مجتمع ما.

٤- إذا كان علم النفس يهتم بالخصائص الجسمية للإنسان وعوامل البيئة وعلاقتها بالسلوك فإن من مهام الأنثروبولوجي تحديد وتصنيف الخصائص الجسمية العامة وتفسير سلوك الجماعة في ضوء خصائص جسمية وبيئية معينة.

٥- لعلم النفس أثر مهم في فهم سلوك الناس الاجتماعي وهو ما يتفق مع اهتمام الأنثروبولوجيا الاجتماعية حيث تركز على تفكير الناس وقيمهم وعقائدهم ورموزهم، فلكي يفهم الأنثروبولوجي السلوك الجماعي لجماعة ما لا بد من الرجوع للتركيبة العقلية لديهم وهو ما يقتضي الإلمام بمبادئ علم النفس.

٦- علاقة الثقافة موضوعاً أساسياً للأنثروبولوجيا بالشخصية كموضوع أساسي لعلم النفس. ففهم الشخصية الإنسانية لا يتم إلا في سياق الثقافة المجتمعية، كما أن فهم ثقافة المجتمع ترد إلى شخصية الأفراد الذين ينتجونها وعلى رأسهم شخصية القادة والزعماء الذين يصنعون الاتجاهات العامة في المجتمع.

- الأنثروبولوجيا وعلم اللغة

هناك علاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم اللغة فكلا العلمين يحاول فهم إسهام اللغة في المجتمعات البشرية والمهمة التي جسدها في رسم الصورة العامة للحضارات الإنسانية المتطورة فلا يمكننا أن نعرف ثقافة أي مجتمع بعاداته وتقاليد غير التعرف على لغته بعناصرها المختلفة. وعلم اللغة يختص بدراسة جميع اللغات البشرية قديمها وحديثها، ويهتم علم اللغة بلغات المجتمعات المدروسة من حيث أصولها، وتطورها، وتركيبها.

ويختلف الأنثروبولوجي عن دارس اللغات لمجرد معرفتها، أو عن دارس الأدب الذي يهتم بالأعمال الأدبية، أو عن الفقيه اللغوي الذي ينظر إلى اللغة وسيلة لفهم أدق للتراث من الناحية الأدبية. ومن أهم النقاط التي تميز دراسة الأنثروبولوجي للغة عن باقي الدراسات يمكن أن نجملها بمايلي:

١- يهدف الأنثروبولوجي إلى الكشف عن الأصول التاريخية لنشأة اللغة عموماً، والمجموعات المتشابهة فيها على وجه الخصوص.

٢- يقارن اللغات بعضها ببعض ليحدد الظواهر اللغوية الشائعة بينها على وجه العموم، وعلى ضوء ذلك يتمكن من فهم العمليات والتطورات التي أدت إلى نشأة اللغة وتطورها واختلافها.

٣- يسجل لغات المجتمعات البدائية ليحيلها إلى لغات مكتوبة تخضع للتحليل اللفظي، ومن ثم يستخرج مضمونها الحضاري.

٤- "الأنثروبولوجي لا يربك نفسه بالمشاكل اللغوية الصرفة، إذ إن العلاقة بين لغة القوم وحضارتهم تلقى منه اهتماماً زائداً، مثال ذلك العلاقة بين اللهجة والمرتبة الاجتماعية. وكذلك يهتم أيضاً بدراسة بعض العبارات والمقاطع التي يقتصر استعمالها فقط على الطقوس والشعائر.

٥- يجري مقارنة بين التغيير الاجتماعي الحاصل لحضارة مجتمع ما وبين ما ينعكس من تغير مواز في مفردات لغة هذا المجتمع.

٦- يركز الأنثروبولوجي اهتمامه في الكشف عن كيفية نقل اللغة من جيل إلى جيل، وكيف أن مثل عمليات التوريث اللغوي هذه تنقل معها عقائد وتقاليد وأعراف المجتمع، وبعبارة أخرى فإن الأنثروبولوجي اللغوي ينظر أساساً إلى الإسهام المهم الذي تقوم به اللغة في المجتمعات الإنسانية، والعلاقات الوثيقة القائمة بين لغة مجتمع من المجتمعات الإنسانية وحضارته " (الأخرس، ٢٠٠١، ٤٥).

ويعتمد الأنثروبولوجي اللغوي في دراساته على اللغة الكلامية، ولذلك يستمع إلى المواطنين، وخاصة أن معظم أبحاثه تكون متعلقة بلغات كلامية لم تكتب بعد، فيقوم بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام رموز دولية متعارف

عليها، وتتركز معظم هذه الدراسات في المجتمعات البدائية التي لم تعرف القراءة والكتابة، ولكن لها لغة كلامية خاصة بها، إذ لا يوجد مجتمع إنساني مهما تتخلف حضارته بدون لغة كلامية.

"لقد أظهر الأنثروبولوجيون أهمية اللغة بالنسبة للمجتمعات متعددة الخصائص والموجود فيها عدد من اللهجات، وتظهر هنا مشكلة ازدواجية اللغة (الشفوية-المكتوبة) "الدياغلوسيا" وهي ظاهرة مرضية، تشير إلى التباين بين اللغة المكتوبة واللغة الشفوية. مع تشابك بظاهرة الأمية. حيث يبرز التباين الكبير بين النخبة المثقفة وعامة الشعب.

ويعتبر نقل الكتاب المقدس إلى صيغة مفهومة من العامة والخاصة من أهم الثورات الفكرية في نطاق الإصلاح الديني في أوروبا. فاللغة المكتوبة بأصولها التقليدية لا بد أن تكون عامة ومفهومة حتى تحقق وسيلة الاتصال ونقل التراث" (مسلم، ١٩٩٣، ١٠٨).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الازدواجية اللغوية ظاهرة كونية، وكل ما في الأمر أن تباين أو تقارب المستويين مرتبط بمسائل ثقافية، وخاصة انتقاء الأمية وانتشار التعليم.

مما سبق يتضح الارتباط الوثيق بين علم اللغة والأنثروبولوجيا الحضارية، وذلك لأن عليهما دراسة لغة المجتمع الذي يبحثانه، ولا يتم ذلك إلا عن طريق دراسة مبادئ علم اللغة. ولكن من الناحية الواقعية نلاحظ أن علم اللغة له أقسام مستقلة في الجامعات، ويعود السبب في ذلك إلى إمكان دراسة

اللغة وتحليل عناصرها بصورة مستقلة عن بقية عناصر الحضارة، ويقوم المتخصصون في تلك الأقسام بصورة مادة اللغويات وفروعها لطلبة أقسام الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا.

- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا

تعود كلمة (جيولوجيا) إلى الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين (Geo) وتعني الأرض و (لوجيا Logos) بمعنى علم، فكلّمة جيولوجيا تعني علم الأرض. وعلم الجيولوجيا يتعلّق بالحفريات القديمة وهي مصدر رئيس لعلم الأنثروبولوجيا إذ من خلال هذا العلم يمكن تحديد عمر البقايا العظمية لإنسان ما قبل التاريخ مثلاً ودراسة حضارته وثقافته و الفترات الزمنية التي عاش فيها كلّ نموذج من أنواع الجنس البشري، وهذا إلى جانب معرفة العالم الحيواني الآخر الذي كان يحيط به، من خلال التعرف إلى البقايا العظمية المستحاثية للأنواع الحيوانية التي كانت تعاصره في بيئة جغرافية واحدة. كما يمكن التعرف إلى الظروف المناخية التي كانت سائدة عندما كان يعيش هذا الإنسان.

وكما تستفيد الأنثروبولوجيا من الدراسات الجيولوجية، تستفيد أيضاً من المعطيات العلمية / الجغرافية، وفي مقدّمتها النواحي الطبيعية، فالمناخ والتربة والغذاء تمارس كلها تأثيراً فيزيائياً ونفسياً مباشراً. ولعل طبيعة الأرض وأسلوب العيش الذي تفرضه البيئة ينعكس على تكوين الطبائع. فالبيئة تؤثر تاريخياً لأن الوضع الجغرافي يحث المجموعات الإنسانية على التحرك أو بالعكس يحد من مجالاتها الحيوية. فالبيئة إذا محرك تاريخي قوي وعلى الأخص المناخ الذي يضيف طابع الوحدة والتشابه، ففي حال وجود مناطق متجاورة متشابهة جغرافياً إلا أنها تختلف من حيث المناخ والتربة، ولذلك فهي تسم سكانها بطبائع متباينة

إلى حد ما. ويقول المؤرخ "سينيوبوس": أن الأمة الفرنسية تأثرت بطبيعة أرض البلد التي تكونت فيه قد حددت نوع معيشة السكان، كما تأثرت بموقع البلد الجغرافي، الذي أقر علاقات شعبه بالشعوب الأخرى في العالم.

إن بعض جوانب البيئة، تكون أكثر أهمية وتأثيراً من بعضها الآخر، في مراحل معينة من تاريخ التطور الإنساني، الحضاري والاجتماعي والثقافي... وهذا كله يدخل في جوهر الدراسات الأنثروبولوجية وأهدافها.

- علاقة الفولكلور بالأنثروبولوجيا

إن الدراسات الشعبية قد قامت في بداية نشأتها على أكتاف باحثين في علوم أخرى كالتاريخ وعلم الأساطير وعلم اللغة والأنثروبولوجيا وغير ذلك من العلوم التي أثرت في نظرة أولئك الباحثين وفي تحليلهم لمواد إبداع الشعب. ولكي نستعرض الصلة بين الفولكلور والعلوم الإنسانية لابد من أن نلاحظ، لأمجد الأثر الذي تركته العلوم الأخرى في مجال الفولكلور فحسب، بل مؤثرات علم المأثور الشعبي في تلك الميادين. فالصلة إذاً ليست مقصورة على التأثير، بل تشمل التأثير والتأثر على حد سواء.

والأنثروبولوجيا من أكثر العلوم الاجتماعية التصاقاً بالفولكلور. فقد اعتنى الأنثروبولوجيون منذ القدم بدراسة النصوص الشعبية، وظهرت كثير من النظريات الأنثروبولوجية التي أثرت في مدارس الفولكلور. ومن أهم هذه المدارس المدرسة الأنثروبولوجية الأمريكية بزعامة "فرانز بواز"، والمدرسة الوظيفية والمدرسة الانتشارية ومدرسة الارتقاء الثقافي .

وعد الأنثروبولوجيون علم الفولكلور فرعاً من فروع الأنثروبولوجيا، وسموه الأنثروبولوجيا الثقافية، وقصروا هذا الفرع من الدراسات الأنثروبولوجية

على دراسة أشكال التعبير الشفهية كالأغاني والحكايات والأمثال والحكم. وهذه النظرة الضيقة للمأثورات الشعبية استبعدت الكثير من أنماط الإبداع الأخرى كالعادات والتقاليد والفنون التعبيرية والثقافة المادية .

إلا أن علماء الأنثروبولوجيا قاموا مؤخراً بضم الفنون التعبيرية كالرقص والتمثيل والموسيقى وكذلك النحت والرسم والزخرفة إلى مجال الدراسات الفولكلورية. وتجدر الإشارة إلى أن نظرة الأنثروبولوجيين للإبداع الشعبي كانت ولا تزال نظرة إيجابية، فقد عدوا الفولكلور الوسيلة الأساسية لدراسة ثقافة الشعوب لأن المادة الشعبية ذات طبيعة عالمية. فلا توجد جماعة، مهما تكن درجة تقدمها، دون إبداع شعبي. فالفولكلور يربط الجماعات البدائية بالشعوب المتقدمة ثقافياً.

ورغم أن المأثورات الشعبية تُولففي نظر علماء الأنثروبولوجيا جزءاً من ثقافة المجتمع وليس الثقافة كلها، فإنهم عدوا الدراسات الأنثوجرافية التي لا تتناول الفولكلور دراسات ناقصة وضعيفة لذلك كان الفولكلور مادة مهمة لتقييم المؤسسات الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع وتصنيف الأنثروبولوجيين لكل ما يتناقل شفاهياً مأثوراً شعبياً هو من الأخطاء التي ارتكبوها في مفهومهم للمادة الشعبية، لذلك لم يوفقوا في التمييز بين الإبداع الأصيل والإبداع الزائف الذي يفتقر إلى السمات الأساسية التي تميز النمط الشعبي عن غيره من ألوان الإبداع. كما أخفقوا في إدراك بعض الظواهر المهمة في المأثور الشعبي كالتداخل الثقافي ومدى تواءم الفولكلور وظروف الحياة المعاصرة .

ومن مظاهر الخلاف بين الباحث في مجال الأنثروبولوجيا والباحث في حقل الفولكلور عناية الأول بالبحث في ثقافات أجنبية خارج

حدود موطنه، واهتمام الثاني بدراسة البيئة التي ينتمي إليها لإيمانه بقدره المواطن على فهم مجتمعه دون عوائق من عادات وتقاليد ومفاهيم اجتماعية ولغة أجنبية ربما تحتم قضاء فترة طويلة في الميدان والاستعانة بمترجم قد يحرف، عن قصد أو دون قصد، مضمون المعلومات الميدانية التي ينقلها إليه .

ولا يعني ذلك تجاهل باحثي الفولكلور ثقافات الشعوب الأخرى. فكثير منهم صار يوجه عنايته نحو البحث في عادات وطبائع المجتمعات في الدول النامية. إلا أن مجتمعهم الأصلي ظل مجال الدراسة المفضل لديهم. وبرغم اختلاف علماء الفولكلور عن علماء الأنثروبولوجيا في بعض المفاهيم، فقد شهدت السنوات الأخيرة تقارباً ملموساً بين التخصصين نظراً لتطور الدراسات الفولكلورية في كل منهما.

فقد اتجه الأنثروبولوجيون وعلماء الفولكلور نحو الاهتمام بالآثر الإبداعي للفنان الشعبي ومدى التفاعل بين المبدع والنص والجمهور المستمع، والخصائص الفنية للنص الشعبي من حيث الشكل والمضمون إلى جانب العناية بالدراسات المقارنة. وتعد النظرية الوظيفية التي تأسست على يد العالم الأنثروبولوجي "فرانز بواز" وتلميذته "روث بندكت"، حلقة وصل بين المأثورات الشعبية والأنثروبولوجيا. وتقوم هذه النظرية على فكرة رصد وظيفة الفولكلور في المجتمع سواء أكانت تعليمية أم دينية أم اجتماعية أم ثقافية، فالفولكلور في رأي "بواز"، مرآة عاكسة لطبيعة المجتمع، أما في نظر "بندكت"، فهو وسيلة لخرق عادات وتقاليد المجتمع. وتتماثل مناهج البحث الميداني التي استخدمها علماء الفولكلور والأنثروبولوجيا، ويكمن الاختلاف فقط في بعض القضايا التي يعدها

علماء المأثور الشعبي محور اهتمامهم ولا يعني بها الأنثروبولوجيون.
(عبدي، ٢٠٠٤).



مراجع الفصل الثالث

- الأخرس، محمد صفوح (٢٠٠١) الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات، وزارة الثقافة السورية.
- أيوب، محمد (٢٠٠٤) العناصر الفنية في القصة القصيرة، الحوار المتمدن،
<http://webcache.googleusercontent.com.١٠٦٠>
- بريتشارد، ايفانز (١٩٦٠) الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة د.أحمد أبو زيد، منشأ المعارف، الإسكندرية.
- بونت، بيار وإيزار، ميشال (٢٠١١) معجم الانثولوجيا والانتروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصمد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت.
- الجوهري، محمد وآخرون (٢٠٠٤) الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
- الحاجي، علي (بدون عام)، محاضرات في أنثروبولوجيا التربية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- الداهري، صالح حسن أحمد والكبيسي، وهيب مجيد (بدون سنة نشر) علم النفس العام، الطبعة الأولى، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن.
- شعبان، سعاد علي حسن (٢٠٠٤) الأنثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

- الشماس، عيسى (٢٠٠٤) مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- شيلا، سمير اسطفيو (٢٠٠٨) الزمان والمكان عند كانط، الحوار المتمدن، العدد
- <http://webcache.googleusercontent.com/٢٣٨٦>
- عدي، إبراهيم حاج (٢٠٠٤) الفلكلور والعلوم الإنسانية، جريدة المدى الثقافي، دمشق. <http://almadapaper.net>
- لينتون، رالف (١٩٦٤) دراسة الإنسان، ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة المصرية، بيروت.
- لينتون، رالف (١٩٦٧) الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة المصرية، بيروت.
- مسلم، عدنان أحمد (١٩٩٣) علم دراسة الإنسان "الانثروبولوجيا"، منشورات جامعة دمشق.
- وصفي، عاطف (بدون تاريخ) الانثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت.

-Reger, Parson(1974) Introduction to Anthropology.Holt, rinehart Winston, INC., New York.

الفصل الرابع

نظريات نشأة الحياة وأصل الإنسان

- مقدمة
- أصل الإنسان في ميثلوجيا الشعوب
- مفهوم الميثلوجيا
- أصل الإنسان وسر الوجود
- قصص التكوين
- ١- قصة التكوين التوراتية
- ٢- قصة التكوين عند البابليين
- ٣- قصة التكوين عند السومريين
- ٤- قصة التكوين عند الفراعنة
- نظريات نشأة الحياة على الأرض
- أصول البشرية
- مراحل تطور النوع البشري
- ١- الأوسترالوبيثكوس
- ٢- النوع الإنساني
- ٣- الإنسان العاقل



مقدمة

عاشت البشرية عشرات القرون وهي تعتمد في المعارف الخاصة بأصل الحياة على قصص تقليدية، لكل أمة صيغتها الخاصة لها، فللصينيين قصة وللهنود أخرى وللاتراك أخرى، وهلم جراً. "وهذه القصص قد عاقت التفكير العلمي بشأن البحث عن أصل الحياة. وخاصة عندما اندغمت هذه القصص في الأصول الدينية؛ لأن هذا الاندغام جعل المخالفة لهذه القصص والأساطير جريمة". وليس الخوف من الوقوع في الجريمة هو وحده الذي حال دون التفكير العلمي. لأن هناك ما هو أكبر من هذا الخوف وهو الإيمان بالقصة أو الأسطورة منذ أيام الطفولة. (موسى، ١٩٧٥، ٣٦)

- أصل الإنسان في ميثولوجيا الشعوب

١- مفهوم الميثولوجيا:

تعد الميثولوجيا من أكثر العلوم عراقية وقدماً وقد استدل عليها لمعرفة تاريخ الشعوب ويجعل الكثير من علماء الاجتماع أن هذا العلم أثر كثيراً في معرفة الأنماط السائدة في العالم القديم ومن ثم تطورها، كما يعدها "دور كهائم" من أفضل الطرق التي نستدل من خلالها على التراكم المعرفي لدى تلك الشعوب حيث إنها تعكس التراث الثقافي والعادات والتقاليد المتفق عليها في كل شعب اعتنقها.

وتعرّف الميثولوجيا بأنها: علم دراسة الأساطير والخرافات بما تحتويه من خيالات واعتقادات لدى الشعوب. إن كلمة ميثوس Mythos عند الإغريق تعني حكاية. وكلمة "أسطورة" العربية مقتبسة من كلمة "استوريا" Historia اليونانية أيضاً وتعني حكاية أو قصة. إلا أن كلمة أسطورة تعني حكاية غير

حقيقية أو عكس الحقيقة. بينما الكلمة ذاتها Historia تعني "تاريخ"، و"لوغوس" Logos "الكلمة" صارت "علماً". هكذا أصبحت ميتوس المترجمة "أسطورة" بعكس "لوغوس" أو "استوريا" تعني شيئاً غير موجود في الواقع أي خرافة. و"ميثولوجيا" تعني علم الأساطير. وفي زمن الأساطير القديمة لم تكن كلمة أسطورة تعني ما سبقنا شرحه. كانت الأساطير تتداخل في جميع نواحي الحياة الإنسانية حتى أدق التفاصيل اليومية. كما أنها لم تكن قصة خرافية كما نعهدها اليوم وإنما قصة حقيقية بل مقدسة لأنها كانت تمثل الحاجات الدينية والأحكام الأخلاقية والمتطلبات الاجتماعية.

إن البعد المفارق للطبيعة الذي تميزت به الأساطير القديمة لم يكن غريباً عن الفكر الإنساني في وثيقته الدائمة إلى ما وراء الأطر. من هنا نرى بأن لا حصرياً للأسطورة لشخص أو لشعب أو لزمان معين. وسوف نحاول تحديد بعض النقاط التي تميز النص الأسطوري عن غيره من النصوص:

١- من حيث الشكل، تحكم الأسطورة مبادئ السرد القصصي وكثيراً ما تكون في قالب شعري.

٢- يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن.

٣- لا تعرف الأسطورة مؤلفاً واحداً معيناً لأنها ظاهرة جماعية يخلقها الخيال المشترك.

٤- تلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكملًا لا رئيسيًا.

٥- تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية.

٦- تجري الأسطورة في زمن مقدس، غير الزمن الحالي.

٧- ترتبط الأسطورة بنظام ديني كما تنهار بزواله.

٨- تتمتع الأسطورة بالسلطة المطلقة على عقول ونفوس الناس.

بناء على ما تقدم يعرف "قراس السواح" الأسطورة بالقول التالي: " الأسطورة هي حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان" (البعيني، ٢٠٠٤، ٢).

٢- أصل الإنسان وسر الوجود:

كان الإنسان - دائما ولا يزال - موضع التأمل والدراسة من قبل الكثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء. وكانت البداية الأولى لتقرير وجود الإنسان في أوروبا خلال العصر الجليدي، على يد العالم الفرنسي "بوشيه دي بيرت"، وقد اهتم الأنثروبولوجيون بدراسة شعوب ما قبل التاريخ ودراسة الشعوب البدائية وفي دراستهم لحضارة المجتمعات وما يتضمنه ذلك من دراسة العادات والتقاليد واللغات المرتبطة بها.

ويعد الإنسان في نظر علماء الاجتماع والفلاسفة حيواناً اجتماعياً عاقلاً مفكراً، بينما البيولوجي في نظره هو حيوان كسائر الحيوانات وفي نظر الأديان فهو مخلوق أصلاً من التراب فالإنسان في غاية التنوع إنه ينتمي إلى سلالات (races) إنسانية متباينة صنفها في أربع حالات كبرى تضم في طياتها فروق سلافية إلا أنه أسبغ على نفسه

انه هو الإنسان الحكيم العاقل (homosapiens) فمنذ ظهوره يبرهن عن درجة من النفسية أرفع من رجال البشريات الذين سبقوه، فقد عرف كيف يقطع الأشجار بمهارة وإحساس جمالي وتنوع وفعالية، وقد استعمل العظم والعاج بكثرة ليس بحالتهم الخامية فحسب بل مصنعين ليصنعا أدوات مختلفة، لقد عرف كيف يخلق الفن الذي لم يكن قد ظهر له أي أثر حتى ذلك الحين.

صحيح أن الإنسان يتمتع بصفات بيولوجية مهمة تميزه من باقي الكائنات ، (المشي- الإبصار بالعينين معاً - كبر قشرة مخه - طول مدة فترة الطفولة- - صنع الأدوات -التواصل - التنظيم...) ولكن هذه الصفات ليست خاصة بالنوع البشري، بل هي مجرد صور مبالغ فيها لاتجاهات تتمثل في كل القردة، كما أن صنعه للأدوات والتنظيم الاجتماعي والاتصال بالأفراد الآخرين المنتمين إلى الجماعة، توجد أيضاً بقدر معين في أنواع مختلفة من الحيوانات الأدنى، ومجمل القول: إن ما يتميز به الإنسان ليس صفاته البيولوجية والاجتماعية، بقدر ما صنعه من هذه الصفات، فهو يختلف أساساً عن جميع أنواع الكائنات الأخرى بفضل منجزاته المتراكمة عبر ألاف الأجيال.

وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الأسباني "ارتيجا أي جاسيه" ليس للإنسان طبيعة بل تاريخ فقط. ولكن هذا القول لم يحل المشكلة القائمة لمعرفة تلك الخصائص التي تتميز بها الطبيعة البشرية التي أتاحت للإنسان أن يكون له تاريخ . وبقيت

التساؤلات تفرض وجودها حول هذا النوع وكيفية نشأته على الأرض وكيفية إقامته لمجتمعه ونظمه وعلاقاته". (مسلم، ١٩٩٣، ٩٠-١٠).

"إن البشائر الأولى لبداية الحضارة، قد انطلقت من سورية، حيث أثبتت الحفريات الأثرية أن أولى تجمعات البشرية المستقرة وأولى القرى المبنية في السهول المفتوحة قد قامت في سورية الجنوبية في فلسطين ووادي الأردن خلال الألف العاشر والألف التاسع قبل الميلاد. وإن أولى القرى المكتملة هي أريحا التي استمرت أهلة بالسكان منذ عام ٨٣٥٠ ق.م. حتى عام ٧٣٥٠ ق.م. ومع بداية الألف السادس قبل الميلاد نرى انتقالاً لمركز النقل الحضاري في سورية باتجاه وادي الرافدين، حيث نرى ما بين الفترة الممتدة من ٥٥٠٠ إلى ٤٥٠٠ قبل الميلاد نشأت ثلاث حضارات تتابعت وتداخلت هي: حسونة وسامراء وتل حلف. في حوالي ٤٥٠٠ قبل الميلاد تنهار حضارة تل حلف مهيئة لظهور الحضارة السومرية على موقع تل العبيد جنوبي وادي الرافدين.

كان السومريون أول من أسس لمجتمع المدينة في تاريخ الحضارة، إلا أنهم لم يعنوا بتشكيل دولة قومية تجمع شتات دويلات المدن التي عاشت في شقاق دائم وحروب دامية فيما بينها. وعندما تنبه المجتمع السومري إلى ضرورة التوحيد، كانت حضارته تقطع أشواطها الأخيرة في نهاية الألف الثالث

قبل الميلاد، وكان الأكاديون الساميون الذين بدأوا بتنظيم مجتمعهم في شمال سومر يتحفزون لقطف ثمار الحضارة السومرية التعبية. وفي ظل هذه الأجواء التاريخية جاءت أساطير البابليين لتثبّت عبادة إلههم الجديد "مردوخ" ولتكمّل أعظم تراث بشري لم تقدر التخلي عنه لأنه جزء من ثقافتها ومن دماها". (البعيني، ٢٠٠٤، ٣)

- قصص التكوين:

تتخذ أساطير الخلق والتكوين مكان المركز والبؤرة في أي منظومة ميثولوجية. فهي التي تتحدث عن أصل الكون وكيف ظهر العالم إلى الوجود، وعن أصل الآلهة وأنسابها ومراتبها وعلائقها بعضها ببعض. وهذا ما سوف نلتفت إليه وفيمايلي بعض قصص التكوين والنشأة.

١- قصة التكوين التوراتية:

تعتبر قصة التكوين التوراتية حقيقة سائدة لفترة طويلة من عمر البشرية عن الخلق، أما عن مراحل الخلق والنشأة في الأصحاح الأول من سفر التكوين، فهي كالتالي:

التكوين ١

- في البدء خلق الله السموات والأرض.
- وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه.

- وقال الله: ليكن نور فكان نور.
- ورأى الله النور انه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة.
- ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا. وكان مساء، وكان صباح يوما واحدا.
- وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلا بين مياه ومياه.
- فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك.
- ودعا الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا
- وقال الله: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك.
- ودعا الله اليابسة أرضا. ومجتمع المياه دعاها بحارا. ورأى الله ذلك انه حسن.
- وقال الله: لتنبث الأرض عشا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك.
- فأخرجت الأرض عشا وبقلا يبزر بزرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه. ورأى الله ذلك انه حسن.
- وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا
- وقال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل. وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين.
- وتكون أنوارا في جلد السماء لتتير على الأرض. وكان كذلك.

- فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم.
- وجعلها الله في جلد السماء لتتير على الأرض
- ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك انه حسن.
- وكان مساء وكان صباح يوما رابعا
- وقال الله: لتفض المياه زحافات ذات نفس حية، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء.
- فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه. ورأى الله ذلك انه حسن.
- وباركها الله قائلا أثمري وأكثرى واملاي المياه في البحار. وليكثر الطير على الأرض.
- وكان مساء وكان صباح يوما خامسا.
- وقال الله: لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش ارض كأجناسها. وكان كذلك.
- فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى الله ذلك انه حسن.
- وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض.

- فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرنا وأنثى خلقهم.
- وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض.
- وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا. لكم يكون طعاما.
- ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً. وكان كذلك
- ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً. وكان مساءً وكان صباح يوماً سادساً

التكوين ٢

- فأكملت السماوات والأرض وكل جندها.
- وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل.
- وبارك الله اليوم السابع وقدسسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً
- هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت. يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات

- كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد. لان الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض. ولا كان إنسان ليعمل الأرض.
- ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض.
- وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض. ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حيّة.
- وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا. ووضع هناك آدم الذي جبله.
- وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر.
- وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس.
- اسم الواحد فيشون. وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب.
- وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وحجر الجزع.
- واسم النهر الثاني جيحون. وهو المحيط بجميع ارض كوش.
- واسم النهر الثالث حدّاقل. وهو الجاري شرقي اشور. والنهر الرابع الفرات
- وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها.
- وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا.

- وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت.
- وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فاصنع له معينا نظيره.
- وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء. فاحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها.
- فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره.
- فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً.
- وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، واحضرها إلى آدم.
- فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة، لأنها من امرء أخذت.
- لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً.
- وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخلان (التكوين، ٢-١، ٣١)

ورداً على التناقض الوارد في قصتي التكوين، يرد باحثين بأننا إذا ما درسنا روايتي الخلق كل منهما على حدا ثم نجمعهما معا نرى أن

الله يصف ترتيب الخلق في تكوين ١، ثم يقوم بتوضيح أهم التفاصيل، خاصة المتعلقة باليوم السادس في تكوين ٢. فلا يوجد أي تناقض هنا، بل هي مجرد وسيلة أدبية لوصف حدث بدءاً من العام إلى الخاص.

٢- قصة التكوين عند البابليين :

تتضح أفكار البابليين في الخلق والتكوين، شكلها الأكمل في ملحمة التكوين البابلية المعروفة باسم " الإينوما إيليش"، وتعتبر هذه الملحمة إلى جانب ملحمة جلجامش من أجمل وأقدم الملاحم في العالم القديم فتاريخ كتابتها يعود إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. أي قبل ألف وخمسمائة سنة تقريباً من كتابة إلياذة هوميروس.. تعتبر أسطورة الخليفة البابلية أندر وأعرق وأوسع أسطورة خليفة في العالم القديم، وهي بسبب عراقتها هذه كانت مصدر أساسياً لأغلب أساطير التكوين في ذلك الوقت. اسم هذه الأسطورة مأخوذ، كما هي عادة البابليين، من الكلمات الافتتاحية للنص. "قايينوما إيليش" تعني: عندما في الأعالي. الملحمة تركبت من عدة أساطير سومرية بنت عليها العبقرية البابلية ذلك الهيكل الشامخ، الذي يعطي خلاصة عن علم وفكر وفلسفة وفن شعب عريق في مجالات مهمة عدة. فـ "إينوما إيليش"، تعني : عندما في الأعالي. فعندما في الأعالي لم يكن هناك سماء، وفي الأسفل لم يكن هناك أرض. لم يكن في الوجود سوى المياه.

وُجِدت الملحمة موزعة على سبعة ألواح فخارية، أثناء الحفريات التي كشفت عن قصر الملك آشوربانيبال، ومكتبته التي احتوت على مئات الألواح في شتى الموضوعات الأدبية والدينية

والقانونية... وقد جرى الكشف عن الألواح تباعاً منذ نهاية القرن الماضي وحتى نهاية الربع الأول من القرن الحالي، أما تاريخ كتابتها فيعود إلى مطلع الألف الثاني ق.م. أي قبل ألف وخمسمائة سنة تقريباً من كتابة الألياذة لهوميروس، وتدوين أسفار التوراة العبرانية. (البعيني، ٢٠٠٤، ٤) وقد لقيت الكثير من الاهتمام والدراسة، من قبل علماء المسماريات والأنثروبولوجيا والميثولوجيا.



أحد الرقم التي تحوي قصة الخلق البابلية، من محفوظات المتحف البريطاني.

وسوف نعرض الآن ملخص هذه الأسطورة الشعرية: "عندما في الأعالى لم يكن هناك سماء، وفي الأسفل لم يكن هناك أرض. لم يكن في الوجود سوى المياه الأولى ممثلة في ثلاثة آلهة: "ابسو" و"تعامه" و"ممو". فأبسو هو الماء العذب، وتعامه زوجته كانت الماء المالح، أما ممو، فيعتقد البعض بأنه الأمواج المتلاطمة الناشئة عن المياه الأولى، والبعض الآخر بأنه الضباب المنتشر فوق تلك المياه والناشئ عنها. هذه الكتلة المائية الأولى كانت تملأ الكون وهي العماء الأول الذي انبثقت منه فيما بعد بقية الآلهة والموجودات، وكانت آلهتها الثلاثة تعيش في حالة سرمدية من السكون والصمت المطلق، ممتزجة ببعضها البعض في حالة هيولية، لا تمايز فيها ولا تشكل.

ثم أخذت هذه الآلهة بالتناسل فولد "لأبسو وتعامه" إلهان جديان هما "لخمو" و"لخامو" وهذان بدورهما أنجبا "انشار" و"كيشار" اللذين فاقا أبويهما قوة ومنعة. وبعد سنوات مديدة ولد "لأنشار وكيشار" ابن أسمياه "أنو" وهو الذي صار فيما بعد إلهاً للسماء" (البعيني، ٢٠٠٤، ٥).

"ويقول التكوين البابلي: إن (مردوخ أعظم آلهة بابل) سلط القمر على الليل، وجعله زينة في الليل، به يعرف الناس مواعيد الأيام، وكذلك جعل الشمس والقمر. وأن الدم هو سر النفس أو الحياة. (القمني، ٢٠٠٥، ٢٥٤). ولا بد لنا من الإشارة بوضوح توجه البابليين إلى التوحيد. بحيث يصبح مردوخ ربّ الأرباب الفائق لجميع الآلهة والواجب تسبيحه. وكانت ملحمة الخلق البابلية تتلى في اليوم الرابع من

احتفالات رأس السنة "أكينو" من شهر نيسان ولمدة ألفي عام في بابل لتذكر الناس بسيادة النظام على الفوضى. (البعيني، ٢٠٠٤، ٦).

٣- قصة التكوين عند السومريين:

يقول التكوين السومري: إن "إنليل: شاء إزالة الظلمة، فأظهر للعيان بالنورين العظيمين، الشمس والقمر. قامت آلهة أنثى بعجن طين، خلقت منه الإنسان الأول، وأن "إنكي" أو "إنسي" عصى أوامر إلهية، فأكل ثمارا محرمة أصيب بسببها بمرض في واحد من أضلاعه، حتى أشرف على الهلاك، لن أنظر إليك بعين الحياة حتى تموت" ولم ينقذه إلا استخراج ضلعه المريضة، لتصنع منها زوجة له هي (نن تي) أو (ننتو) سيدة الضلع وتعني أيضا سيدة الحياة أو التي تحيي أو الولادة، فالإنسان بذلك خلق ذكرا وأنثى معا في ذات واحدة ثم فصلا بعد ذلك.

وفي الختم (المفترض أنه سومري حسب تصنيف الآثاريين) رأينا الحية نوعز للأنثى الأولى بأكل ثمار التمر (ولا تتسى الثمر المحرم الذي أكله إنكي) فتدعو زوجها لأكله، مما يؤدي لانتهااء الخلود الفردي وبداية خلود النوع بالتناسل، بخروج "إنكي" أو "إنسي" وزوجته (نن تي)، من أرض الخلود "دلمون"، وكان الخلود يتمثل في نبتة لو أكلها الفاني خلد، وفي ملحمة "جلجامش" علمنا أن هذه النبتة لا تنمو إلا في أرض الخلود (دلمون) مقر الآلهة الخالدة. (القمني، ٢٠٠٥، ٢٥٣)



Sumerian King List (SKL)

Cuneiform tablet c.2100 BC

الوثائق السومرية تقسم التاريخ إلى عصرين ما قبل الطوفان العظيم وما بعد الطوفان، وهو ذاته الطوفان الذي ذكره التوراة والقرآن. تقول الأساطير السومرية، أن بعد انخفاض الماء، انتبه مجلس الآلهة Anunnaki أن الآلهة بعيدة جدا عن الإنسان. بعد ذلك نجد التعبير 'elu' المستخدم في الأكادية، ويعني الوحدة العظيمة، منذ ذلك الحين أصبح من الشائع في البابلية، والسومرية والعبرية والآغاريتية استخدام تعبير: "إيل"، وهو التعبير ذاته الذي ترجمه الإغريق إلى Gud.

- قصة التكوين عند الفراعنة:

تقول الأساطير الفرعونية، إن (بروفينوس) الأعظم، خلق الإنسان من طين وتخلّفت عن عملية الخلق كمية من الوحل كان من الممكن رؤيتها بعد هذا الزمن الطويل على شكل صخرتين كبيرتين في اليونان حسب اعتقاد الفراعنة الأقدمين.

إن المفكر / جيمس فريزر /، وجد قولاً عجيباً عند الكارينيين سكان بورما. فلداهم أسطورة عن خلق حواء شبيهة بالقصة التوراتية، فهم يعتقدون أن الله خلق الرجل من التراب، ثم أخذ ضلعاً ملتويّاً من أضلاعها ليخلق منه حواء ذات الطباع الملتوية أيضاً حسب زعم الأسطورة. وهناك رواية التي يرى فيها (الكارينيون) سكان بروما: أن الله خلق الرجل، ولكن من أي شيء خلقه؟ لقد بدأ يخلق الرجل من التراب، ثم أتم بعد عملية الخلق خلق المرأة... وهناك أساطير أخرى تميل إلى أن المرأة مصنوعة من ضلع الرجل بصورة أو بأخرى كما تشير إليه أساطير الشعوب. (مسلم، ١٩٩٣، ١٢)

لقد تضمنت ميثولوجيا الشعوب الكثير من الروايات عن الآلهة القديمة والأبطال الأسطورية، كما اعتقدت الشعوب القديمة بأن جميع مظاهر الطبيعة هي آلهة وأعطوها الصفات البشرية فتجد الآلهة تغضب وتثور وتتجب وتموت، وقد كان هناك العديد من الآلهة لكل اختصاصه وربما تجد عدة آلهة لظاهرة طبيعية واحدة فالرياح مثلاً عند اليونان كان يمثلها عدة آلهة كبيرهم أو سيدهم "ايوس"، كما تجد تشابهاً كبيراً بين الآلهة وتطابقاً في الأسماء لدى الشعوب المختلفة ويرجع ذلك نتيجة لاختلاط الشعوب بعضها ببعض، ونلاحظ من

أساطير الآلهة أنها تصطبغ بصبغة الحياة في المنطقة التي وجدت فيها وقد كان هناك غير الآلهة كائنات خرافية ونساء مجنحات وشياطين أكثر من البشر فلا تكاد تجد منفذاً واحداً إلا ويسكنه شيء من هؤلاء وقد أخذت مضامين هذه الأساطير في روايات ممثلة أو أشعار مكتوبة ومنها ما دخل في مجال التحليل النفسي كأسطورة "أوديب وإلكترا ونارسييس".

ورغم انتشار العلم وزيادة عدد المتعلمين، فإن العديد من الشعوب في عصرنا مازالت تعد مثل هذه الأساطير مسلمات لا يجوز التصدي للجدل فيها، كما أنها مازالت تتحكم في حياة وسلوكيات الإنسان في هذه الحياة.

- نظريات نشأة الحياة على الأرض

نعود إلى تاريخ تكوين الإنسان لنجد "أرنولد توينبي" في كتابه تاريخ البشرية يقول إنه إذا بحثنا في تاريخ تكوين الإنسان على نحو متميز فإننا سنفرد جانباً التاريخ الذي تفرعت فيه فصيلة الأحياء الشبيهة بالإنسان، هذه فقد قطعت عليها الطريق لأن تصبح من نوع (hylopptide) الهيلوباثيد أو من نوع البونغيد (ponyide) فلما تجاوز الأب الأول الأحياء الشبيهة بالإنسان نقطة التفرع هذه وتجاوز بإتباعه طريق الأحياء الشبيهة بالإنسان لم يبق أمام هذه الأحياء إلى أحد احتمالين بديلين فأما أن تصبح بشرية أو أنها تعجز عن البقاء، والنوع الوحيد الذي استمر من الجنس البشري هو الإنسان العاقل. فإذا حسبنا أن الإنسان قديم قدم الزمان فهذا يدل على أنه قد مر على وجوده حتى اليوم عشرين مليوناً من السنين.

الحادثة التي تؤرخ لظهور الطبيعة البشرية في المحيط الحيوي ليست تطور خاصية تشريحية بل هي استيقاظ وعي الإنسان. ويستنتج هذا التاريخ من البقايا المادية التي يخلقها أجدادنا، ونعود إلى ما ذكرناه بكون الإنسان العاقل هو المستمر من الجنس البشري إلى حد الآن فالإنسان النيندرتالي كنا يتخلص من موثاه بطريقة شعائرية بدل أن يعتبر جثثهم كأنها أقدار فهو يشرك مع الإنسان العاقل في فكرة أن الطبيعة البشرية لها كرامة لا تنتشر بين بقية أشكال الحياة. (توينبي، ٢٠٠٣)

إن وجود الإنسان في دنياه الغربية جعله يتساءل عن سر بدئ الحياة على هذه الأرض، وفي هذا الصدد ظهرت الكثير من النظريات المتنوعة والمختلفة عن نشأة الحياة على الأرض، ومن هذه النظريات:

١-نظرية نشوء الحياة بشكل فجائي (التخلق اللاحيوي): من مواد غير حية، تفترض هذه النظرية أن منشأ المادة الحية لأول مرة كانت نتيجة تفاعل بعض المواد غير الحية، حدثت عند ظروف خاصة جداً. وتحتوي هذه النظرية على عدة فرضيات.

٢-نظرية الخلق الخاص: الحياة نشأت عن طريق قوة فوق القوى الطبيعية إما دفعة واحدة أو على فترات متتالية، وكل نوع خلق مستقلاً على حدة.

٣-نظرية البانسبيرميا أو فرضية جميع البذور: هي فرضية تقول بأن حبوب الحياة كانت موجودة مسبقاً منذ نشوء الكون، وأنها وصلت إلى

كوكب الأرض و بدأت بالارتقاء بسبب قابليتها للحياة دون أن تفسر نشأة الحياة في تلك الأماكن المفترضة .

٤- النظرية الطبيعية: افترضت أنه منذ أكثر من بليون سنة أصبحت درجة الحرارة والرطوبة على الأرض مناسبة للحياة. لم يكن هناك أوكسجين حر لكن الغلاف الجوي كان يحتوي غاز الميثان وبخار الماء والنشادر والهيدروجين وقد أثبتت التجارب الحديثة إن الأحماض الامينية كالجليسين تتكون عندما تتعرض الغازات المذكورة إلى الأشعة البنفسجية أو الشحنات الكهربائية مثل البرق. وكذلك فإن الحامض النووي يمكن الحصول عليه في المعمل بواسطة تعريض خليط الميثان والنشادر والماء للإشعاع.

ومن الممكن أن مثل هذه الجزيئات العضوية كانت قد تجمعت في الماضي السحيق في بحر خالٍ من البكتيريا التي تسبب التحلل وتكونت فيما بعد المواد البروتينية وبعضها أمكنه أن يؤلف كعوامل مساعدة لتكوين بروتينات أخرى ومن المحتمل أن الطاقة اللازمة لهذه العمليات استحدثت من تخمير بعض السكريات، ثم تكونت بعد ذلك جزيئات كربونية معقدة وانطلق الأكسجين في الغلاف الجوي.. ثم تكونت الطحالب وحيدة الخلية باستخدام الطاقة الشمسية وأصبحت هذه الطحالب غذاء للحيوانات الأولية وحيدة الخلية التي بدا ظهورها في ذلك الوقت.

وعند الوصول إلى مرحلة تكون الحيوانات الأولية وحيدة الخلية أصبح في مقدور الخلايا أن تتجمع في مجموعات ذات خلايا مشابهة، ثم تحولت بعد ذلك إلى أنسجة ذات وظائف متعددة كما هو الحال في الحيوانات الراقية (مسلم، ١٩٩٣، ١٤).

-أصول البشرية

ليس التطور الذي مرَّ به "الإنسان العاقل" تطورا عضويا فقط يستطيع أن يجعل من الممكن - وان في وقت متأخر أحيانا- تنظيم المجتمع وتأمين تقنيات وتنمية المواهب الذهنية. ويمكن إيجاد علاقة سببية في اتجاه معاكس: التطوير العضوي لجنس البشر أصبح ممكنا بفضل تنظيم اجتماعي معقد وبفضل التقنية بمظهرها المزدوج المهارة (للجسد ولل فكر) وأدوات مادية. بتعبير آخر فإن الخيوط الأربعة الموصلة للتطور البشري - اجتماعياً، ذهنياً، تقنياً وعضوياً- تتسج معا وبالترابط من خلال علاقتها بالمحيط. بدأت الدراسة المقارنة على الأنواع القريبة من البشر كالقردة وكل الأجناس القريبة من الشكل البشري، والأنواع الأقرب إلى البشر من وجهة نظر التنظيم الاجتماعي هي الغوريلا والشمبانزي ذات النظام الأبوي المتعدد الزوجات.

إن سيناريو التطور البشري (حسب العديد من الباحثين) قد يكون عرضة للتعديل من خلال الاكتشافات التي تتواصل بسرعة متزايدة في ميدان الوراثة أو علم الإحاثة ولكن صورته تبدو اليوم على الشكل الآتي: ظهر الإنسان منذ ما يقارب الأربعة ملايين سنة في فترة היא فيها تطور القردة الكبرى ذات الشكل شبه البشري عوامل دينامية هذا الظهور أي التكيف مع محيط متغير بوسائل مترابطة فيما بينها : تنظيم اجتماعي معقد- وسائل اتصال متطورة بين الأفراد -استخدام التقنيات والأدوات.ولقد لعب تبدل الوضع البيئي إسهاماً مهماً في توجيه تلك المسيرة باتجاه الأنسنة. (بونت، ٢٠٠٤، ٤٣)

- مراحل أطوار النوع البشري

يرجع ظهور الإنسان على الأرض إلى فترة غامضة تثير جدلاً كبيراً بين العلماء، وترجع إلى ما بين ٢٠ و ٨ ملايين سنة. ولعلنا لا نجد في الأنواع المعروفة التي ترجع إلى هذا الماضي السحيق سلفاً حقيقياً للإنسان. ومع ذلك، لا بدّ لنا من الاعتراف بأن هذه الفترة تشكل البونقة التي انطلقت منها شرارة أول كائن بشري، ألا وهو الأسترالوبيثيكوس *Australopithicus* (قرد الجنوب). أما الأنواع التي ترجع إلى هذه الفترة فهي: الدريوبيثيكوس *Dryopithicus* (قرد شجر البلوط) والأورانوبيثيكوس *Ouranopithicus* (قرد السماء) الشيفابيثيكوس *Sivapithicus* (قرد الإله شيفا) والرامابيثيكوس *Ramapithicus* (قرد الإله رام). ويقر العلماء اليوم بوجود حلقة ضائعة بين هذه العائلة وبين البشريات الأولى.

ويمكن تحديد مراحل أطوار الإنسان بـ: (الخوري، ٢٠٠٤)

- الأسترالوبيثيكوس *Australopithicus*

يمثل "الأسترالوبيثيكوس" (قرد الجنوب) أولى الإنسانيات، بإجماع العلماء كافة. ومع أن هذا البشري الأول لم يكن قد اتصف بعدُ بمزايا إنسانية واضحة، لكنه لم يكن قرداً بالتأكيد. ويمكننا القول إنه كان أول كائن تنفتح فيه إمكانيات فسيولوجية ونفسية واعدة. وقد انتشر "الأسترالوبيثيكوس" في شرق أفريقيا (إثيوبيا، كينيا، تنزانيا) وجنوبها.

وترجع متحجرات "أوسترالوبيثكوس أفرنسيس"، الذي اكتُشف في العام ١٩٧٦، إلى ما بين ٣.٢ و ٣.٨ م ع. وأهم متحجراته المكتشفة وأشهرها هي لوسي LUCY؛ وهي متحجرة شبه كاملة. ويتراوح طول هذا النوع بين ١ و ١.١٠ م؛ وهو منتصب، مثل أنواع الأوسترالوبيثكوس الأخرى كافة، وتتميز أنواع الأوسترالوبيثكوس بسعة دماغية تقارب الـ ٥٠٠ سم^٣ وسطيًا.

وعرف عدد قليل من أدوات "الأوسترالوبيثكوس"؛ وهي من الحصى المشغولة ونصال الكوارتز، إضافة إلى أدوات عظمية وسنية وقرنية.

١- النوع الإنساني:

يعترف معظم علماء الأنثروبولوجيا القديمة بنوع الهومو هابيلس "Homohabilis" (الإنسان الماهر) الذي يثير جدلاً كبيراً مع ذلك حول ظهوره وعمره. ونجده في كينيا وإثيوبيا وتنزانيا؛ كما اكتُشف في أفريقيا الجنوبية في العام ١٩٧٦. ويرجع عمره تقريباً إلى ٢ م ع؛ وتتراوح سعة جمجمته بين ٥٠٠ و ٨٠٠ سم^٣.

وقد تطورت معه الصناعة الحجرية، وتُنسب إليه أولى المعسكرات البدائية والأدوات الصوانية التي اكتُشفت في "أولدفاي Oldwai". ومن المرجح ظهور بدايات التنظيم الاجتماعي لديه، مما وفر له إمكان الشعور بالاستقرار النسبي.

ولا شك أن هذا المناخ الحميم والأكثر استقراراً قاد إلى ظهور الهومو إركتوس (الإنسان المنتصب Homo erectus). ومن الثابت أن هذا الإنسان انتشر في العالم القديم كله. وترجع آثار هذا الإنسان في الصين إلى ١.٧ م ع، وتتراوح سعة جمجمته بين ٧٨٠ و ١٢٢٥ سم^٣. ونلاحظ أن الجمجمة طويلة وخفيضة، وأن عظام قحفها ثخينة. ونلاحظ أيضاً بدايات ظهور للذقن، في حين أن أسنانه تطابق أسناننا الحالية، إنما بنسبة حجم أكبر قليلاً. ولعل ظهور الذقن يشير إلى نضجه النفسي، حيث تعبّر الذقن في الوجه الإنساني عن العواطف والمشاعر. (الخوري، ٢٠٠٤)

- الإنسان العاقل Homo sapiens

اكتشف علماء الآثار "إنسان نياندرتال" في غرب أوروبا أولاً، حيث عاش بين نحو عامي ٨٠٠٠٠ و ٣٥٠٠٠ ق م. وقد اقترحت فرضية قديمة هجرته إلى الشرق الأدنى، حيث اكتشفت آثاره في فلسطين (الطابون) والعراق (شانيدار). لكن الاكتشافات الحديثة، وخاصة في فلسطين وسوريا، ترجّح أن هذا الإنسان ظهر في المنطقة ظهوراً مستقلاً. بل إن التنقيبات الجارية في بعض المواقع في سوريا (وأهمها غفرين) تثبت، على ما يبدو، أنه انتقل، على العكس، من الشرق الأدنى إلى أوروبا. ويمكن أن تصل السعة الدماغية عند إنسان نياندرتال إلى ١٧٠٠ سم^٣. وهو أول إنسان يدفن موتاه.

وقد عاش هذا الإنسان في مناخ بارد، حيث اجتاحت الجليد جزءاً كبيراً من أوروبا في عصره. وتميزت بيئته الحيوانية بحيوانات قادرة على احتمال البرد، مثل الدب والرنة والماعز البري وظبي الجبل. وانطفأ هذا الإنسان منذ نحو ٣٥٠٠٠ سنة لأسباب لا تزال مجهولة. وتثبت الاكتشافات الحديثة أن النياندرتاليين عاصروا خلقهم "الإنسان العاقل"، وأنه أمكن حصول ما يمكن أن ندعوه بالاختلاط بين الطرفين، كما تؤكد ذلك إحدى الجماجم في السخول في فلسطين.

وبشكل معاصر لإنسان نياندرتال تقريباً ظهر في منطقة الشرق الأدنى نمط حديث من الإنسانيات منذ ما يقارب الـ ٥٠٠٠٠ سنة. ونعرف هذا الإنسان اليوم معرفة كاملة في قفزة والسخول في فلسطين؛ وهو يطابق، في العديد من صفاته، الإنسان الحالي. إنه إنسان هوموسابيانس. وتتراوح سعته الدماغية بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ سم^٣. ونلاحظ ظهور الذقن ظهوراً كاملاً لديه. وتثبت الدراسات الحديثة هجرة "الهوموسابيانس" من الشرق الأدنى إلى أوروبا من خلال عدة دراسات على صعيد الكروموسومات، كما وعلى صعيد التنقيب الأثري. (الخوري، ٢٠٠٤)

لقد وجدت آثار إنسان (النياندرتال) في القرن التاسع عشر في ألمانيا، ويرجح العلماء عمر النياندرتال بحدود مائة ألف سنة، إن الاختلاف الذي وجد بالنياندرتال عن سابقه هي وضوح مقابلة الإبهام لبقية أصابع اليد، وهذه يعتبرها العلماء أهم سمة تطورية، وقد استنتجوا ذلك من دقة الصناعات البدائية التي وجدوها قربها، إذ ظهر على هذه

الأدوات تغيراً في نوعيتها وهو ما يشير إلى تحسن بيولوجي في اليد وفي المراكز الدماغية التي تسيطر على حركة اليد، وهو ما ينفرد به الإنسان الحالي عن بقية المخلوقات، وهو أن المركز المختص بتحريك الإبهام في المادة الدماغية أكثر من تلك المخصصة للصدر والبطن معاً، ولهذا برع الإنسان عن غيره من المخلوقات باستخدام اليد.

"إنسان النيندرتال" هو تطور خاص يلائم فترة البرد الشديدة التي مرت بها أوروبا في عصر الفرم (ضخامة الرأس واكتناز الجسم وقصره، فالإنسان الذي وقف على عتبة الإنسانية الحديثة في مندل وستاينهام..). اضطر إلى الهجرة جنوباً في أوروبا أمام تقدم الجليد الأخير، حيث اتصل بالبشرية التي كانت تسكن شمال إفريقيا وتحمل صفات الإنسان منتصب القامة القديم، وكانت هذه الصفات ملائمة لبرد أوروبا، فتطعم بها، وظهرت صفات طافرة جديدة، هي التي ميزت إنسان النياندرتال". (كون، ١٩٧٥، ١٤)



(جمجمة النياتدرتال الكبيرة نسييا، وجدت في La Chapelle-aux-Saints)

تميز الإنسان العاقل عن سابقه بالتقدم البيولوجي والفكري الذي اكتشف في أدواته لأن ذلك يعكس إفراز سلوكيات جديدة ولو أن السلوك الإنساني لا يترك آثاراً حفريّة لكن استدل عنه من العظام والأسنان ويتمتع الإنسان العاقل بمزايا تفتقر إليها باقي الحيوانات أهمها:

- التركيب المخي المعقد من خلال وجود مراكز خاصة بالإنسان منها الجزء الخاص بالكلام والموجود في موقعين من الدماغ وكليهما يقعان بالفص الأيسر منه إلا ما ندر ودماغ الإنسان مبرمجاً قادراً على التعلم.

- وجود مركز التوازن والحركة في الأذن الوسطى الذي يميزه بالمشي والوقوف في وضع الاعتدال.

- التركيب الخاص للقدم الذي يساعده على هذا الاعتدال

- الحوض أكثر اتساعاً وأقل عمقاً. وطول الساقين مقارنة بالنسبة للجسم ولنسبة طول الذراعين.
- السلسلة الفقرية المرنة التي مرونتها مكنت الإنسان أن يجمع بين الاستقامة والانتشاء.
- التركيب الخاص لليدين الذي يمكنها من الاستخدام لتناول الأشياء وليس للمشي.



(إنسان عجوز من الكرومانيون" أصلي، متحف الإنسان، باريس)

وعليه فإنّ التغيرات التي طرأت على الإنسان خلال ارتقائه لم تحدث بشكل قفزات ومتعجلة بل استغرقت بما يزيد على مليون سنة وبالتدرج المتناسق لتصل إلى ما نراه اليوم، فارتقاء البناء البيولوجي رافقه تغيير سلوكي، فارتقاء الدماغ واليد والعيون والأقدام والأسنان والهيكل الإنساني الكلي نتج عنه مواهب إنسانية متباينة وخارقة بذات الوقت، رسمت الصورة التي ميزته عن باقي الحيوانات الراقية فسيولوجياً وسيكولوجياً.



مراجع الفصل الرابع

- البعيني، أنجلو (٢٠٠٤) الخلق السومري والخلق التوراتي، رحلة. <http://www.alzakera.eu/>
- بونت، بيار وإيزار، ميشال (٢٠١١) معجم الاثنولوجيا والانتروبولوجيا، ترجمة واشراف: مصباح الصمد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت.
- توينبي، أرنولد (٢٠٠٣) تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زياده، الأهلية للنشر والتوزيع.
- الخوري، موسى ديب (٢٠٠٤) ارتقاء الكائن الإنساني، الجمعية الكونية السورية. <http://www.ascssf.org.sy/>
- القمني، سيد (٢٠٠٥) قصة الخلق - منابع التكوين، الناشر Kotobarabia.com
- كون، كارلتون اس. - هنت آلابن، ادوارد أ. (١٩٦٥) السلالات البشرية الحالية، ترجمة د. محمد السيد غلاب، مكتبة الانجلو المصري، القاهرة.
- مسلم، عدنان أحمد (١٩٩٣) علم دراسة الإنسان "الانتروبولوجيا"، منشورات جامعة دمشق.
- موسى، سلامة (١٩٧٥) نظرية التطور وأصل الإنسان، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة.



الباب الثاني

ميادين الأنثروبولوجيا

الفصل الأول - الأنثروبولوجيا الطبيعية

الفصل الثاني - الأنثروبولوجيا النفسية

الفصل الثالث - الأنثروبولوجيا الثقافية والحضارية

الفصل الرابع - الأنثروبولوجيا الاجتماعية

الفصل الخامس - الأنثروبولوجيا الاقتصادية

الفصل السادس - الأنثروبولوجيا السياسية



الفصل الأول

الأنثروبولوجيا الطبيعية

- مقدمة
- فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية
- السلالات البشرية
- ١- السلالة القوقازية
- ٢- سلالة البحر الأبيض المتوسط
- ٣- السلالة الزنجية
- ٤- السلالة المغولية
- ٥- السلالة الأسترالية
- قضية التمايز العرقي



مقدمة

علم الإنسان الطبيعي أو الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الأنثروبولوجيا الفيزيائية هو فرع من علم الإنسان المختص بدراسة آليات التطور البيولوجي والقدرة على التكيف وتنوع الأعراق عند البشر المعاصرين والرئيسيات العليا والسجل الأحفوري لتطور البشر.

ظهر علم الأنثروبولوجيا الفيزيائية في القرن التاسع عشر الميلادي، قبل أن تظهر نظريات "ألفريد رسل" و"وليس" و"تشارلز داروين" في الاصطفاء الطبيعي وأعمال "جريجور مندلفي" عن قوانين الوراثة.

- فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية

الأنثروبولوجيا الطبيعية تنتمي أصلاً إلى طائفة العلوم الطبيعية وتختص بدراسة الإنسان العاقل من جوانب مختلفة لكي تصل إلى أصل الجنس البشري الحالي (الأخرس، ٢٠٠١، ٧٦). وفيمايلي أهم فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية:

١- فرع العظام: هو فرع تخصصي مستقل في علم الأنثروبولوجيا الطبيعية، يدرس بقايا الإنسان العظمية المتحجرة أو غير المتحجرة ومقاييسها، ويرتبط بفرع دراسة العظام، فرع البناء الإنساني الذي يدرس مقاييس الأجسام الحية الآن، ومنه علم الجراحة، وكل هذه العلوم تغذي فرع العظام في علم الأنثروبولوجيا الطبيعية بالمادة المعرفية، ويرسمون خطوطاً تطورية تمثل مراحل التطور البيولوجي ويعتقدون أن تلك العظام تمثل أجناساً بشرية انقرضت هي أصول الجنس البشري الحالي، ويدعم اعتقادهم هذا التشابه من الناحية التشريحية بين المخلوقات الحية

الموجودة اليوم مثل التشابه بين جسم الأرنب وجسم القرد وجسم الإنسان العاقل. (الخطيب، ٢٠٠٨، ١٣).

٢- فرع الدراسة البيولوجية : وهو فرع تخصصي آخر في علم الأنثروبولوجيا الطبيعية يختص بدراسة البيئة الاجتماعية وتطور السلوك الاجتماعي من خلال دراسات مقارنة للمجموعة البشرية التي ينتمي إليها الإنسان من الناحية البيولوجية وأصول الحياة الاجتماعية عنده والبدائيات الأولى لثقافته. (الأخرس، ٢٠٠١، ٧٦).

٣- فرع السلالات : تبحث الأنثروبولوجيا الطبيعية في الجوانب البيولوجية للإنسان، والعوامل التي أثرت في تكوين السلالات البشرية، وساهمت باختلاف وتوزيع أجناس الإنسان وتعددتها بين قوقازي وزنجي ومغولي، رغم انتمائها جميعاً إلى فصيلة واحدة هي فصيلة الإنسان العاقل. غير أن الاختلاف لا يكمن إلا في الشكل وفي الصفات الخارجية فقط، ويبقى التركيب الداخلي والبيولوجي واحداً بين جميع أفراد الجنس البشري.

وتتعين العوامل التي تسهم في تحديد الاختلافات بين أفراد النوع الواحد عن طريق التنوع بشطريه الدخيل والوراثي، الذي أطلق عليه بعض العلماء اسم التنوع الأصيل لتمييزه عن التنوع الدخيل الذي يتمن خلال عوامل أخرى لا ترتبط بالوراثة.

٤- فرع الوراثة: فقد تحققت اليوم بعض أوجه التقدم المهمة في علم الوراثة، فقد تركزت محاولات العلماء في تفهم عملية الحياة نفسها، ولهذا اتجهوا نحو البحث في التركيب الدقيق للخلية في أبسط الكائنات الحية المعروفة، ثم إلى محاول فهم التفاعلات الحيوية التي تقوم بها مثل هذه الخلايا.

ولما كان تكاثر الخلية الحية يتم بانقسام جسيمات عضوية دقيقة في نواة الخلية نفسها يطلق عليها اسم الكروموزومات (الصبغيات) فإن الإسهام المهم الذي تقوم به هذه الكروموزومات يتضح في انتقال الحياة والصفات الوراثية بأسرها إلى الأجيال المختلفة، ومن هنا أيضا اتجه البحث العلمي اتجاهها جديدا يهدف إلى معرف تركيب هذه الكروموزومات، أو بالأحرى تركيب المادة الوراثية نفسها خطوة أولى نحو تفهم الحياة. ويتسع مجال البحث في الأنثروبولوجيا الطبيعية ليشمل دراسة التطور الجسمي بكافة أعضائه، والتشابه والاختلاف بين الأجناس البشرية مثل عملية تمثيل الغذاء وسرعة النبض ونسبة النمو. (الأخرس ٢٠٠١، ٧٧)

٥- فرع علم وظائف الأعضاء المقارنة: ويعتمد في دراسات الأنثروبولوجيا الطبيعية على علم وظائف الأعضاء المقارنة. وهي دراسة مقارنة الطرق التي تؤدي بها الكائنات الحية وظائف متشابهة. مثال : لو أردنا دراسة ظاهرة التنفس فأن الإنسان يتنفس والضفدع يتنفس والامبيبا تنفس ولكن طريقة تنفس وميكانيكية التنفس تختلف من كائن إلى آخر وعليه فأن الآلية تختلف والأعضاء تختلف.

٦- فرع دراسة فصائل الدم: تبرز في الوقت الحاضر كثرة من الآراء والطرق الحديثة فيما يتعلق بدراسة فصائل الدم.

٧- فرع دراسة الأجنة وطبيعة الاختلافات: الاختلافات التي جرت على الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض حتى الوقت الراهن، وبهذا أصبحت الانتروبولوجيا الطبيعية تدرس في كليات الطب والعلوم الطبيعية إلى جانب كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية.

"و إذا كانت دعوة -أو غست كونت- لإنشاء علم وضعي لدراسة المجتمع تمثل واحدة من أهم الاتجاهات الفكرية خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر، فإن الكتاب الشهير لعالم الطبيعة والأحياء -تشارلز دارون- (١٨٠٩ - ١٨٨٣)، يعد ثورة فكرية وعلمية مهمة، تأثرت بها دراسات الإنسان والمجتمع على حد سواء. نشر دارون كتابه هذا في عام ١٨٥٨ بعنوان "أصل الأنواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي وحفظ السلالات المفضلة في التناحر على البقاء.

وبعكس العلماء السابقين الذين اكتفوا بملاحظة التطور أو الإشارة إليه، فإن داروين قام بشرح الأسس الشهيرة للانتخاب الطبيعي، التي تتلخص في أن كل الكائنات تنتج أفراداً أكثر مما يحتمل أن يعيشوا بكميات الغذاء الموجودة، ولا يبقى ويتكاثر سوى الذين يتغلبون على منافسيهم، إذ إن الهدف هو بقاء النوع، ويقع الصراع على مستويين: إما أن تموت بعض الأفراد الضعيفة من المجموعة الواحدة وإما أن يفنى أفراد المجموعة بأكملها، وهذا ماحدث فعلاً للديناصور الذي اندثر لشراسته الزائدة وقلة حيلته.

حدد داروين العوامل الطبيعية التي يؤدي فعلها إلى التطور ونشوء الأنواع بخمسة عوامل هي: الوراثة، والتحول، والتوالد، والتناحر، والبقاء للأصلح. فالوراثة تحدد المشابهة، فالسنانير لا تلد كلابا، وبالرغم من وجود تشابه بين أفراد كل نوع إلا أنه لا يوجد تماثل بينهم، أي لا تكون نسخة مطابقة لأصولها.

وبينما تسرف الطبيعة في الإيجاد (التوالد) فهي أيضا تسرف في الإفناء. ومن هنا ينشأ التناحر على البقاء، والقاعدة هي أن البقاء للأصلح، بمعنى أن الكائنات التي تتزود من بقائها بقوة أكبر أو حيلة أدكى، أو تكون أكثر قدرة على مقاومة أفاعيل الطبيعة تكون أكثر قابلية للبقاء، وأعقاب نسل فيه صفاتها التي مكثت لها في الحياة. وحسب تعبير "داروين"، فإن هناك عظمة في عملية التطور، والانتخاب الطبيعي، فمن تلك البداية المتناهية في البساطة تطورت وما زالت تتطور أنواع لا حصر لها غاية في الجمال والإبداع" (داروين، ١٩٧٣، ٣٨-٣٩-٧٧).

وتعد نظرية "داروين" (النشوء والارتقاء) في حياة الإنسان، من أهم موضوعات الأنثروبولوجيا الطبيعية، وتتلخص النظرية في الأمور التالية:

- إن عمليات الحياة المتتابعة بمعطياتها وظروفها، تنتج كائنات مختلفة عن أصولها.. أي أن أنواع هذه الكائنات لا تتكرر هي ذاتها من خلال التكاثر، بل تنتوع في أشكالها ومظاهرها.

- إن الخصائص التي تتمتع بها بعض الكائنات الحية، تجعلها أكثر قدرة على البقاء من بعضها الآخر، حيث تستطيع التلاؤم والظروف البيئية الخاصة التي تحيط بها.

- إن الكائنات الحية الجديدة، الأكثر قدرة ورفياً، تمتلك عوامل النكاثر والاستمرار على قيد الحياة، لفترة أطول مما هي عند بعض الكائنات الضعيفة الأخرى، التي تتعرض للانقراض السريع.

- إن بعض الخصائص البيولوجية (الصفات المهيمنة) عند بعض أنواع الكائنات الحية تؤدي إلى موتها بصورة سريعة، وربما مباشرة، إذا لم تكن هذه الخصائص تؤهلها للتكيف مع الظروف البيئية. وهذا ما يؤثر سلباً في نسل هذه الكائنات من حيث البنية والمقاومة.

وتعتمد نظرية دارون على ثلاثة فروض:

أ-التنوع المشع: نفترض تنوع أشكال الحياة في كل الاتجاهات وتتفرع من الشكل العام إلى أشكال خاصة مختلفة وتتناسل أشكال الحياة وتستمر إذا كانت الظروف ملائمة.

ب-القدرة على التكيف: وتشير إلى قدرة بعض الأنواع الحية على التكيف مع ظروف البيئة المتغيرة بصورة أقوى من الأنواع الأخرى.

ج-الانتخاب الطبيعي: عند بعض علماء الطبيعة والأحياء هو عملية تحدث في الكون وبها تبقى الكائنات الأكثر تكيفاً مع بيئاتها على قيد الحياة. وقد أطلق على هذه العملية البقاء للأصلح. وقد شرح عالم الطبيعة

البريطاني تشارلز داروين نظرية الانتخاب (الانتقاء) الطبيعي بمزيد من التفصيل خلال الخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي.

اعتقد داروين أن النباتات والحيوانات قد نشأت تدريجياً من أسلافها القليلة المشتركة بواسطة الانتخاب الطبيعي. وهذا الاعتقاد مبني على أساس أن بعض الصغار تموت مبكراً قبل الأوان لأن هناك مصدراً محدوداً من الغذاء والماء والضروريات الأخرى للحياة لجميع الكائنات، لذا تتنافس هذه الكائنات وتتصارع للحصول على ضروريات البقاء. كما تكافح أيضاً لدفع الأخطار التي تدمرها. ونتيجة لذلك تحيا الأفراد ذات الصفات الملائمة للبقاء ودفع الأخطار بينما تموت الأفراد ذات الصفات غير الملائمة وغير القادرة على الحصول على ضروريات البقاء أو دفع الأخطار، وأن جميع أنواع الكائنات قد استمرت بهذه الطريقة بعد حصول التناسل.

ويعتد / داروين / رائد علم الأحياء، الذي استند فيه إلى نظرية (النشوء والارتقاء) في حياة الإنسان، وقدم لها تفسيراً منهجياً معقولاً واستناداً إلى هذه المبادئ التي قدمها داروين في أصل الكائنات الحية وتطورها، وصولاً إلى وضع الإنسان الحالي، اكتشف العلماء قوانين الوراثة وما يتبعها من الجينات (الخلايا) التي تحمل صفات الإنسان، وتنقلها من الآباء إلى الأبناء، من خلال التلقيح والتكاثر. وهذا ما جعل علماء الأنثروبولوجيا يعتقدون بأن الجنس البشري مرّ بمراحل تطورية عديدة، حتى وصل إلى الإنسان (الحيوان الناطق والعاقل).

واستناداً إلى هذه المبادئ التي قدّمها دارون في أصل الكائنات الحيّة وتطوّرها، وصولاً إلى وضع الإنسان الحالي، اكتشف العلماء قوانين الوراثة وما يتبعها من الجينات (الخلايا) التي تحمل صفات الإنسان، وتنقلها من الآباء إلى الأبناء، من خلال التلقيح والتكاثر.

وهذا ما جعل علماء الأنثروبولوجيا يعتقدون بأن الجنس البشري مرّ بمراحل تطوّرية عديدة، حتى وصل إلى الإنسان (الحيوان الناطق والعاقل)

- السلالات البشرية

الأنثروبولوجيا الطبيعية هي دراسة السلالة (العنصر race) والبيولوجيا البشرية. وتختص بدراسة الخصائص الجسميّة للجنس البشري الحالي المعروف باسم الإنسان العاقل، واخترعت المقاييس والآلات الدقيقة الخاصة بدراسة تلك الخصائص. واستطاع العلماء بفضل تلك المقاييس تصنيف جنس "الإنسان العاقل" إلى سلالات وتفرعات على أساس خصائص جنسية محددة، وهناك اتفاق في الرأي على أن التفرعات السلالية التي نلاحظها اليوم حدثت بعد ظهور جنس "الإنسان العاقل".

والسلالة مفهوم إحيائي يعني قسماً من أقسام النوع، والنوع مجموعة من الحيوانات تستطيع التزاوج فيما بينها إذا سُنحت لها الفرصة ولا تستطيع أن تتزاوج مع حيوانات أخرى. وأفراد البشر جميعاً -إلا إذا كان هناك مانع متعلق بفصائل الدم- يستطيعون التزاوج وتزاوجاً مثمراً فيما بينهم. (كون، ١٩٦٥، ٢٦)

وهنا لا بد من الإشارة إلى تصنيف العلامة "سونيا كول" الذي نشرته في عام ١٩٦٣ واعتمدت فيه بالإضافة إلى الخصائص الجسمية المعروفة- لون البشرة وشكل الأنف ونوع الشعر وشكل الرأس وما إلى ذلك - على تحليل فصائل الدم وبعد ذلك من أحدث وأدق أسس التصنيف. تقسم "كول" الجنس البشري إلى أربع مجموعات سلالية ويتفرع من كل مجموعة سلالات فرعية. (وصفي، ١٩٧١، ٢٣) ويتضح ذلك فيما يأتي:

١- السلالة القوقازية:

تشكل ٥٥% من مجموع سكان العالم. وسكان العالم العربي يعدون من هذه السلالة. ومن مزاياها، أن البشرة بيضاء في معظم أوروبا، ولكنها داكنة في غرب آسيا والهند، وتصبح سوداء في البنغال وجنوبي الهند. ويتراوح لون حدقة العين من الزرقاء إلى البني الغامق. والشعر كثيرا ما يكون مستقيما أو مموجا. والوجوه والأنوف من الوجه الضيق والأنف المقوس إلى الوجه العريض والأنف المدبب. والشفاة رقيقة عادة، وقلما تكون مقلوبة. والأسنان مابين صغيرة ومتوسطة، وقلما يبرز الفك، أما الذقن فهو بارز بشكل أو بآخر. وتختلف كثافة الشعر لدى الذكور -فوق الذقن وفوق الجسم- وتنتشر صفة الصلع، ويشيب الشعر مبكرا، ويختلف بنيان الجسم، إلا أن الجذع غالبا ما يكون طويلا، وعضلات الساعد قوية.. (كون، ١٩٦٥، ٣٢) ومن مناطق انتشارها: أوروبا، شمال إفريقيا، وجنوب غرب آسيا، والهند والأمريكتان وأستراليا، وتضم: (وصفي، ١٩٧١، ٢٣)

١/١- سلالة البحر المتوسط:

- سلالة البحر المتوسط- الإيرانيون- الأفغان- النورديون- الألبانيون -
البلطيقون الشرقيون- اللات.

١/٢- السلالة القوقازية في الهند:- هنود البحر المتوسط- السلالة
القوقازية الشرقية بأفريقيا(البربر)

- السلالة القوقازية الشرقية بأفريقيا (المصريون والصوماليون
والأثيوبيون)



خريطة توزع السلالة القوقازية

٢- السلالة الزنجية

تؤلف هذه السلالة ١٠% من مجموع سكان العالم، وهي أكثر السلالات تعرضا للاضطهاد من قبل السلالات الأخرى. من صفاتها ومزاياها: البشرة السوداء والشعر الملفف والشفاه الغليظة والأنف الأفطس.

- مناطق انتشارها: جنوب قارة إفريقيا ووسطها، وبعض جزر المحيط الهندي والأجزاء الشمالية والشرقية من أمريكا الشمالية والوسطى، وتشتمل على:

الزنج - الأقزام - السلالة الخوسمانية أو الكابية.

وتنقسم المجموعة الزنجية إلى شعبتين رئيسيتين: أولهما الزنوج، وثانيهما الأقزام، ويتفقان في الصفات الأنفية الذكر لكن يختلفان في طول القامة، فالزنوج ذوو قامة فوق المتوسط ١٧٥سم، بينما الأقزام يقلون عن ١٥٠سم.

وصفة أخرى تفرق بينهما هي اتساع عرض الرأس عند الأقزام عن الزنوج . وتأتي ضمن هذه السلالة "المجموعة الكابية"، ويقصد بهم "البوشمنوالهوتنتوت" الذين يسكنون جنوب غرب أفريقيا ومنطقة الكيب وتطلق عليها السلالة الخوسانية.

٣- السلالة المغولية:

تعرف بالسلالة الصفراء، وتشكل ٣٥% من مجموع سكان العالم.

- صفاتها ومزاياها: يختلف لون البشرة باختلاف خطوط العرض في كل من آسيا والأمريكيتين من اللون الأسمر الباهت إلى اللون الأسمر الضارب للحمرة. ولون العين بني، والشعر أسود مع حمرة في جذوره في جماعات معينة، والشعر مستقيم خشن وينمو طويلا فوق الرأس، ولكنه نادر فوق الجسم والوجه،

وقلما يصبح المغوليون صلعا، ولا يشيب شعر رؤوسهم إلا عندما يطعنون في السن. ويمتازون بعظمة الوجه المرتفعة، ومن ثم تبرز عظام الوجه الموجودة أسفل فجوتي العينين وعلى جانبيها نحو الأمام وعلى الجانبين.

تمتاز هذه السلالة أيضا بالعين المنحرفة، أي أن العين تحرسها في فجوها جفون سميكة ثقيلة تبدو منحرفة بسبب ثنية داخلية تسمى الثنية المغولية. وعندما يبتسم المغولي تظهر أسنانه كبيرة ومستديرة وقواطعه مقعرة، وتبدو الوجوه عادة مسطحة، أما الأنوف فهي إما مفلطحة وإما مقوسة، وأكثر ما يكون الأنف المفلطح شيوعا في الصين الجنوبية وجنوب شرق آسيا واندونيسيا وسيبيريا وبين الاسكيمو وفي إقليم الأمازون، أما الأنف المعقوف فينتشر بين كثير من القبائل الهندية الأمريكية وبعض القبائل الآسيوية، وأما الشفاه فهي تميل إلى أن تكون رقيقة، بشيء قليل من النتوء، وبروز للأسنان مع تقهقر الذقن.

أما بنيان الجسم ففيه تراوح كبير، ويميل الجذع أن يكون طويلا، والساقان إلى أن تكونا قصيرتين، أما الساعد فقصير وكذلك الساق. ومعظم جماعات هذه السلالة ذات أيد وأرجل صغيرة، كما أن أظافرها منحنية إذا ما نظر إليها من الجانب. (كون، ١٩٦٥، ٣٣)

- مناطق انتشارها: جنوب شرق آسيا الصين - اليابان - كوريا - الفلبين - شمال آسيا وفيأجزاء من أمريكا الشمالية والجنوبية ويعرفون باسم الهنود الحمر، وفيشمال كندا ويعرفون بالاسكيمو، وفي شرق أوروبا واستراليا. وينقسم المغوليين حسب "كولن" إلى:

- المغول الأصليون (الاسكيمو واليابانيون والصينيون والكوريون).

- الأتراك

- سلالة التبت والهمالايا

- السلالة الاندونيسية الملايومرية
- الهنود الأمريكي (وصفي، ١٩٧١، ٢٤)

٤- السلالة الأسترالية:

هناك من العلماء من يرى أفراد السلالة الأسترالية أقدم أعضاء النوع البشري مظهرًا .

- صفاتها ومزاياها: تتميز بالحوارب السمكة والجباه المتقشرة، والصدع الفائر والعيون الغائرة، والأنف الكبير والفك البارز والأسنان الضخمة، ويتراوح الشعر ما بين الشعر المجعد، أو الزنجي إلى الشعر المستقيم، ولكنه أيضا مموج لدى الأستراليين الأصليين ومعظم الأستراليين في الهند. أما شعر الوجه والجسم فهو منتشر كما لدى القوقازيين، وهم مثل القوقازيين يصيبهم الصلع وتثيب شعورهم مبكرا. ويتراوح لون بشرتهم جغرافيا من اللون الأسمر الداكن الكالح إلى البني الفاتح. أما لون العين فهو بني ولون الشعر اسود إلا شعر النساء والأطفال في الصحراء الأسترالية فهو أشقر. (كون، ١٩٦٥، ٣٣) وتشتمل هذه السلالة على الأستراليين الأصليين من :

- الأينو: شعب الأينو هم أحد السكان الأصليين في جزيرة هوكايدو الواقعة أقصى شمال اليابان لسنوات عديدة قبل السكان الحاليين، وأطلقوا على موطنهم «أينو موسير» أي أرض البشر. عاشوا في هذه الجزيرة على صيد الأسماك والحيوانات البرية، ولهم تاريخ، وثقافة، وديانة، ولغة خاصة بهم. عندما تراهم تقول أنهم من الهنود الحمر.

- قبائل الفدا : جنوب شرق الهند، وهي سلالة زنجية قصيرة القامة لم تختلط بغيرها وفي طريقها الانقراض.

- الميلانيزيون: هم أقصر شعوب جزر المحيط الهادئ، ويشبه كثير منهم الإفريقيين السود. وبالإضافة إلى بشرتهم السوداء، فلمعظمهم شعر أسود مُجعد. وبعض الميلانيزيين يسمون الأقزام الآسيويين.

- البولانيزيون: هم أطول سكان الجزر بأسرها، كما أنهم أصحاب البشرة الأكثر بياضا، ولهم شعر متوسط بين الناعم والمموج. وبعض البولنيزيين وبخاصة سكان مجموعات جزر ساموا، وتونجا وهاواي يتمتعون بأجسام قوية.

- قضية التمايز العرقي

يهتم علماء الأنثروبولوجيا الطبيعية وكذلك علماء الجغرافية البشرية بدراسة الخصائص الجسمية لتلك السلالات ودراسة هجراتها وتحركاتها، وتأثير العوامل الجغرافية من مناخ وإقليم في تلك الخصائص، والهجرات وما يجد من تغيرات.

ويرى العلامة " ليفي سترأوس " أن عالم الأنثروبولوجيا الطبيعية الذي يحاول تفسير تطور السلالات البشرية بالاقتصار على العوامل الطبيعية وحدها وعدم الأخذ بالعوامل الثقافية هو في الحقيقة يسير في طريق مظلم ولن يصل إلى الحقائق، شأنه في ذلك شأن عالم الحيوان الذي يفسر الأنواع المختلفة الموجودة حاليا للكلب عن طريق العوامل الطبيعية الصرفة دون الاهتمام بتدخل الإنسان في ذلك المضمار، وذلك

لان الإنسان استطاع أن يصل عن قصد إلى إنتاج أنواع جديدة للكلاب والطيور والحبوب كذلك.

وهكذا فإنه بالرغم من أن عالم الأنثروبولوجيا الطبيعية يستخدم مقاييس وطرق بحث العلوم الطبيعية، وبالرغم من كون تخصصه منتميا إلى العلوم الطبيعية إلا أنه على علاقة وثيقة بالعلوم الاجتماعية وخاصة الأنثروبولوجيا الثقافية بفروعها، وكذلك الحال بالنسبة لعلماء وطلاب الأنثروبولوجيا الثقافية، فإنهم في أشد الحاجة لدراسة الأنثروبولوجيا الطبيعية، ولا يمكن الفصل بين العلمين. (وصفي، ١٩٧١، ٢٦)

"وكان من نتائج انشغال علماء الأنثروبولوجيا الجسمية بمشكلة العرق أن اكتسب مفهوم النوع أو العرق رسوخا أعاق تفكيرنا عن الكائن البشري، فالأصناف العرقية البشرية ظلت، إلى عهد قريب، تعد كيانات ثابتة نسبيا وقادرة على الصمود أمام تأثيرات البيئة أو قوى التغير الفطرية. ويلاحظ أن التطرف في تمجيد فكرة العرق أدى إلى فرض عدد محدود من التصنيفات الصارمة على بني البشر الذين يمتازون بتنوع لا حد له، وأدى من ثم إلى زج الأفراد في هذه التصنيفات الصارمة على بني البشر الذين يمتازون بتنوع لا حد له، وأدى من ثم إلى زج الأفراد في هذه التصنيفات بصورة تطمس صفاتهم الأصلية الخاصة." (لنتون، ١٩٦٧، ٤٦).

إن التمايز العرقي حدث منذ زمن بعيد جدا خلال المدى الطويل للارتقاء البشري. وعندما نتحدث عن العرق نقصد ما يتقاسمه الأفراد من صفات موروثة مشتركة دون أن يكون لهم بالضرورة بنية وراثية

مشتركة، حيث لا يوجد شخصان متشابهان وراثيا ما عدا توائم متماثلة، ونتيجة لذلك إذا ما أعطيت قيمة عرقية لكل اختلاف عضوي فسوف نصل عمليا إلى عدد كبير من العروق يساوي عدد الأفراد.

والعرق نموذج معمّم للفروق الموروثة الواقعة ضمن نوع واحد، وحافظ عليها بالفعل تجمع معين، فهو نتاج فروق تبدل الموروثة، ولذا يجب ألا تسهم الفروق غير الموروثة أي إسهام في هذا المجال، فأحيانا يحدث خلط ما بين الصفات المكتسبة كاللغة والعادات والدين وبين الفروق العرقية، فالصفات الأولى يحصل عليها الفرد في حياته وما يكتسبه من خلال التنشئة وما يلقن من أمور اجتماعية وثقافية خاصة بمجتمعه، بينما العرق هو ما تحمله الموروثات، ويمكن نقله من الآباء للأبناء عن طريق الوراثة الجسدية. ولعل مرد التمايز بين العروق هو نتيجة :

أ- معدل الطفرة أو التغيير الوراثي.

ب- القدرة التكيفية لمثل هذه التغيرات، فهناك آلية يعتقد بأن المصادفة تقوم فيها بتأثير كبير و هذا شائع باسم (تأثير أوالجنوح الوراثي العشوائي) فمن المفروض في حالات خاصة أن يأخذ التزاوج العشوائي في حسابه ضياع الطفرة أو تثبيتها. فإذا كانت نسبة الطفرة منخفضة وحجم التجمع صغيرا، فإن احتمال الخسارة يزداد في هذا الأسلوب العشوائي. كذلك تؤثر البيئة أيضاً على بقاء الطفرة، فإذا أدى تغير المورثات إلى مزية قابلة للتكيف مع بيئة معينة مما يعطي صاحبها

بعض المزايا في نسبة تكاثره فمن المحتمل أن تحيا هذه الميزة الجديدة ويزداد تواترها.

هذا الإجراء الاصطناعي يعكس الطريقة التي تصبح فيها مجموعة معينة متكيفة مع وضعها الجديد، ومن ثم لتبرز بالنتيجة بمقومات متميزة عن تجمعاتها الأصلية في مناطق أخرى.

ومع مرور الزمن ازدادت التجمعات البشرية حجما، وتقدمت التكنولوجيا بخطوات واسعة في مختلف المجالات بحيث تم بها استغلال مساحات كبيرة من الأراضي، وتصنيع جميع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وانكسرت الحواجز الجغرافية، فأصبح من الممكن اجتياز مسافات طويلة براحة تامة، وحدث اختلاط بين المجموعات البشرية بالهجرات واختلاط أجناس بأجناس أخرى عن طريق الزواج.

وقد أخذ عامل الوراثة يعمل عمله بالتدرج في الصفات الجسمية لكل جنس، وأسهم في اختلاطها حتى أصبح من الصعب أن تجد في عالمنا عرقا نقيا يصنف البشر على أساسه إلى أجناس، وقد اثر هذا على إعادة توزيع المورثات الناتج عن ذلك، فقد حدث فيض من المورثات لا سابق عهد لها به، فقد برزت للعالم شعوب جديدة كثمرة لاختلاط العروق، فلم يعد هناك عرق واحد صاف، فقلما نرى اليوم شعبا يعيش نوعا من الانعزال التام.



مراجع الفصل الأول

- الأخرس، محمد صفوح (٢٠٠١) الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات، وزارة الثقافة السورية
- الخطيب، محمد (٢٠٠٨) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين للنشر، سورية.
- دارون، تشارلز (١٩٧٣) أصل الأنواع، ترجمة: إسماعيل مظهر، مكتبة النهضة، بيروت.
- كون، كارلتون اس. - هنت آلابن، ادوارد أ. (١٩٦٥) السلالات البشرية الحالية، ترجمة د. محمد السيد غلاب، مكتبة الانجلو المصري، القاهرة.
- وصفي، عاطف (١٩٧١)، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت



الفصل الثاني

الأنثروبولوجيا النفسية

- مقدمة
- نشأة الأنثروبولوجيا النفسية
- موضوع الأنثروبولوجيا النفسية
- أثر الثقافة في الشخصية
- عوامل تأثير الثقافة في الشخصية. (التربية - التعليم - الصدمة الثقافية)
- طرائق بحث تفاعل الفرد ووسطه الثقافي
- أثر الشخصية في الثقافة
- عملية التجديد والاختراع
- نظرية التنظيم الأقصى
- دراسة استجابة الجماعات للتجديد بين القبول والرفض
- دراسة أنواع الضغوط التيستخدمها أعضاء الثقافة المانحة
- دراسة العمليات الإحيائية



مقدمة

أدى اهتمام العلماء الأنثروبولوجيين بدراسة التباين بين الشخصيات في الثقافات المختلفة إلى ظهور فرع متخصص يعرف بالأنثروبولوجيا النفسية أو الثقافة والشخصية. تبحث الأنثروبولوجيا النفسية في الظروف النفسية التي تشجع على التحمل والتغيير في النظم الاجتماعية وذلك بهدف فهم أفضل للعلاقة بين الثقافة والفرد. ويرى بعض علماء الاجتماع أن الأنثروبولوجيا في كليتها نفسية (Bock, 1988, 1).

وفي تعريف مبسط لها بأنها: علم السلوك. ويشمل علم النفس ميدان الأنثروبولوجيا الذي يركز على العلوم الإنسانية لقد درس العديد من علماء الأنثروبولوجيا نظام السلوك الإنساني دون الاهتمام بالنظريات النفسية. ومن أبرز هؤلاء "Leslie A. White - ليزلي وايت" التي نظرت إلى الثقافة نظاماً مادياً من مواضيع ورموز تحدد السلوك الإنساني. (Alten, 1998, 1) وتسمى الأنثروبولوجيا النفسية أيضاً (الثقافة والشخصية) Culture and Personality وذلك بالنظر إلى العلاقة الوثيقة بين الثقافة والشخصية الإنسانية.

وقد أثبتت بعض الدراسات أن التطابق في التقييمات المستقلة للمعلومات التي جمعت، بقصد دراسة معادل "الثقافة - الشخصية" بلغ حداً كبيراً يدل على توقع حدوث تعاون مثمر بين الأنثروبولوجيين والتحليل النفسي في أبحاث أخرى. وتدل أيضاً على أن من المستحسن أن يتدرب الباحث على فروع علمية عديدة حتى يتمكن من إجراء المراحل المختلفة من البحث والتحليل، والتي تتطلبها طريقة التركيب "السيكو - ثقافي" (هوسكوفيتز، ١٩٧٤، ٥٣).

وأكدت معظم التعريفات التي تناولت مفهوم الثقافة، ارتباطها أساساً بالنتاجات / الإبداعية والفكرية / للإنسان. وهذا يعني أن الثقافة ظاهرة ملازمة للإنسان، باعتباره يمتلك اللغة، واللغة وعاء الفكر، والفكر ينتج عن تفاعل العمليات العقلية والنفسية التي يتمتع بها الإنسان دون غيره من الكائنات الحية.

فموضوع الأنثروبولوجيا النفسية، يتحدد إذن، في العلاقة بين الثقافة والشخصية، هذه العلاقة التي تسير في اتجاهين متكاملين :

- اتجاه يأخذ أثر الثقافة في الشخصية،

- واتجاه يأخذ أثر الشخصية في الثقافة.

وقد ساعد ظهور الأنثروبولوجيا النفسية، علماء النفس في الوصول إلى فهم أفضل للمبادئ التي تحكم تكوين الشخصية، وأثار في الوقت ذاته اهتمام علماء الأنثروبولوجيا لدراسة الأنماط الأساسية للشخصية في المجتمعات المختلفة، قديمها وحديثها.

- نشأة الأنثروبولوجيا النفسية وتطورها

تقوم الأنثروبولوجيا النفسية بأساسها على المقارنة بين ثقافات الشعوب ، النشأة في الثلاثينيات ، أهم أعلامها المؤرخ اليوناني " هيرودوت " في القرن الرابع قبل الميلاد، الذي لاحظ الفروق الواضحة بين العادات الإغريقية والعادات الفرعونية.

في القرن الأول الميلادي قام المفكر "ناسيتوس" بمقارنة سلوك القبائل الجرمانية الشمالية بأسلوب الحياة في مدينة روما، وعندما جاء

عصر الاكتشافات واكتشفت أمريكا وباقي أجزاء العالم بدا الأوروبيون يعرفون الكثير عن أساليب معيشة الشعوب الأخرى، ولاحظوا الاختلافات الشاسعة بين لغات الشعوب وثقافتهم.

وفي القرن التاسع عشر اهتم المفكرون بمقارنة الشعوب المختلفة سواء المعاصرة أو القديمة وقد ساعد على تنمية وإثارة هذا الاهتمام الجيولوجيا والآثار وعلم طبقات الأرض ونظرية "داروين"، ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي كثرت الدراسات الأثنولوجية والتاريخية التي اهتمت بمقارنة الثقافات والفترات الزمنية المختلفة وفي نهاية القرن التاسع عشر نشأت الأنثروبولوجيا الثقافية بفضل مجهودات العالمين "تايلور" و"مورغان".

ويعد "بوركهارت" من الرواد الأوائل لهذا الميدان، الذي درس في كتابه (مدينة عصر النهضة في إيطاليا) ١٨٦٠، الثقافة الإيطالية في تلك الفترة، ودرس كذلك الانجازات العظيمة لعصر النهضة، وقام بمقارنة مدينة عصر النهضة في إيطاليا بالثقافة الإيطالية في فترة العصور الوسطى، وتوصل إلى نتيجة مهمة، وهي أن مدينة عصر النهضة يسودها الاتجاه الفردي والنزعة للتفرد، وأثبت ذلك عن طريق كثرة أنماط الملابس وتعددتها، والاهتمام بانجازات الأفراد، وقصص النجاح الفردي، وانتشار الأساطير حول أماكن ميلاد الرجال المشهورين، وأماكن قبورهم، وتقدم فن كتاب سير المشاهير من الرجال، هذا إضافة إلى ضعف تطبيق القوانين في تلك الفترة، مما يزيد ظهور الاتجاه الفردي في صور التمرد على القوانين، ولا يمكن إغفال حقيقة

مهمة، هي أن الاتجاه الفردي من أهم خصائص الثقافة الغربية، ولا يزال مسيطرا على الكثير من نظم تلك الثقافات وأنساقها، وهذا ما يبين أهمية تلك الدراسة المبكرة.

أما العلامة "هايزنجا" فقد درس اتجاه ثقافة العصور في فرنسا وهولندا في القرن الرابع عشر الميلادي، ودرس فترة انحسار ثقافة العصور الوسطى وتداعياتها، واهتم بدراسة الاتجاهات العاطفية السائدة في تلك الفترة، وحددها بأنها حالة من الاضطراب الدائم بين اليأس والفرحة وبين القسوة والرقّة، وناقش الآثار العاطفية التي ترتبت على المواقب الدرامية، مثل الجنازات والتعذيب العلني ومواقب الإعدام العلني، والمواظ المزخرفة لرجال الدين، وهكذا كانت تتمثل روح ثقافة العصور الوسطى في فترة انحسارها في حالة من تناقض المشاعر تجمع بين القسوة والشفقة، فبينما كانت حالات المرض والفقر والجنون هي أكثر الحالات التي تدعو للشفقة، كانت تعامل تلك الحالات - في الوقت نفسه - بقسوة غير معقولة (مسلم، ١٩٩٣، ١٣٩ - ١٤٠).

وفي دراسته القيمة في فلسفة التاريخ عن (انهيار الغرب) يشبه "شبنجلر" الثقافات بالكائنات الحية، فالثقافة مثل الكائن البيولوجي تولد وتموت. كان "شبنجلر" أول من بحث ظاهرة (الاستعارة الانتقائية) للعناصر الثقافية، فقد شرح كيفية انتقال هذه العناصر من مجتمع لآخر، وما يطرأ على تلك العناصر من تغيرات كي تلائم الثقافة الجديدة. فمثلا انتشار البوذية من الهند إلى الصين وما صاحبها من تغيرات في المجتمع الجديد وهي التي عكست الاتجاهات والقيم السائدة في ثقافة ذلك المجتمع، ولا تقتصر تلك الأساليب على تعديل العناصر

الثقافية المستعارة وإنما تشمل كذلك عمليات رفض تلك العناصر المستعارة. ونفهم من تحليلات (شبنجلر) انه يرى أن تصور العالم السائد في ثقافة ما، هو المسؤول عن عمليات التغيير والرفض التي تجريها تلك الثقافة على عناصر مستعارة من ثقافة أخرى.

وفي مقارنته بين الثقافة الإغريقية والثقافة الفرعونية توصل (شبنجلر) إلى تحديد اختلاف واضح في (تصور العالم) في الثقافتين، فبينما يتعلق المصريون القدماء في مفهوم الزمن ولذلك يسيطر عليهم اهتمامهم بالزمن على الكثير من عناصر وانساق الثقافة الفرعونية، حقاً لقد عرف الإغريق بنظام التسلسل الزمني واستعاروه من الثقافة البابلية والفرعونية ولكنه فقد الكثير من ثقله الثقافي في واقعه الثقافي الجديد. وبالرغم من وجود مؤرخين من أمثال (هيرودت) و(توثيديس) إلا أن الأخير ادعى عدم وجود أحداث تاريخية مهمة في عصره مما يزيد من تأكيد عدمية النظرة إلى الزمن في الفكر الإغريقي وتختلف الصورة (تماما الثقافتين البابلية والفرعونية) حيث إن الاهتمام بالزمن يسود الكثير من انساق ومركبات تلك الثقافات.

ومن أمثلة ذلك استخدام سجلات محظورة على حجر الجرانيت وتطبيق نظم زراعة وإدارة متطورة في مشروعات الري في بابل - خصوصاً - وبناء الأهرامات رمزاً للخلود واستمرار الزمن والاهتمام بالسجلات القديمة ونظام تحنيط الجثث عبر القرون - كـ الإيمان بالبعث الآخروي للإنسان والحياة الثانية له.

وهكذا يجعل (شبنجلر) الثقافتين البابلية والفرعونية ثقافتين أصيلة (تاريخية) بينما الثقافة الإغريقية ثقافة (لا تاريخية) واعتمد على حرق الإغريق لجثث موتاهم. وينتقل "شبنجلر" إلى تحليل الثقافة الغربية الحديثة ويحدد تاريخ ميلادها بالقرن العاشر الميلادي ومكان ميلادها في أوروبا الغربية ويطلق عليها (الرجل الفاوستي - fastain man) حيث تحرك الشخصية الفاوستيه شعوراً عميقاً بالأنا واستتباطاً قوياً بالأنا تتميز بالاهتمام بالذكريات والتأملات الشخصية، وتجمع كذلك بين الاهتمام بالماضي في شكله الظاهراتي المؤسس على تناوب عناصر القوة وبين التخطيط للمستقبل المؤدلج من قيمة الأفكار الذاتية للغرب.

كذلك حدد (شبنجلر) الكثير من خصائص الثقافة الغربية الحديثة وقارنها بخصائص الثقافات الإنسانية الكبرى. فقد لاحظ ان الثقافة الغربية تشبه الثقافة الفرعونية في اهتمامها بالزمن، فهي تهتم بالماضي وتخطط للمستقبل ويدل على ذلك انتشار ساعات الحائط وساعات الأبراج في كل مكان، ولكن الثقافة الغربية تتميز بخاصية فريدة تشاركها فيها الثقافة البابلية والفرعونية وهي (الاهتمام بمفهوم المكان) ويرى أن الاهتمام بالآلات الموسيقية الغربية هي تعبير عن الرغبة في شغل المكان غير النهائي بالصوت ويسمى (الأرغن) بالمارد المسيطر على المكان لذلك اتخذته الكنيسة الغربية آلة رئيسية في جميع مناسباتها الدينية.

و يقارن "شبنجلر" بين الثقافة التقليدية التي وجدت في الغرب قبل عصر النهضة والثقافة الفاوستيه الحديثة التي صاحبت عصر النهضة، وتوصل إلى تحديد اختلافات واضحة في الصيغ الكلية للثقافتين.

وهكذا أسهم "شبنجلر" بفلسفته التاريخية وتحليله للقيم الثقافية الغربية في التمهيد لنشأة الأنثروبولوجيا النفسية فقد قدم بوضوح مبدأ (الصيغة الكلية - configuration) في الثقافة ليقتصد به تكامل الثقافة حول مجموعة من القيم والاتجاهات ولكنه أكد أن التكامل الثقافي والصيغة الكلية لا يوجدان إلا في المدنيات والثقافات المعقدة الكبرى وأنكر وجودهما في الثقافات البدائية البسيطة، ورغم ما لهذا الرأي من إهمال واضح لمعايير كثيرة استطاعت بعض الثقافات - الشرق أوسطية - أن تخلقها في ثقافتها المتجذرة إلا أن "شبنجلر" حافظ من خلال تحليله هذا على قوة اتصاله المعرض بثقافات العالم بكلتا صيغتها المعرفية - عليا ودنيا - واكتشف أن الإنسان في كل الثقافات استطاع خلق عناصره الحرة في الإبداع الاجتماعي والثقافي لتنسجم في كل متناظر على صعيد الإنسانية. (انظر كتاب انهيار التاريخ، أوزفلدشبنجلر)

- موضوع الأنثروبولوجيا النفسية

يتلخص موضوع الأنثروبولوجيا النفسية في الدراسة العلمية للعلاقة بين الثقافة والشخصية ، وتعد احد فروع الأنثروبولوجيا الثقافية الذي يجمع بين مفاهيم الأنثروبولوجيا عن الثقافة، ومفاهيم علم النفس عن الشخصية. ولذلك يتطلب هذا الفرع من المعرفة تعاوننا وثيقا بين المتخصصين في الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم نفس الشخصية.

أخذ الاهتمام بموضوع الثقافة والشخصية يتزايد في الوقت الحاضر بعد تركيز الأنثروبولوجيين على دراسة عمليات التغير الثقافي في المجتمعات البدائية والنامية، وقد أظهرت دراسة عمليات التغير

الثقافي أن الفرد في المجتمع ليس مجرد حامل لثقافة المجتمع وإنما هو أيضا مخترع لعناصر ثقافية جديدة، ولديه القدرة على رفض أو قبول أي تجديد في ثقافته.

وهكذا وجد الباحثون أن الفهم الدقيق لظاهرة التكامل الثقافي لعمليات التغير الثقافي يتطلب الرجوع إلى حقائق علم النفس وعلى الخصوص علم نفس الشخصية، فقد لاحظوا أن حالات رفض أو قبول تغيرات ثقافية في مجتمع ما ترتبط بصورة ما بمدى توافق العنصر أو المركب الثقافي الجديد مع الشخصية العامة لأعضاء المجتمع الواحد، هذا بالإضافة إلى ملاحظة أن شخصيات أعضاء المجتمع الواحد تتفق في سمات معينة، ويرجع ذلك الاتفاق إلى معيشتهم في ثقافة واحدة.

انتشر اصطلاح الثقافة والشخصية بصورة سريعة للدلالة على هذا الفرع من المعرفة، ولكن صاحب هذا الانتشار بعض الاعتراضات التي تنادي بتغييره فمثلا يرى العالمان "كلاكهون" و"موراي" ان اصطلاح " الثقافة والشخصية " قد يفهم منه تناقض وثنائية مثل التي توجد في أن اصطلاح الروح والمادة ولذلك يفضلون استخدام اصطلاح الثقافة في الشخصية أو الشخصية في الثقافة "

١- أثر الثقافة في الشخصية:

يقول "سابير": «هناك علاقة أساسية بين الثقافة والشخصية. فلاشك في أن أنماط الشخصية المختلفة، تؤثر تأثيرا عميقا في تفكير عمل المجموعة بكاملها، وعملها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تترسخ بعض أشكال السلوك الاجتماعي، في بعض الأنماط المحددة من أنماط

الشخصية، حتى وان لم يتلاءم الفرد معها الا بصورة نسبية (Sapir, 1967, 75). ويستخدم الأنثروبولوجيون مفهوم الثقافة على انه أسلوب الحياة الذي يميز مجتمع ما من غيره من المجتمعات، ويتميز مفهوم الثقافة بالشمول ويتميط السلوك بينما الشخصية على هي تنظيم دينامي ثابت نسبيا في الفرد يتمثل في مجموعة من السمات الجسمية والنفسية، ويستدل على ذلك التنظيم من خلال ملاحظة سلوك الفرد، وإخضاع تلك الملاحظة للقياس الكمي الذي يمكن التعبير عنه بتكوينات متوسطة مثل السمات او الاتجاهات.

و يفضل " رالف لينتون " عند دراسة موضوع الثقافة والشخصية أن يستخدم تعريف الثقافة بأنها: الصيغة العامة للسلوك المتعلم، ونتائج السلوك هي العناصر التي تؤلف هذه الصيغة كما أنها مشتركة وتنتقل بواسطة أعضاء المجتمع الخاص بها. ويتضمن تعريف "لينتون" للثقافة ثلاثة جوانب، الأول هو أن اصطلاح الصيغة العامة، وتعني أن السلوك ونتائجه المختلفة تنظم في نمط كلي، أما السلوك المتعلم، هو الذي يحدد المناشط التي تصنف جزءاً من الصيغة العامة للثقافة، ويتعدل محتوى هذه الصيغة بعملية التعليم. (الغامري، ١٩٨٩، ٤١)

ويهتم الأنثروبولوجيون النفسيون بتحديد سمات الشكل الرئيسي للشخصية، وكذلك سمات الشخصيات المركز في المجتمع قيد الدراسة. وهنا يتضح اختلاف ميدان التخصص بين الأنثروبولوجيا النفسية وعلم نفس الشخصية وإن كان التعاون بينهما أمراً ضرورياً إذ لا يمكن أن نصل إلى تحديد تلك الكلية الشخصية دون معاونة الأطباء والمحللين النفسيين الذين يطبقون الاختبارات الاسقاطية على عدد مناسب من

الأفراد، ومن ثم يمكن استخراج المتوسطات التي تحدد الشكل الرئيسي للشخصية وشخصيات المركز. ويقوم المتخصصون في الأنثروبولوجيا النفسية بهذا العمل سواء كانوا من علماء النفس أم من علماء الأنثروبولوجيا، وبلي ذلك تحديد اثر الثقافة في تلك الصيغ الكلية للشخصية، وهو الجانب الأول من موضوع الأنثروبولوجيا النفسية.

إن الأنثروبولوجيين الأمريكيين، وعلى رأسهم العلامة "بواز" كانوا من أول من اكتشف قصور العوامل الفيزيولوجية والوراثية في تفسير الأشكال العامة للشخصية في المجتمعات المختلفة، ولكنهم في غمرة حماسهم في التصدي للمذاهب العنصرية غفلوا عن تقديم بديل للعناصر السلبية التي ثبت قصورها والثقافة هي هذا البديل، وهنا يجب ملاحظة أن قصور العوامل الفيزيولوجية والوراثية في تفسير الأشكال العامة للشخصية في المجتمعات لا يعني عدم تأثيرها في تكوين الشخصية الفردية.

ترتب على ازدهار الدراسات الأثنوغرافية والأثنولوجية في نهاية القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين، إن حصل الأنثروبولوجيون على مادة وفيرة تسمح بإجراء الدراسات المقارنة للثقافات المختلفة وملاحظة الفروق الشاسعة بين الأشكال الرئيسية للشخصية في تلك الثقافات، مما أدى إلى تأكيد قصور العوامل البيولوجية والوراثية في شرح تلك الاختلافات، واتجه التحدث إلى تحديد اثر العوامل البيئية، ويقصد بها هنا الناس والأشياء، حيث تتعدد وتتنوع أشكال سلوك الأفراد في أي مجتمع، وكذلك أشكال معظم الأشياء التي

يستخدمونها، وتدخل تلك الأشكال في إطار الأنماط الثقافية وذلك حسب التعريف الكلي لمفهوم الثقافة.

فمن خلال نمو الفرد في مجتمعه تنمو وتتشكل شخصيته من خلال الخبرات التي يستقبلها من اتصاله بالأنماط الثقافية المختلفة، ولا يختلف احد انه بدون هذا الاتصال لا يكون للفرد شخصية، فالشخصية تنمو وتتشكل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وتمثل تلك العمليات التربوية تأثيرات الثقافة على الشخصية.

وقد ميز " لينتون " بين شكلين: الشكل الرئيس للشخصية وهو يميز معظم شخصيات أفراد المجتمع، ويتمثل هذا الشكل الرئيسي في مجموعة من القيم والاتجاهات العامة التي تتمركز في المستويات العميقة من شخصية الفرد، وتؤسس تلك القيم والاتجاهات في الشخصية في أثناء مرحلة الطفولة عن طريق اتصالات الطفل المستمرة والقوية بأعضاء أسرته.

وإلى جانب الشكل الرئيسي للشخصية يوجد في المجتمع الواحد عدة أشكال أخرى للشخصية وهي شخصيات المركز، وذلك لأن الأفراد الذين يشغلون مركزا اجتماعيا واحدا في المجتمع يقومون بأداء عدة ادوار متشابهة، ويطلع هذا الأداء شخصياتهم بسمات مشتركة، فمثلا في أي مجتمع هناك اختلاف بين شخصيات النساء وشخصيات الرجال، وبين شخصيات الأطفال والبالغين والشيوخ، وفي المجتمعات المتقدمة نلاحظ تشابها بين شخصيات الموظفين الكتابيين وما إلى ذلك من المهن المختلفة.

ويؤكد "لينتون" على أهمية شخصيات المركز في إنجاح عملية التفاعل بين أفراد المجتمع (معرفة الشخص للوضع الاجتماعي لشخص آخر يمكنه ذلك من التنبؤ بالاستجابات التي يمكن ان تصدر عنه في مواقف مختلفة).

فالثقافة إذن ترتبط بالشخصية، حيث تكون رافداً أساسياً من روافد هذه الشخصية وتحدد سماتها. ولذلك، فإن دراسة الثقافة والشخصية، تمثل نقطة التقاء بين علم النفس وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا). فلا يمكن فهم أي شخص فهماً جيداً، من دون الأخذ في الاعتبار الثقافة التي نشأ عليها. كما لا يمكن فهم أي ثقافة إلا بمعرفة الأفراد الذين ينتمون إليها ويشاركون فيها، ويتجلى ذلك في سلوكياتهم الملحوظة، حيث تبدو تأثيرات الثقافة على الفرد في النواحي الآتية :

١/١- الناحية الجسمية : إن الثقافة السائدة لدى شعب من الشعوب، كثيراً ما تجبر الفرد - بما لها من قوة جبرية وإلزام، وسيطرة مستمدة من العادات والقيم والتقاليد- على أعمال وممارسات قد تضر بالناحية الجسمية ضرراً كبيراً. فعلى سبيل المثال: كانت العادات لدى بعض الطبقات المرفهة في الصين، أن تثني أصابع الطفلة الأنثى، وتطوى تحت القدم، وتلبس حذاء يساعد في إيقاف نمو قدمها، ويجعلها تمشي مشية خاصة. فعلى الرغم من التشوه الذي يحصل للقدم، فقد كانت تلك المشية بالإضافة إلى صغر القدم، من أهم دلالات الجمال.

٢/١- الناحية العقلية : لا شك في أن الثقافة بأبعادها المادية والمعنوية، تؤثر تأثيراً فاعلاً في الناحية العقلية للشخصية، ولا سيما من الجانب المعرفي / الفكري. فالفرد الذي يعيش في جماعة (مجتمع) تسود ثقافتها العقائد الدينية أو الأفكار السحرية، تنشأ عقليته وأفكاره متأثرة بذلك. فالمعتقدات التي تسود في المجتمع الهندي أو الصيني، غير تلك المعتقدات التي تسود في المجتمع الأمريكي أو العربي، ومن ثم فإنه من الطبيعي أن يتأثر الفرد سواء في المجتمع البدائي، أو في المجتمع المتحضر، بثقافة مجتمعه، ولا سيما عن طريق الأسرة، باعتبار أن من أهم وظائف الأسرة، مساندة التركيب الاجتماعي وتأيينه.

٣/١- الناحية الانفعالية : يتضمن الجانب الانفعالي، ما لدى الشخص من الاستعدادات والدوافع الغريزية الثابتة نسبياً، يزود بها منذ تكوينه وطفولته. وتعتمد على التكوين الكيميائي والغدي والدموي، وتتصل اتصالاً وثيقاً بالنواحي الفيزيولوجية والعصبية. وتؤكد الدراسات الأنثروبولوجية، أن للثقافة أثراً كبيراً في تربية مزاج الشخص وتهذيب انفعالاته، وإن لم يكن لها الأثر الحاسم في ذلك. فكثيراً ما نجد شخصاً قد ورث في تكوينه البيولوجي، عوامل (استعدادات) تثير لديه الغضب، لكن التنشئة الاجتماعية / الثقافية، ونبذ المجتمع لتلك الصفة، يجعله يعدل من سلوكه.

٤/١- الناحية الخلقية : تستند إلى الناحيتين العقلية والانفعالية، باعتبارهما المواد الخام التي تبنى عليها الصفات الخلقية. ولذا فإن الأخلاق السائدة في المجتمع، هي الحصيلة الناتجة من تفاعل القوى

العقلية والانفعالية، مع عوامل البيئة. أي أن النواحي الأخلاقية أكثر قرباً إلى العوامل البيئية، والوسط الاجتماعي والثقافة المهيمنة على الشخص.

فلكل ثقافة نسق أخلاقي خاص ينساق فيه الفرد، متأثراً بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر، والصواب والخطأ، وما يجوز وما لا يجوز، وإن كانت هذه المعايير نسبية تختلف في معانيها ودلالاتها من مجتمع إلى مجتمع آخر. ولذلك، فالجنوح عن تلك المعايير، أمر نسبي.. والسلوك الشاذ في ثقافة ما، قد يكون سلوكاً عادياً بالنسبة لمعايير وقيم ثقافة أخرى. فالسرقة مثلاً : تعدّ من الجرائم في المجتمعات الحديثة، ولكنها كانت مباحة عند كثير من الشعوب البدائية والقديمة، حتى أنها كانت نوعاً من أنواع البطولة. (الساعاتي، ١٩٨٣، ٢١٣-٢١٨).

ويتفق الأنثروبولوجيون النفسيون على حدوث تغيرات في الشخصية العامة للمجتمع عبر الزمان، ولكن معدلات تلك التغيرات تختلف تبعاً لتأثير عوامل متنوعة ومتشابهة، ومن أهمها التغيير الثقافي. فاختلاف شخصيات الأبناء عن شخصيات الآباء، من الظواهر النفسية التي تبرز بوضوح في المجتمعات المتمدنة التي تميّز بوضوح عملية التغير الثقافي. ولذلك ترى / مارغريت ميد / عالمة الاجتماع الأمريكية، أن كل عضو (فرد) في كل جيل يسهم - من الطفولة وحتى الشيخوخة - في إعادة شرح الأشكال الثقافية، أيضاً يسهم أعضاء المجتمع في عملية التغير الثقافي. ولكن يجب ملاحظة أن التغيرات الثقافية التي تصطدم بالشخصية العامة للمجتمع، يكون مآلها الإخفاق في أغلب الأحيان.

وهكذا، فإنّ التأثير متبادل بين الثقافة والشخصية، وذلك بالنظر لحدوث تغيّر في أحدهما أو فيهما معاً (وصفي، ١٩٧١، ١٠٥).

"وإذا كان ثمة فرق ما بين الشخصية والثقافة، فإنّ ذلك يعود إلى الفرق في الأسس التي تقوم عليها كلّ منهما. فالشخصية تعتمد على دماغ الفرد وجهازه العصبي، ودورة حياتها ما هي إلّا مظهر من مظاهر دورة حياة الجسم الإنساني. أمّا الثقافة، فتستند إلى مجموع أدمغة الأفراد الذين يؤلّفون المجتمع. وبينما تتطوّر هذه الأدمغة كلّ بمفرده وتستقرّ ثمّ تموت، تتقدّم دوماً أدمغة جديدة لتحلّ محلّها. ومع أنّه توجد حالات كثيرة من المجتمعات والثقافات التي طمستها قوى خارجة عنها، إلّا أنّه من الصعب أن نتصوّر أن المجتمع أو ثقافته، يمكن أن يموت بسبب الشيخوخة". (لينتون، ١٩٦٤، ٣٨٧)

٢- عوامل تأثير الثقافة في الشخصية:

يمكن تحديد أوجه تأثير الثقافة في الشخصية في عوامل أربعة هي:

١/٢- التربية:

هناك بعض الاختلاف بين علماء النفس، وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيين في النظر إلى محددات الشخصية ومكوناتها فإنّ تأثير التربية في الشخصية أو كما يعرف بالتنشئة الاجتماعية يعدّ من الأمور المتفق عليها من الأطراف الثلاث. وهو ما يؤكد الأثر الأساسي الذي تؤدّيه التربية في تكوين الشخصية، وفيما يلي نذكر بعض ما أورده علماء العلوم السابقة في هذا المجال:

- "واطسون" وهو احد أقطاب علم النفس الفردي وصاحب المدرسة السلوكية يرى أن " طبيعة الطفل تتسم بقدر من المرونة وقابلية التشكل في أية صورة يريدها أفراد الجماعة"

- "لينتون" وهو من الأنثروبولوجيين البارزين الذين اهتموا بأثر التربية في تكوين الشخصية، يرى أن " الأطفال الذين ولدوا في مجتمع معين يربون تقريباً بنفس الكيفية من جيل إلى جيل. وتبين أن السنوات الأولى من عمر الفرد تعد ذات أهمية قصوى في تكوين الشخصية، وقد تم اكتشاف هذا الأمر عند دراسة أفراد غير أسوياء حيث اتضح أن بعض ما ينفردون به من سمات في شخصياتهم يكون مرتبطاً بكيفية وثيقة بخبرات غير عادية قد تعرضوا لها في مرحلة طفولتهم. وقد دعمت هذه النتائج بدراسات أجريت علي عدد كبير من المجتمعات.

وقد لوحظ أن المجتمعات التي يسود فيها نمط ثقافي يفرض الطاعة المطلقة علي الأطفال للوالدين شرطاً أساسياً للحصول علي مكافأة، فإن شخصية البالغين الأسوياء من هؤلاء الأطفال تتسم بالخضوع والتبعية وعدم الخلق، والبحث باستمرار عن شخص له نفوذ وسلطان للتوجيه والدعم علي الرغم من أن هؤلاء الأفراد يكونون قد نسوا تلك الخبرات التي تشربوها في طفولتهم، إلا أن أثارها تبقى ظاهرة المعالم في شخصياتهم لا تفناً تطبعها بسمات خاصة.

ومن الجدير بالملاحظة حول هذا الموضوع أنه في بعض تلك المجتمعات ذات السلطة المطلقة للوالدين ثمة برامج لتدريب عدد قليل

من الأفراد على القيادة وذلك لعدم إمكانية ظهور قادة من خلال الأنماط الثقافية العامة.

وفيما يتعلق بالترابط بين الأنماط الثقافية وسمات الشخصية عند الكبار تشير الأبحاث التي أجريت على الأسر الصغيرة في المجتمعات الغربية إلى أن الأشخاص الأسوياء في تلك المجتمعات يميلون إلى تركيز الأشخاص في المجتمعات الأوروبية لعواطفهم وتوقعاتهم بالمكافأة أو العقاب على عدد قليل من الأشخاص ويرجع هذا التركيز بصورة لا شعورية لمواقف معينة في مرحلة الطفولة كونهم في طفولتهم استمدوا كل اشباكاتهم وإحباطاتهم من الوالدين فقط.

أما في الأسر الممتدة غير الغربية فإن الطفل يتصل بعدد كبير من البالغين وبالتالي لا يركز عواطفه واتصالاته عند الكبر بعدد قليل من الأفراد وتتضمن كل علاقاتهم الشخصية اتجاهها لا شعوريا يتمثل في عبارة " حسنا هناك آخرون للتعامل معهم" لذلك لا تنتشر في هذه المجتمعات غير الغربية مفاهيم الحب الرومانسي التي تركز عاطفة الحب على فرد معين بالذات دون الاقتران به تصبح الحياة دون معنى، وهذه المفاهيم موجودة في الثقافة الغربية.

إن ثقافة أي مجتمع تحدد المستويات العميقة لشخصيات أعضائها عن طريق الأنماط الثقافية الخاصة بتربية الطفل، ولا ينتهي أثر الثقافة في الشخصية عند هذا الحد وإنما يستمر طوال حياة الفرد ولا تقتصر على مرحلة الطفولة (مسلم، ١٩٩٣، ١٥٢).

ويظهر تأثير الثقافة في تكوين الشخصية من مصدرين :

الأول : هو الاختلافات التي تشتق من سلوك أفراد آخرين نحو الطفل، ويبدأ هذا التأثير منذ لحظة الميلاد، وله تأثير كبير خلال الطفولة.

والثاني : هو الاختلافات التي تشتق من ملاحظة الفرد للأنماط السلوكية التي تميز المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه الأنماط السلوكية لا تؤثر عليه مباشرة، ولكنها دائما تقدم له نماذج لتطور استجاباته المنطقية للمواقف المختلفة.

وهذه التأثيرات ليس لها أهمية في الطفولة المبكرة، وإنما يظهر تأثيرها ويستمر هذا التأثير على الفرد خلال حياته، ولذلك يجب ضرورة التمييز بين هذين النمطين للتأثير الثقافي. ومع ضرورة التمييز بين هذين النمطين قد يتفقان في بعض النقاط، فالسلوك ذو النمط الثقافي الموجه نحو الطفل يمكن أن يستخدم نموذج التطور بعض أنماط سلوكه، وتظهر فاعلية هذا العامل عندما يصبح الطفل في عمر يسمح له أن يلاحظ، ويتذكر ما يفعله الآخرون.

ولذلك نجد الآباء في المجتمع الأمريكي يحرصون دائما على إرسال أبنائهم إلى "مدارس الأحد" وذلك لأنهم تعودوا في صغرهم على الذهاب إلى هذه المدارس، وحقيقة أنهم كأفراد كبار يفضلون لعبة الجولف على حضور الكنيسة. إلا أن هذا الميل نحو تفضيل الجولف عن الكنيسة لا يضعف النمط الثقافي الديني، وتؤثر هذه الأنماط في تربية

الأطفال جيلا بعد جيل. ولذلك تعد السنوات الأولى من حياة الفرد هي الرسم الكروكي لتكوين الشخصية (linton, 1945,130)

والثقافة لا تؤثر في أفراد المجتمع جميعهم، بطريقة واحدة، ولهذا يمكن أن يقسم تأثير الثقافة في الفرد إلى فئتين أساسيتين : الأولى- التأثيرات العامة : وهي التأثيرات التي تحدثها الثقافة في الشخصيات المتطورة، من جميع أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة.

والثانية-التأثيرات الخاصة : وهي التأثيرات التي تحدثها الثقافة في أشخاص، ينتمون إلى جماعات أو قطاعات، أو فئات معينة من الأفراد، يعترف المجتمع بوجودها. (ناصر، ١٩٨٥، ٧٩)

٢/٢ - التعليم :

إذا كانت التربية تقتصر علي مرحلة الطفولة، وتتم بصورة قسرية على الأطفال في السنوات المبكرة، فإن التعليم علي العكس من ذلك، يمتد مع امتداد عمر الفرد أو من المفروض أن يكون كذلك، كما أن التعليم يتم بكيفية إرادية غير مفروضة علي الفرد في غالب الأحيان. ولأن ثبت أن ثقافة أي مجتمع تحدد المستويات العميقة لشخصيات أعضائها بالأنماط الثقافية الخاصة بتربية الأطفال، فإن الأنماط التي لا تنتهي عند مرحلة الطفولة، وإنما تستمر في تشكيل الكثير من العناصر الباقية في شخصيات أفراد المجتمع، وذلك عن طريق تزويدهم المستمر

بنماذج يكتسبونها عن طريق التعلم، ويقلدونها في كيفية مع بيئتهم الاجتماعية.

ويمكن أن نطلق اسم التنقيف أو المثاقفة Enculturation، على جوانب تجربة التعليم التي يتميز بها الإنسان من غيره من المخلوقات، ويوصل بها إلى إتقان معرفة ثقافته. والتنقيف في جوهره، سياق تشريط شعوري أو لا شعوري، يجري ضمن الحدود التي تعينها مجموعة من العادات. ولا ينجم عن هذه العملية التلاؤم مع الحياة الاجتماعية القائمة فحسب، بل ينجم أيضاً الرضى، وهو نفسه جزء من التجربة الاجتماعية، ينجم عن التعبير الفردي، وليس عن الترابط مع الآخرين في الجماعة. (هرسكوفيتز، ١٩٧٤، ٣٤)

و يشدد / سابير / على العلاقة بين الثقافة والشخصية، استناداً إلى الأساس اللغوي الذي كان له التأثير الكبير في الأنثروبولوجيا البنيوية. يقول " سابير: " هناك علاقة أساسية بين الثقافة والشخصية. فلا شك في أن أنماط الشخصية المختلفة، تؤثر تأثيراً عميقاً في تفكير عمل المجموعة بكاملها، وعملها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تترسخ بعض أشكال السلوك الاجتماعي، في بعض الأنماط المحددة من أنماط الشخصية، حتى وإن لم يتلاءم الفرد معها إلا بصورة نسبية " (Sapir, 1967, 75). وبهذا يؤدي التعلم إسهاماً كبيراً في عملية اكتساب الأفراد لهذه السمات العامة التي تؤلف الشخصية الأساسية.

٣/٢ - الصدمة الثقافية:

من أهم موضوعات اثر الثقافة بالشخصية، دراسة الآثار النفسية لصدمة فقدان الثقافة، والصدمة الثقافية، تعبير يستعمل لوصف المخاوف والمشاعر (من المفاجأة، الحيرى، الفوضى، إلخ) المحسة عندما يتعامل الناس ضمن ثقافة أو محيط اجتماعي مختلف تماما، كالبلاد الأجنبية، وترتفع هذه الصعوبات في خلال استيعاب الثقافة الجديدة، مما يشكل صعوبات في معرفة الملائم من غير الملائم، وفي أغلب الأحيان ترتبط هذه الثقافة بالاشمئزاز الكبير حول بعض صفات الثقافة الجديدة أو المختلفة. لقد تم عرض هذا التعبير لأول مرة في عام ١٩٥٤، بواسطة (كليفرو أوبرج - Kalvero Oberg).

إن حالة فقدان الثقافة هي الظروف الاستثنائية القاسية التي يتعرض لها المجتمع يترتب عليها انهيار ثقافة المجتمع أو انهيار بعض أنماطها، ومن أمثلة تلك الظروف القاسية الكوارث الطبيعية مثل: الزلازل والأعاصير والأوبئة، وكذلك الحروب المدمرة وحالات انهيار المدنيات الكبرى (المدنية الإغريقية، والرومانية، ومدنية إسبانيا الاستعمارية)، وحالات انقراض الكثير من الثقافات البدائية.

"حيث يواجه أعضاء المجتمع في أثناء هذه الكوارث بما يعرف بصدمة فقدان الثقافة، حيث يفاجئ الفرد بأن ثقافته قد اختفت وأنه مضطر إلى التخلي عنها فجأة أو التخلي عن بعض عناصرها (قيم - عادات..) وبمعظم الأحيان يجد الفرد نفسه مضطر للتخلي عن الثقافة وبعض

عناصرها تهربا من الأذى أو الضرر الذي يلحق بالأفراد في حال عدم تخليهم عن ثقافتهم". (مسلم، ١٩٩٣، ١٥٧)

- أثر الشخصية في الثقافة

أخذ الاهتمام بموضوع الثقافة والشخصية يتزايد في الوقت الحاضر بعد تركيز الأنثروبولوجيين على دراسة عمليات التغير الثقافي في المجتمعات البدائية والنامية، وقد أظهرت دراسة عمليات التغير الثقافي أن الفرد في المجتمع ليس مجرد حامل لثقافة المجتمع وإنما هو أيضا مخترع لعناصر ثقافية جديدة ولديه القدرة على رفض أو قبول أي تجديد في ثقافته، وهكذا وجد الباحثون أن الفهم الدقيق لظاهرة التكامل الثقافي وعمليات التغير الثقافي يتطلب الرجوع إلى حقائق علم النفس وعلى الخصوص علم نفس الشخصية، فقد لاحظوا أن حالات رفض أو قبول تغيرات ثقافية في مجتمع ما ترتبط بصورة ما بمدى توافق العنصر أو المكون الثقافي الجديد مع الشخصية العامة لأعضاء المجتمع الواحد هذا بالإضافة إلى ملاحظة أن شخصيات أعضاء المجتمع الواحد تتفق في سمات معينة، ويرجع ذلك الاتفاق إلى معيشتهم في ثقافة واحدة..

وفيما يلي أهم الدراسات التي تناولت تأثير الشخصية في الثقافة (مسلم، ١٩٩٣، ١٤٨ - ١٦٤)

١- دراسة استجابة الجماعات للتجديد بين القبول والرفض:

أي هل سيتم قبول هذا التجديد أم رفضه؟ وأسباب القبول والرفض؟ يهتم الأنثروبولوجيون النفسيون بدراسة العمليات النفسية، التي تحدد ما إذا

كان تجديد مقترح سوف يقبل استخدامه أو سوف يرفض عن طريق المجدد نفسه وباقي المجتمع الذي يبرز فيه التجديد، وكذلك يهتمون بدراسة حالات الانتشار الثقافي والامتزاج الثقافي واستجابة أعضاء المجتمعات الأخرى لتلك الحالات. ويمكن القول بصورة عامة إن التجديد يبدأ في صورة صيغة كلية جديدة تظهر في ثقافة ما عن طريق عامل من عوامل التغير، قد يكون مخترعا أو تاجرا أو مصلحا دينيا أو قائدا سياسيا أو أسير حرب.

وعادة لا يتم قبول التجديد بالصيغ الكلية كما هي من كل أفراد المجتمع، حيث يجري عليها بعض التعديلات بما يتناسب وصيغة كلية أكبر مثل: ثقافة المجتمع، ولكن، هذه التغييرات طبعاً لا تحدث دفعة واحدة، وإنما تمر بعملية فحص من قبل - ما يسمى - (الشاشة النفسية للمجتمع) ووظيفتها فحص وتشخيص هذه التجديدات. ويترتب على ذلك الفحص تقسيم تلك التجديدات إلى قسمين:

- تجديدات تتسجم والبناء العام المكون من قيم أساسية وعريضة وأصيلة في ثقافة المجتمع، ومن أمثلة تلك القيم العريضة الاتجاه المادي والرغبة في الثراء والأهمية النسبية لنظام القرابة أو التزامات المجتمع المحلي أو لصفات الرجولة أو لدقة المواعيد.

- تجديدات لا تتسجم مع البناء العام للحوافز، وهكذا تعمل القيم الأساسية في مجتمع ما كمقياس ثابت لاختيار ما يصلح من التجديدات الثقافية، وتعطي تلك القيم المعاني لمعظم الظواهر وما تتضمنها من تجديدات مقترحة.

وإذا نجح التجديد المقترح في المرور من خلال شاشة القيم الأساسية بحيث يدخل في المجموعة الأولى من التجديدات، ينتقل إلى اختبارات أخرى في تلك الاختبارات هو اقتناع المستقبلين بأن هذا التجديد سيسهم في إشباع شبكة من الرغبات والحاجات، وليس في إحباط تلك الرغبات والحاجات، وعندما يكتسب التجديد المقترح مثل هذا المعنى الثقافي عند المستقبلين، يكون قد وصل إلى مرحلة القبول. لأن المعيار للقبول أو الرفض هي القيم الأساسية.

في حالة الاستعارة الثقافية يتم التمييز بين الثقافة المانحة للتجديد والثقافة المستقبلية له، ولا سيما في حال حدوث اختلاف في فهم الثقافة المانحة لرغبات وحاجات الجهة المستقبلية، وهذا الاختلاف نتيجة قصور فهم أصحاب الثقافة المانحة في معرفة الشخصية العامة للثقافة المستقبلية

و من أهم العوائق في طريق قبول الثقافة المستقبلية للتجديدات المقترحة، منها: وجود جماعات ذات مصالح متعارضة في المجتمع المستقبل، -طبقات اجتماعية متصارعة- حيث يصعب في كل المجتمعات الحصول على موافقة جميع جماعات المجتمع على التجديد المقترح، وذلك لوجود تعارض بين الجماعات حيث تقبل مجموعة وترفض أخرى، وفي بعض الأحوال ينشأ صراع بين هذه الجماعات، وينقسم المجتمع بين مؤيد ومعارض للتجديدات.

وبغض النظر عن موضوع التجديد أي التعارض لمجرد المعارضة، حيث ينقسم المجتمع إلى فريقين أو حزبين:

- محافظ يرفض التجديد الثقافي، و تقدمي يشجع التجديد، وهذا ما أطلق عليه عالم الاجتماع "كارل مانهايم" اصطلاحاً: اليوتوبيا والايديولوجيا:

- اتجاه اليوتوبيا: تصور المفكر النائر الذي يعقلن ويدعم الجهود الهادفة إلى تغيير النسق الاجتماعي والثقافي الذي لا يرغب فيه بعض أعضاء المجتمع ويوفر هذا التغيير الإشباع الكامل لرغبات الفريق النائر وحاجاته.

- اتجاه الايديولوجيا: تصور المفكر المحافظ الذي يدعم النسق الاجتماعي والثقافي الموجود والمرغوب من أفراد المجتمع.

يتصل موضوع الصراعات داخل المجتمع بين الإيديولوجية واليوتوبيا بموضوع الامتزاج الثقافي، وما يحدث فيه من استعارات ثقافية، وذلك لأن في مثل تلك الحالة ستكون استجابة الاتجاه اليوتوبي لأي تجديد مقترح، ورفض الاتجاه الإيديولوجي لأي تجديد مقترح، غير نابعين من الاعتبارات الخاصة بمدى توافقه الوظيفي مع النسق الاجتماعي الثقافي الموجود، وإنما من اعتبارات أخرى فإن فريق اليوتوبيا يقوم التجديد المقترح على أساس مدى فاعليته في تحطيم النسق الاجتماعي والثقافي الحالي، وفي رسم صورة أفضل للمستقبل، هكذا فإن تجديداً ما قد يكون منسجماً وظيفياً من النسق الموجود في المجتمع ولا يحدث إلا أقل قدر ممكن من المشكلات، وعلى الرغم من ذلك ترفضه اليوتوبيا.

ومن الواضح أن يكون التجديد ذاته مقبولا من فريق الأيدولوجيا، ويمكن ملاحظة نتيجة أخرى للصراع بين فريق المحافظين وفريق المجددين في المجتمعات المعاصرة، وهي إمكانية تقويم التجديدات المقترحة بغض النظر عن قيمتها الوظيفية، وهكذا تصبح التجديدات رموزا للانتماء في جماعة اجتماعية معينة إذا كان قبول التجديد يعني تأكيد الانتماء للجماعة التي ينتمي إليها الفرد فإنه يقبله بصورة آلية ودون تقويم قيمته الوظيفية الذاتية، وبصورة عكسية، إذا كان قبول التجديد يتضمن الانتماء إلى جماعة معادية أو جماعة ضعيفة أو محتقرة، فإن الفرد يرفض هذا التجديد بصورة آلية، وذلك لأن قبوله لمثل هذا التجديد يتطلب منه التخلي عن الجماعة التي ينتمي إليها، أو تخلي تلك الجماعة عن الفرد.

٢- دراسة أنواع الضغوط التي قد يستخدمها أعضاء الثقافة المانحة على أعضاء الثقافة المستقبلية لقبول تجديد ما أو رفضه :

تثبت الدراسات عدم حياد الثقافة المانحة في عملية استجابة الثقافة المستقبلية لتجديد ما، حيث يكون لأعضاء الثقافة المانحة مصلحة في قبول التجديد من قبل المجتمع المستقبل، وهذه المصالح معظمها أنانية ذات طابع عسكري أو اقتصادي أو سياسي. وعادة تشمل الوسائل التي يستخدمها أعضاء المجتمع المانح، أساليب تشير إلى أن قبول المجتمع المستقبل للتجديد المقترح سيصاحبه :

- **المكافأة:** في حال قبول المجتمع المستقبل للتجديد المقترح، وقد تكون المكافأة مادية أو معنوية أو عسكرية... وهذه المكافآت قد تقدم بصورة غير مباشرة وبعيدة عن موضوع قبول التجديد.

- **العقاب:** في حال رفض التجديد، ولا سيما عندما تكون المجتمعات المانحة في مركز القوة، وقد تظهر هذه العقوبات أو التهديدات على أنها أمور حتمية لا يمكن تجنبها وأنها غير مرتبطة بمصالح المجتمع المانح، وأنها لم تأت نتيجة لعدم القبول، ومن هذه الأساليب : أن تقوم المجتمعات المانحة بإشعال الحروب أو الفتن الأهلية والصراعات الطبقية...

- **الوسائل الجبرية:** لتشجيع قبول الجماعة المستقبلية للتجديد من حيث إقناعهم بان قبول التجديد أمر ضروري لإشباع رغباتهم. وتتراوح الوسائل الجبرية من :

١- استخدام أسلوب محايد في تقديم التجديد ويكون للجماعة المستقبلية حرية القبول أو الرفض وذلك بعد مرورها بما يسمى الشاشة النفسية للمجتمع.

٢- في حال الرفض تستخدم الجماعة المانحة وسائل أخرى ذات صيغة سلمية، ولكنها لا تتسم بالحياد مثل: التفاوض - الإقناع- التعاون...دون استخدام التهديد.

وينتهي إلى نقطة تمثل أعلى درجات القسوة، وهو تهديد يأخذ صورة صريحة تتمثل بصورة مبسطة في العبارة الآتية: اقبل التجديد أو أمنع عنك إشباع رغباتك.

ولا يقتصر استخدام هذا الأسلوب على العلاقات بين المجتمعات، وإنما يطبق أيضا في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، إذ يميل الوعاظ الدينيون والزعماء السياسيون وحتى الأصدقاء لاستخدام هذا الأسلوب عندما تحقّق وسائل الإقناع والتعاون.

وكثيراً ما يستخدم خبراء الإعلان هذا الأسلوب لتشجيع جماعة معينة على قبول سلعة ما، فكثيراً ما نسمعهم في أجهزة الإعلام يهددون المستهلكين بفقدان الأصدقاء أو العمل أو الصحة في حالة رفضهم شراء سلعة ما مثل الصابون أو معجون الأسنان أو الروائح العطرية. ويشبه أسلوب الإيحاء الجمعي الأسلوب التهديدي من حيث وضع الجماعة المستقبلية في جو يستحيل فيه الهروب من وسائل الإعلان.

إن مثل هذا الإيحاء يكون فعالاً في تشجيع القبول الجماعي لأنماط سلوكية جديدة قد تتعرض لرفض الجماعة في حالة توافر إمكانية حرية الاختيار.

وأخيراً، نصل إلى أكثر الوسائل قسوة، وتتمثل في التعذيب الجسدي والإرهاق الذي يحدث في الفرد حالة نفسية فسيولوجية تجعل قبول التجديد يتم بصورة آلية تقريبا. يطلق على هذه الأساليب "غسل دماغ". (مسلم، ١٩٩٣، ١٦٤) أي أن الفرد أو المجتمع عندما يريد قبول

أو رفض التجديد بالتأكيد سيقوم بعملية حسابية للفوائد والمضار لقبول أو رفض التجديد، في حال كان إجمالي الفوائد أعلى فهو سيقبل التجديد وفي حال العكس سيرفض.

٣- دراسة العمليات الإحيائية:

العمليات الإحيائية: وهي من عمليات التغير الثقافي ذات المدى القصير، وتعرف على أنها محاولات منظمة ومقصودة يقوم بها بعض أعضاء مجتمع ما بهدف بناء ثقافة تمدهم بإشباع أفضل لرغباتهم، ويتحقق هذا الهدف عن طريق قبول سريع لنمط من التجديدات المتعددة الممكنة، وتظهر هذه الحركات في المجتمعات المتعرضة لحالات التفكك الثقافي الاجتماعي.

ومن أسباب ظهور العمليات الإحيائية:

أ- ضغط بعض العوامل المؤثرة على الاقتصاد (مناخية- طبيعية..) مما يخرج المجتمع من حالة التوازن العادي.

ب- الأمراض الوبائية: تغير البناء السكاني في المجتمع

ج- الحروب: التي تستنزف موارد المجتمع من القوى العاملة ومصادر الثروة والتي تؤدي إلى احتلال أو هزيمة

د- الصراعات الداخلية بين الجماعات ذات المصالح المختلفة وما تلحقه من أضرار لإحدى تلك الجماعات.

هـ- الاستعمار وما يصاحبه من تبعية واستغلال.

إن الحالات السابقة تؤدي إلى حالة من عدم التوازن الاجتماعي والثقافي يمكن تسميتها بحالة الانهيار والتفكك الاجتماعي والثقافي،

وتكون هذه الثقافة المفككة غير قادرة على توفير الإشباع لبعض القيم والحاجات الأساسية في المجتمع، الأمر الذي يسبب حالة من الانهيار النفسي، حالة من القلق من المستقبل وخوف من المجهول، الخوف والكبت والشعور بالذنب والكبت أو اللامبالاة. وهنا يقوم بعض الأفراد أو المؤسسات بمحاولات لإعادة التوازن الاجتماعي والثقافي من خلال تشجيع أعضاء المجتمع على قبول تجديلات ثقافية واستخدامها مما يساعد في القضاء على حالات الانهيار الثقافي والاجتماعي والنفسي.

تتميز الحركات الإحيائية بإحداث تغيرات مكثفة أو عميقة في الأنماط الثقافية في فترة قصيرة من الوقت، وهناك خمس مراحل وظيفية لبناء الحركات الإحيائية:

١/٤ - حالة الثبات النسبي: فترة يكون فيها المجتمع في حالة التوازن، ويحدث فيها التغير الثقافي في أثنائها ببطء وبصورة منظمة لا يقاسي منها الأفراد.

٢/٤ - فترة الضغط الفردي المتزايد: حيث تتعرض الثقافة لحالة من التفكك الاجتماعي والثقافي بتأثير عوامل خارجية أو داخلية، وهنا ينعكس هذا التفكك على شخصيات الأفراد فيتعرضون لحالة من الضغط غير المحتمل بسبب فشل الأنماط الثقافية في إشباع حاجاتهم، ويحدث انهيار نفسي في شخصياتهم، فتكثر الانحرافات والتحرر من القوانين والنظم الاجتماعية، ويرتفع معدل الجريمة، وتنتشر الأمراض كاستجابات اجتماعية فردية.

٣/٤-التشويه الثقافي: يستمر الانهيار الثقافي ويستمر الانهيار النفسي لكثير من أعضاء المجتمع، ويحاول بعضهم استرجاع حالة التوازن النفسي عن طريق تكرار تصرفات أنانية نفعية، ولكنها تزيد من حالة الانهيار الثقافي، مثال: الفساد -الرشوة- السوق السوداء...وتكون هذه الانحرافات على صورة مجهودات منظمة تصور للبعض أن بعض أنماط الثقافة الأصلية قد انهارت تماماً وحلت محلها هذه الانحرافات، وهذا ما يقصد بالتشويه الثقافي، وفي هذه المرحلة يلاحظ تصارع للجماعات الداخلية لتحقيق مصالح خاصة على حساب المصلحة العامة.

٤/٤-الحركة الإحيائية: عندما يسود التشويه الثقافي في مجتمع ما يصبح من الصعب استرجاع حالة التوازن والثبات دون عملية إحيائية، ذلك لأن دون الحركات الإحيائية يكون المجتمع معرضاً للانهيار التام عن طريق انقراض السكان أو انقسامهم إلى مجتمعات مستقلة أو انضمامهم لمجتمع آخر أكثر استقراراً وقوة. وتعتمد الحركة الإحيائية على نجاح صاحب الحركة والمؤيدين له في القيام بعدة وظائف، منها:

أ- صياغة الثقافة الجديدة : صياغة برنامج عمل لتحقيق مجتمع مثالي أو ثقافة مثالية، ويجب ملاحظة أن صياغة هذا البرنامج يتطلب إعادة صياغة أفكار صاحب الحركة الإحيائية بصورة تمده بالثقة في المستقبل وبإمكانية التخلص من حالة الانهيار الثقافي وبإمكانية تحقيق الثقافة المثالية.

ب- الاتصال : حيث يقوم أصحاب الحركة الإحيائية بالاتصال بالناس لشرح التجديدات المقترحة وإقناعهم بقبولها، وفي الأغلب يقدمون هذه

التجديدات على أنها وسيلة للتطهير الروحي بالنسبة للفرد وللتنظيم الثقافي بالنسبة للمجتمع.

ج- التنظيم: النجاح في تنظيم الأتباع والمؤيدين، وفي الغالب ينقسمون إلى مجموعة من المنظمين ومجموعة من الجمهور التابعين والمؤيدين، وهنا يصبح أصحاب الحركة الإحيائية هم المؤسسون لها، وبجانبيهم المنظمون والتابعون. وفي الأغلب ينظر إلى مؤسس الحركة على أنه يتمتع بقوة خارقة أو بمواهب فذة، وهذه الخصائص تبرر مطالب الجماهير التابعة بالطاعة المطلقة والاعتقاد التام في حكمته.

د- التكيف : ويأتي بعد ذلك النجاح في تكيف الجماهير مع التجديدات الثقافية التي ينادي بها أصحاب الحركة الإحيائية.

هـ- الروتينية : ويتلو التكيف حدوث التحول الثقافي، وهنا تحل الثقافة الجديدة مكان القديمة التي أصابها التشوه، وبعد ذلك يسود النظام في الثقافة الجديدة وتسمى هذه الحالة بالعملية الروتينية، وهكذا تتطلب الحركة الإحيائية النجاح في القيام بالعملات السابقة، وهي عمليات صياغة الثقافة الجديدة والاتصال والتنظيم والتكيف والروتينية.

هـ- مرحلة الحالة المستقرة الجديدة:

تبدأ عندما تحدث التغيرات في بناء قيم للثقافة القديمة، ويحل محلها بناء القيم الخاصة بالثقافة الجديدة، وبرغم تمتع المرحلة بالاتزان والهدوء النسبي إلا أنها لا تخلو من التغيرات الثقافية المتتابعة التي تستمر لأوقات طويلة.

إن مجرد الإقرار بأن تركيبات الشخصية الأساسية تختلف باختلاف المجتمعات، لا يحقق تقدماً أكثر من مفهوم النمط الثقافي _ السيكولوجي. ولا يكتسب هذا الإقرار أهمية علمية إلا إذا أمكننا تقصي طريق تكون الشخصية الأساسية، وإرجاعها إلى أسباب يمكن التعرف إليها، وإذا أمكننا أيضاً التوصل إلى تعميمات مهمة بشأن العلاقة بين تكون التركيب الأساسي للشخصية، وبين الإمكانات الفردية الخاصة في مجالات التكيف. (لينتون، ١٩٦٧، ٢٠٠).

ومما يلاحظ أن سيكولوجية الشخصية، سارت في خط تطوري يكاد يكون مماثلاً لخط تطور الأثنولوجيا. فقد وقع هذا الفرع في بادية الأمر، تحت تأثير العلوم الطبيعية، فحصر اهتمامه في الفرد، وحاول تفسير أوجه التشابه والفروق الفردية على أسس نفسية. مع أن علماء النفس سرعان ما أدركوا أهمية البيئة في تشكيل الشخصية، فإن فائدتها اقتصرَت _ في البداية على استخدامها في تفسير الفروق الفردية.

وبما أن الثقافة _ في جوهرها _ ظاهرة نفسية، تعيش في عقول الأفراد، ولا تجد تعبيراً عن نفسها إلا عن طريقهم، فإن إسهام الشخصيات الفردية في الإبقاء على الثقافة يتضح بصورة جلية جداً، في الطريقة التي تتمكن بها أية ثقافة من البقاء على قيد الحياة، حتى بعد انقطاع التعبير عنها في سلوك خارجي ظاهري، وحتى بعد زوال المجتمع الذي كان يحمل هذه الثقافة في الأصل. ولذلك، يستطيع عالم الأثنولوجيا أن يستعيد العناصر الأساسية لثقافة مجتمع منقرض، من آخر رجل من هذا المجتمع بقي على قيد الحياة، كما يستطيع أن يستعيد

المهارات الخاصة التي سبق ان تدرب عليها هذا الرجل (لينتون، ١٩٦٤، ٣٨٤).

وتأسيساً على ما تقدم، نجد أن ثمة علاقة وثيقة وتفاعلية بين الثقافة وأبنائها، فهي التي توجههم في جوانب حياتهم المختلفة، لدرجة أنهم يتصرفون بطريقة منسجمة وآلية، في معظم الأحيان، والأفراد في المقابل، يؤثرون في هذه الثقافة ويسهمون في تطويرها واغنائها، من خلال نتائجهم وإبداعاتهم الفكرية والفنية والعلمية.

كما أن للتنشئة الاجتماعية أثراً كبيراً في بروز وصياغة شخصية الفرد خاصة في مرحلة الطفولة الأولى، وتسهم الأسرة إسهاماً كبيراً في ذلك، فهي تخرس فيه قيم ومعايير وثقافة مجتمعه.

وعندما يتلقى الطفل ثقافة مجتمعه من عائلته، فيكون ذلك وفق تصور الأسرة نفسها لتلك الثقافة، ومن ثم فاختلاف ثقافات المجتمع تؤثر على نحو واحد على اختلاف الشخصيات، لكن تبقى هناك ثقافة مشتركة بين أفراد المجتمع مهما اختلف مستوياتهم ومشاربهم وأصولهم. وإذا كانت الثقافة تؤثر في الشخصية فالعكس صحيح أيضاً، فالثقافة تزدهر، وتنمو بأبنائها الذين يبدعون، ويعملون، ويفكرون في أحسن السبل وأوثقها لتوفير حياة أفضل.

وتقابل الثقافة العامة السائدة في أغلبية أفراد المجتمع، ثقافة جزئية أو فرعية وهي تلك الثقافة التي تميز بعض المجموعات في المجتمع الواحد، وذلك في إطار الثقافة العامة، ومن ثم كل شخصية منها تختلف في بعض التفاصيل عن شخصية الآخرين.

مراجع الفصل الثاني

- الساعاتي، سامي حسن (١٩٨٣) الثقافة والشخصية، دار النهضة، بيروت.
- الغامري، محمد حسن (١٩٨٩) المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- لينتون، رالف (١٩٦٤) دراسة الإنسان، ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.
- مسلم، عدنان أحمد (١٩٩٣) علم دراسة الإنسان "الانثروبولوجيا"، منشورات جامعة دمشق.
- هرسكوفيتز، ميلفيل. ج (١٩٧٤) أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة: رباح النفاح، وزارة الثقافة، دمشق.
- وصفي، عاطف (١٩٧١)، الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.
- Bock, Philip K., ed.(1988) Handbook of Psychological Anthropology. London: Greenwood Pre.
- Alten, Kristin (1998) Psychological Anthropology, HISTORYRECENT DEVELOPMENT SSOUCR ESO RGANIZATIONSLINKS, SUBDISCIP LINES: Psychological Anthropology.

- Linton,ralph (1945) the cultural back ground of personality, new York.
- Sapir, Edward (1967) Anthropologies, Minuit, Col, Points, Paris



الفصل الثالث

الأنثروبولوجيا الثقافية والحضارية

- مقدمة

- مفهوم الثقافة وخصائصها

- علاقة الثقافة بالأنثروبولوجيا

- فروع الأنثروبولوجيا الثقافية

الانثولوجيا

• علم الآثار (الاركيولوجيا)

• علم اللغويات

• النظرية الثقافية

- الأنثروبولوجيا الحضارية

- مفهوم الحضارة

- الخصائص الأساسية للحضارة

- مجالات تخصص الأنثروبولوجيا الحضارية

١- الحضارة والفعل الاجتماعي

٢- الحضارة والثقافة

٣- الحضارة والمدنية

٤- الحضارة والمجتمع

٥- الرموز الحضارية

٦- الأنوية الحضارية



- مقدمة

الأنثروبولوجيا الثقافية هي إحدى فروع الأنثروبولوجيا، تقوم بدراسة الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة، ويكون سلوكه متوافقاً وسلوك أفراد مجتمعه، ويتحلى بقيمهم، ويتحدث بلغتهم. والأنثروبولوجيا الثقافية تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة. كما أنها تهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها، ودراسة عمليات التغيير والتمازج الثقافي، والمقارنة بين الثقافات، وتفسير المراحل التطورية لثقافة ما في مجتمع ما.

تكثر وتتوزع الموضوعات التي تدخل في إطار الأنثروبولوجيا الثقافية، وتسمى أيضاً الأنثروبولوجيا الحضارية، وتهتم بكل شيء له علاقة بثقافة المجتمعات وحضاراتها، وفي هذا الفصل سيتم تناول عدد من المواضيع الخاصة بميدان الأنثروبولوجيا الثقافية والحضارية، ومن أهمها: علاقة الثقافة بالأنثروبولوجيا، والنظم الثقافية للمجتمع، وتحليل ظاهرة انتقال الثقافة، والنمط الثقافي، ومنظور التكامل الثقافي، إضافة لفروع الأنثروبولوجيا الثقافية. ومفهوم الحضارة، والخصائص الأساسية للحضارة، ومجالات تخصص الأنثروبولوجيا الحضارية.

- مفهوم الثقافة وخصائصها

تعد الثقافة عملاً مهماً في تصنيف المجتمعات والأمم، وتميز بعضها من بعض، وذلك بالنظر لما تحمله مضمونات الثقافة من خصائص ودلالات ذات أبعاد فردية واجتماعية، وأيضاً إنسانية.

وقد تعددت تعريفات الثقافة ومفهوماتها، وظهرت عشرات التعريفات ما بين (١٨٧١ - ١٩٦٣)، منها ما أخذ بالجوانب المعنوية/ الفكرية، أو بالجوانب الموضوعية/ المادية، أو بكليهما معا، باعتبار الثقافة _ في إطارها العام _ تمثل صيرورة المجتمع الإنساني، وإبداعاته الفكرية والعلمية.

عرف " ادوارد تايلور " الثقافة: هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد، والفن والأخلاق والقانون، والعادات وغيرها من القدرات التيكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع. (مجموعة من الكتاب، ١٩٩٧، ٩) يجمع هذا التعريف كل أنماط السلوك التي يكتسبها الفرد في المجتمع وهي تأخذ الصفة الاجتماعية أي يعترف بها معظم أعضاء المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد.

وعرفها " ادغار موران " :«الثقافة بداهة خاطئة، كلمة تبدو وكأنها كلمة ثابتة، حازمة، والحال أنها كلمة فخ، خاوية، منومة، ملغمة، حائلة.. الواقع أن مفهوم الثقافة ليس اقل غموضاوتشككا وتعددا، في علوم الإنسان منه في علوم التعبير اليومي» (Morin, 1969, 5). ويرى " جيمس سبرادلي " أن ثقافة المجتمع، تتكون من كل ما يجب على الفرد أن يعرفه أويعتقده، بحيث يعمل بطريقة يقبلها أعضاء المجتمع..إن الثقافة ليست ظاهرة مادية فحسب، أي أنها لا تتكون من الأشياء أو الناس، أو السلوك أو الانفعالات، وإنما هي تنظيم لهذه الأشياء في شخصية الإنسان، فهي ما يكون في عقول الناس من أشكال لهذه الأشياء. (Spradley, 1972, 6-7).

وهكذا يمكن القول: إن الثقافة _ في إطارها العام _ ليست إلا مفهوما مجردا يستخدم في الدراسات الأنثروبولوجية للتعميم الثقافي، وان ضرورة الثقافة

لفهم الأحداث في العالم البشري، والتنبؤ بإمكانية وجودها أو وقوعها، لا تقل أهمية عن ضرورة استخدام مبدأ (الجادبية) لفهم أحداث العالم الطبيعي وإمكانية التنبؤ بها.

وعلى الرغم مما يظهر بين الثقافات من اختلاف أو تباين فهناك بعض الخصائص العامة لجميع الثقافات، هذه الخصائص التي تستند إلى المفهوم العام الشامل للثقافة. ومن خلال نظرة شاملة على الدراسات التي تناولت خصائص الثقافة، يمكن إجمال هذه الخصائص بـ:

١ - الثقافة ذات خاصية مادية ومعنوية معا : ثقافة المجتمع تحدد نمط وأسلوب الحياة في هذا المجتمع والعناصر المادية هي عبارة عن تلك العناصر التي أنت نتيجة للجهود الإنساني العقلي والفكري وفي نفس الوقت لا تكتسب الثقافة وظيفتها ومعناها إلا بما يحيطها من معان وأفكار واتجاهات ومعارف وعادات هذا فضلا عن أن العناصر المادية تؤثر أيضاً في مفاهيم الأفراد وقيمهم واتجاهاتهم وعلاقاتهم أي أن الإحالة متبادلة بين العناصر المادية واللامادية في البناء الثقافي ومن ثم فإن البناء الثقافي يشمل العنصرين معا.

٢ - الثقافة عضوية : إذا كانت الثقافة تشتمل على العناصر المادية وغير مادية معا فإن كلا من العناصر المادية وغير المادية يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً، فيؤثر كل عضو في غيره من العناصر كما يتأثر به فالنظام الاقتصادي يتأثر بالنظام السياسي والعكس صحيح، كما أن النظام التعليمي يتأثر بالنظامين معا، ويؤثر فيهما. ومن جهة ثانية فإن العادات والتقاليد تؤثر في نظام الأسرة من حيث طريقة الزواج

والعلاقة بين الكبير والصغير وإذا تغير أي عنصر من هذه العناصر فإنه سيتبعه تغير حتمي في النظم الأخرى أضف إلى هذا أن التغير في أساليب المعيشة يتبعه تغيير في القيم والعادات، ومن ثم فإن عناصر الثقافة يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً يتسم هذا الارتباط بالديناميكية.

٣- الثقافة مكتسبة : الثقافة ليست فطرية في الإنسان بل يتعلمها الأفراد وينقلونها من جيل إلى جيل، ويخطئ من يذهب إلى اعتبار الثقافة فطرية في الإنسان يكتسب الثقافة منذ سنواته الأولى حتى تصبح جزءاً من شخصيته كما يصبح هو عنصراً من عناصر هذه الثقافة.

٤- الثقافة تراكمية : تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم ذلك أن الإنسان يبدأ دائماً من حيث انتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث، وبتراكم الجوانب المختلفة تتطور بعض جوانب الثقافة، وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلى آخر فمثلاً تتطور اللغة تراكمياً يأخذ طريقاً غير تراكم القيم، وغير تراكم التطور العلمي والتكنولوجي، ومعنى هذا أن الإنسان لا يبدأ حياته الاجتماعية والثقافية من العدم وإنما يبدأ من حيث انتهت الأجيال الراشدة الحية التي ينتمي إليها، ومن التراث الاجتماعي الذي يعبر عن خبرات الأجيال السابقة. فبعض عناصر الثقافة في أي مجتمع تعبر عن خلاصة التجارب والخبرات التي عاشها الأفراد في الماضي بما تعرضوا له من أزمات، وما رسموه من أهداف، وما استخدموه من أساليب، وما تمسكوا به

من قيم ومعايير، وما نظموا من علاقات، وتتراكم الجوانب المختلفة على هذا النحو بطرق وصور متعددة.

٥- إمكانية انتقال عناصر الثقافة بالاحتكاك : فكلما زاد الاحتكاك والتعامل بين مجتمع وآخر كلما زادت درجة الانتقال الثقافي بين هذين المجتمعين ولكن المجتمع ذا الثقافة الأقوى والأفضل يؤثر بدرجة أكبر في المجتمع ذي الثقافة الأقل نجاحا وقوة ومن ثم فالثقافة ديناميكية متغيرة.

- علاقة الثقافة بالأنثروبولوجيا

تحتفظ الأنثروبولوجيا بتاريخ حيوي وعريق من العلاقة والارتباط بالثقافة ، وتختلف هذه العلاقة وتتمايز عن جميع صور وأنماط علاقات العلوم الأخرى بالثقافة، بحيث لا يغني النظر إلى الثقافة بواسطة هذه العلوم على تعدد أقسامها وحقولها الاجتماعية والإنسانية، دون الكشف عن موقف الأنثروبولوجيا من الثقافة.

وقد ترسخت العلاقة بين الأنثروبولوجيا والثقافة بشكل وظهور ما عُرف بالأنثروبولوجيا الثقافية أحد أقسام الأنثروبولوجيا العامة، ومن أكثرها اهتماماً إلى جانب الأنثروبولوجيا الاجتماعية. وبين هذين القسمين الثقافي والاجتماعي في الأنثروبولوجيا جدل ونزاع قديم في تحديد من هو الأصل، ومن هو الفرع، وما يترتب على ذلك من صياغة وتحديد هوية وشخصية علم الأنثروبولوجيا.

فمن ينتمون إلى الأنثروبولوجيا الثقافية يعدون هذا الحقل هو الأصل، والأنثروبولوجيا هي الفرع. بينما يرى الذين ينتمون إلى

الأنثروبولوجيا الاجتماعية أن حقلهم هو الأصل، والأنثروبولوجيا الثقافية هي الفرع.

وإلى حين من الوقت كانت هناك وجهات نظر متعددة بين العلماء حول علم الأنثروبولوجيا، وإلى أي أقسام العلوم ينسب، إلى العلوم الطبيعية أم العلوم الاجتماعية. وتجددت لاحقاً وجهات النظر في نطاق العلوم الاجتماعية نفسها، بين من يرى انتساب الأنثروبولوجيا إلى علم الاجتماع، وبين من يرى انتسابها إلى علم النفس أو إلى علم التاريخ.

١ - فروع الأنثروبولوجيا الثقافية

تبين لنا تنوع الموضوعات التي تدخل في إطار الثقافة وكثرتها وتمثل موضوع الأنثروبولوجيا الثقافية، ولذلك ينقسم هذا العلم إلى عدة فروع، تدخل كلها في نطاق العلوم الاجتماعية هذه الفروع هي:

١ - الأنثولوجيا:

يختص بدراسة ثقافة المجتمعات الموجودة وقت الدراسة، وكذلك الثقافات التي انقرضت بشرط توافر تسجيلات مكتوبة لشهود عاشوا في تلك الثقافات.

ويطلق اصطلاح "أنثولوجيا" على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة فالأنثولوجي يهتم بالمقارنة بين الثقافات التي يصفها "الأنثوجرافي" ويهدف "الأنثولوجي" من تلك المقارنة الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية ولظاهرة التغيير الثقافي وأثار الاتصال بين

الثقافات المختلفة. ويهدف الاثنولوجي كذلك إلى تصنيف الثقافات إلى مجموعات أو أشكال على أساس مقاييس معينة، ثم نفسر أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينها. وقد اهتمت الأثنولوجيا في الوقت الحالي بأثر الفرد في المجتمع وارتباط نمو الشخصية بالتراث الثقافي للوصول إلى تعميمات وإجابات عن مدى إسهام الفرد في بعض العمليات الثقافية كالاختراع والاكتشاف ونشر السمات الثقافية وانتشارها، ووسائل تكون الشخصية الفردية وأنواع السلوك الذي تحبذه الثقافة والسلوك الذي تلفظه. (المكاوي، ١٩٩٠، ٢٦)

٢- الأثروبولوجيا الاجتماعية:

تدرس الأثروبولوجيا الاجتماعية السلوك الاجتماعي الذي يتخذ شكل نظم اجتماعية: كالعائلة ونظام القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية والعادات والتقاليد والنظام الاقتصادي، كما تدرس العلاقات بين هذه النظم، سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية التي توجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، ويمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات". (بريتشارد، ٢٣، ١٩٦٠)

ويهدف دارس تلك النظم الاجتماعية إلى تحديد العلاقة والتأثير المتبادل فيما بينها سواء بالنسبة للمجتمعات القديمة التي نعرفه عن طريق الآثار التي تركتها أو فيما يتعلق بالمجتمعات المعاصرة التي درسها عن طريق الملاحظة المباشرة.

٣- علم الآثار (الأركيولوجيا) : يدرس ماضي الإنسان، يرمي إلى تحديد التغير الثقافي وتتابعه على مر العصور .

ويهدف كذلك إلى إعادة بناء "عملية تصورية" للحياة الاجتماعية للمجتمعات ما قبل التاريخ. ويوجد هناك اختلاف جوهري بين علماء الآثار وعلماء التاريخ. "فبينما يدرس علماء التاريخ الفترات المسجلة بالكتابة في المدنيات الكبرى في الشرق الأوسط وأوروبا والشرق الأقصى، يهتم علماء الآثار بالفترات والمراحل التاريخية الطويلة التي قضاها الإنسان قبل اكتشاف القراءة والكتابة". (وصفي، ١٩٧١، ١٧).

ويعتمد عالم الآثار في دراساته على البقايا التي خلفها الإنسان والتي تمثل ثقافته، ويتعاون علماء الآثار في أبحاثهم مع الأنثروبولوجيين باختلاف تخصصاتهم.

٤- علم اللغويات :

يستخدم المنهج العلمي في دراسة اللغات، ويعد أحد فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، لأن اللغة أحد عناصر الثقافة بل هي أهم تلك العناصر. " وينقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعية أهمها (علم اللغويات الوصفي) و (علم أصول اللغات).

يهتم علم اللغويات الوصفي بتحليل اللغات في زمن محدد ويدرس النظم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات. ويعتمد عالم اللغة في دراساته على اللغة الكلامية ولذلك يستمع إلى المواطنين وخاصة أن معظم دراساته تكون متعلقة بلغات كلامية لما تكتب بعد، فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام رموز دولية متعارف عليها.

تتركز معظم تلك لدراسات في المجتمعات البدائية التي لم تعرف القراءة والكتابة ولكنها ذات لغة كلامية إذ لا مجتمع إنساني مهماتخلف ثقافته بدون لغة كلامية.

أما علم "أصول اللغات" فيختص بالجانب التاريخي والمقارن حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة وتوجد وسائل خاصة لبحث تاريخ تلك اللغات، يهدف هذا القسم إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية بما فيها هذه اللغة القديمة. (المكاوي، ١٩٩٠، ٢٩)

ثمة علاقات تعاونية بين عالم اللغة والأنثروبولوجي الثقافي، وذلك لأن اللغوي غير منعزل عن الأنثروبولوجيا، فهو يوجه اهتمامه إلى المشكلات اللغوية البحتة، كما يهتم بالعلاقات العديدة القائمة بين لغة شعب ما، وبقية جوانب ثقافته. وهكذا يمكن أن يدرس الكيفية التي ترتبط بها لغة جماعة معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي، والرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والاحتفالات الدينية، وكيف أن هذه الرموز تختلف عن الكلام اليومي العادي، وكيف يعكس تغير الحصيلة اللغوية في إحدى اللغات الثقافة المتغيرة للشعب الذي يتكلمها، وعمليات نقل اللغة من جيل إلى جيل وكيف تساعد على نقل المعتقدات والمثل والتقاليد إلى الأجيال اللاحقة. (Person, 1974, 268)

٥- النظرية الثقافية:

ترمي فروع الأنثروبولوجيا الثقافية سابقة الذكر إلى فهم طبيعة ظاهرة الثقافة وتحديد عناصرها سواء في المجتمعات الحالية أو

المجتمعات القديمة، ويختلف هذا الفرع عن الفروع الأخرى في تخصصه بدراسة التغير الثقافي وعمليات الاقتراض والامتزاج والصراع بين الثقافات وتحديد نتائج تلك الاتصالات الثقافية، ويدرس هذا الفرع كذلك خصائص الأشكال المتشابهة من الثقافات أي الأنماط الثقافية التي تحدث بصورة مستقلة في الأماكن والعصور المختلفة. ونلاحظ أن الاهتمام بذلك الفرع يشترك فيه معظم المتخصصين في الفروع سابقة الذكر. فمثلاً اهتم معظم رواد الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر بوضع النظريات التي تفسر تطور الثقافة على مر العصور أو تطور نظام اجتماعي معين (وصفي، ١٩٧١، ٣٣).

- الأنثروبولوجيا الحضارية

تبلورت فكرة الحضارة في أوروبا خلال القرن الثامن عشر في إطار علم جديد - التاريخ الفلسفي أو البرهاني - يهدف إلى تعليل الاختلاف بين المجتمعات "البرية" ومجتمعات أوروبا الغربية بعبارات التباعد التاريخي. ظهر الاسم في فرنسا حوالي ١٧٧٠، وهو يدل على مرحلة معينة من التطور، أي مجمل المكتسبات التقنية والاجتماعية والفكرية التي أتاح التقدم المتواصل للفكر تكديسها. قامت المسيرة التاريخية الوحيدة الخط التي تؤدي إلى هذه المرحلة على منوال تكوين الفرد، وهي تنطوي على فكرة تحديد مسافة فاصلة عن معطيات الطبيعة أو البيئة : فمثلاً يتيح عمل التربية للإنسان أن يتحرر من طبيعته الحيوانية، ومن الأفكار التي يتلقاها من بيئته، كذلك تسمح صيرورة الحضارة للمجتمعات بالتحرر من سيطرة العادات الخاصة بحالة

الهمجية. "الحضارة اذا نتيجة، ولكنها أيضا -بأخذ الكمالية البشرية بعين الاعتبار - أفق لا يكف عن التراجع". (بونت، ٢٠١١، ٤٤٦)

وتهتم الأنثروبولوجيا الحضارية في دراسة الإنسان في نطاق منظومته الحضارية، فتعالج تباين سلوكه ونشاطه اليومي على ضوء تباين ظروفه الموضوعية المحددة لمهامه في المجتمع وموضوع الأنثروبولوجيا الحضارية تتحدد عناصرها بما يلي:

- ١- فهي تشمل الرموز الاجتماعية ذات الدلالات المهمة في حياة الأمة والمجتمع، ويعد الفولكلور أحد عناصرها الأساسية.
- ٢- الفعل الاجتماعي المستخلص من السلوك الجمعي، ويشمل العادات والتقاليد والأعراف والقيم عندما تكون أساساً ومصاحبة لكل سلوك جمعي مما ينجم عنه فعل اجتماعي.
- ٣- الجوانب الروحية للإنسان كالدين والمعتقد والسحر والجوانب الفكرية له كالفلسفة والأدب والفن والشعر.
- ٤- الجوانب المادية المرتبطة بعلاقته البيئية.

- مفهوم الحضارة

يمكن أن نجل مفهوم الحضارة، بأنها طريقة معيشة مجتمع ما سواء كان مجتمعاً بدائياً أو متخلفاً، متحضراً، نامياً أو متقدماً، فالأنثروبولوجيا الحضارية تعنى بدراسة النمط المعيشي لذلك المجتمع وتمييزه عن غيره ، وكيف يستجيب الإنسان لهذا التمايز.

إن حضارة أي المجتمع تتألف من عنصرين أساسيين: أحدهما مادي والآخر فكري.

١- أما العنصر المادي: فهو يشمل كل النظم الاقتصادية والاجتماعية والجانب المادي من الحضارية.

٢- وأما العنصر الفكري: فهو الذي يشمل الأنشطة الثقافية ولكن العنصر المادي للحضارة تحصيل حاصل هو نتاج العنصر الفكري لها.

وتشغل الثقافة مساحة واسعة في المجال الحضاري لتشمل المسائل الروحية والفنية والعلمية والفلسفية والأدبية والجمالية التي تسود في مجتمع ما ولهذا السبب تهتم الأنثروبولوجيا الحضارية بدراسة الثقافة في نشأتها وتطورها وانتشارها، لأن قدرة الإنسان على الإنتاج الثقافي تعد أهم خاصية تميز بها من باقي الحيوانات، وبالأخص بعنصرها الأساس والذي هو اللغة، والثقافة أيضاً تزود اللغة بمعظم مضامينها، وقد عرف " تايلر " الثقافة بأنها: كل مركب لأنماط السلوك المكتسبة التي يأخذ بها معظم أفراد مجتمع معين. (الخطيب، ٢٠٠٨، ١٥).

إذن يجمع هذا التعريف كل أنماط السلوك التي تمثل:

- علاقة الإنسان بالإنسان مثل النظم الاجتماعية
- علاقة الإنسان بالمادة كالنظم الاقتصادية
- علاقة الإنسان بعالم الفكر كالمبادئ والمثل العليا والقيم والوجدان.

فالحضارة تتكون من كل أنواع السلوك الذي يتعلمه الفرد. وكثيراً ما يقال أن السمات المميزة لدراسة الحضارة في الواقع، أنها تهتم بالعادات والطرائق.

ولأن بعض العلماء البارزين في الحضارة مثل "بواز" في أميركا كانوا قد اهتموا بجمع نماذج من صناعات الشعوب البدائية لوضعها في المتاحف، فإن الأدوات التي تخلفها الأساليب تدعى، في الأغلب، "حضارة مادية". فالحضارة هي مجموع ما تملكه جماعة من الأفراد تشترك في تقاليد واحدة، ملكية عامة. ومثل هذه الجماعة هي بالمصطلح الاجتماعي، مجتمع. وعندما باشّر تلامذة "مالينوفسكي" بدراساتهم الميدانية الأولى، اختاروا "مجتمعات" فذهبوا إليها، واعدوا أنفسهم ليدرسوا "حضاراتها".

ومع ذلك فإن تلامذة "مالينوفسكي" لم يفترضوا أن كل ما سيقومون بفعله هو تعداد المفردات المكونة للحضارة. فمثل هذا العمل يقود إلى السخف بسهولة حين تعامل على قدم المساواة عادات تختلف اختلافاً كبيراً بأهميتها، كوجود الحكومة البرلمانية، والأكل بالعيدان (الصينية)، باعتبارها مجرد "طرائق" (وهذا مثل حقيقي). فـ "مالينوفسكي" لم يسمح لتلامذته أن يرتكبوا هذا النوع من الخطأ، لأنه أصر على أن الحضارة يجب أن لا تحلل إلى سمات ولكن إلى نظم فبالنسبة له تكون الحكومة البرلمانية عنصراً حضارياً مهماً من عناصر الحضارة. أما عصي الأكل فما هي إلا جزء صغير من مركب من نظم يتبناها الناس لسداد حاجة من حاجات التغذية (مير، ١٩٨٣، ١٨).

أما العالم "كليم" فقد وصفها بأنها الأعراف والإعلام والدين والعلم والفن والصناعات الحرفية ووقائع الحياة الخاصة والعامة في زمن السلم والحرب، وقسم كليم العروق الإنسانية إلى عروق نشيطة وعروق سلبية وميّز بذلك ثلاثة مراحل للتطور هي التوحش والخضوع والحرية وقسم نشاط الشعوب إلى : صيادين ومربي حيوانات ومزارعين ووصف الحضارة والثقافة بأنها إرث الأجيال الماضية تنقله إلى الأجيال اللاحقة وهذا أمر يجعل الفرد هو المؤتمن على الإرث الاجتماعي. (بوردين، ٢٣٣، ٢٠٠٧).

نلاحظ فيما ورد أعلاه أن العلماء يرادفون كلمة حضارة بالثقافة، إذ تشابك مفهوم الحضارة بعدد من المفاهيم الاجتماعية مثل الثقافة، والمدنية، والمجتمع، والسلوك، والفعل الاجتماعي. ويتجلى التشابك أكثر عند الولوج إلى أعماق التحليل على المستوى النظري والتطبيقي حيث تتشابك الخصائص المكونة لها.

إن فهم الحضارة يستوجب توضيح تفاعل الإنسان والبيئة، وما نستنتجه من هذا التفاعل من وجود خصائص مشتركة بين الإنسان لا يمتلكها الحيوان وتحديدًا في مزية الإدراك الذهني والذكاء والذاكرة، وهذه هي التي مكنت الإنسان من نقل الحضارة ومدها بأسباب البقاء والاستمرار، وهذا يجعلنا نميز بين الحياة الاجتماعية والتقدم الحضاري فهناك تجمعات حيوانية لا تقل شأنًا عن تجمعات الإنسان، ومثالها ممالك النحل لكنها تعمل بالغريزة وليس بعمليات ذهنية إدراكية تسترجع

الخبرات التراكمية لبناء مركب دائم من مواد الحضارة، إذ إن هذا من الخصائص الأساسية للإنسان فقط وخارج نطاق قدرة الحيوان.

إنَّ المقدرة البشرية على إنتاج الحضارة هي ثمرة جهازه العصبي الذي غاية في التعقيد، ولكنه بنفس الوقت غاية بالمرونة وذلك من خلال قدرته على تكيف سلوكه دون الحاجة إلى تعديل بيولوجي في عضويته، هذه القدرة في جهاز الإنسان العصبي هي التي مكنته من صنع الحضارة والحفاظ عليها من خلال استنتاجات منطقية معقدة وذاكرة عميقة شاسعة لحفظ التفاصيل واستعمال الرموز اللفظية المطابقة لما يدور في ذهنه من أفكار وعواطف وخلجات. ورغم تنوع الحضارة وتعدد العناصر المكونة لسماتها إلا أنَّ التكامل بين تلك السمات وتفاعل العناصر المكونة لها في إطار واحد يجعلها تتجاوز العدد المجرد لها في الصورة المبدعة بذهن المحلل الموهوب الذي ينطلق إلى التحليل الكيفي من خلال العدد الكمي.

وهذا ما تميز به الإنسان من الحيوان، ولذلك ترى في مجتمعين لهما نفس العدد من العناصر الحضارية، إلا أنَّهما يتباينان لأنَّ عنصر الخلق والإبداع يكمن في التفاعل بين تلك العناصر، وهذا يعني أنَّ عنصر الجمال يكمن في التكامل، وليس في التمايز العددي. فالأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والأسرية هي عناصر موجودة في معظم المجتمعات، إلا أنَّ صيغة تفاعلها هي التي تميز حضارة مجتمع عن الآخر، لكن مع كل هذا يرى العلماء أنَّ التناقض التام بين كافة عناصر الحضارة أمرٌ قد لا

يقع إذ يتوقعون أن العناصر المتنافرة قد يلغي بعضها بعضاً أو قد تصل بالحضارة إلى تركيب جديد وشكل جديد.

و يرى بعضهم أن الحضارة المادية ليست حضارة، ويسندون ذلك إلى كونها نتاج فكري فهي مولودة من أنماط الحضارة التي تُعطي شكلاً لفكرة الإنتاج المادي وأساليب صنعه واستعماله. ورغم أن دراسة الحضارة المادية تسهم في تعريفنا بالحضارة الواقعية، لكن من المستحيل أن نعلم إلا القليل عن حياة شعب ما من خلال معرفتنا لحضارته المادية فقط، فالمعنى المرتبط بالأداة يبقى هو الأهم من الأداة نفسها، فالذي يعثر عليه منقبو الآثار هي بقايا ملموسة لحقيقة غير ملموسة بالحضارة الفعلية تنقرض بزوال المجتمع الذي حملها على الوجود فلا يمكن أن تعيش بمعزل عن المخلوقات البشرية. (الأخرس، ٢٠٠١، ١٨١).

- الخصائص الأساسية للحضارة

تتميز الحضارة بمجموعة من الخصائص شأنها في ذلك شأن أي ظاهرة اجتماعية فهي موجودة في أي مجتمع من المجتمعات بدائياً كان أم متحضراً قديماً أم معاصراً، وهي تتصف بما يلي:

١- إنسانية الحضارة وعموميتها:

هي ظاهرة تخص الإنسان فقط، لأنها نتاج عقلي متطورة من المرحلة الرعوية ثم الزراعية ثم الصناعية وتعلمه من الذين سبقوه، وهو أيضاً سينقلها للأجيال القادمة، لأنها من صنعه، ولا تنتقل إلا من خلاله،

ومن جانب آخر فإنّ عمومية الحضارة تتعدى نطاق الإنسان لتشمل الأبعاد التاريخية للقيم الاجتماعية التي تسيّر سلوك الجماعات.

فالفن والشعر والأدب والفلسفة والدين والمخترعات والكشوف العلمية والمواقف الإنسانية تجاه الشعوب كلّها تكتسب صفة العمومية والإنسانية وترتبط بالقيم والقواعد الأخلاقية التي تكتسب الحضارة بعدها الإنساني.

والحضارة تحوي تجريدا لقيم يصوغها الأفراد في المجتمع على شكل قواعد أخلاقية تتعدى في أحكامها نطاق العمل الفردي إلى أحكام قيمية ترتبط بالأنماط العامة لسلوك الجماعات في مواقف وأفعال اجتماعية حيوية، ومن هنا تكتسب الحضارة صفة العمومية والتجريد لكل المستويات التحليلية التي تصنف عادة دونها في المجتمع الواحد، وعبر الزمان فيه.

إن عمومية الحضارة التي تحتكم فيها إلى الحادثة تتعدى نطاق الزمان، لتشمل الأبعاد التاريخية للقيم الاجتماعية التي تسيّر سلوك الجماعات في المواقف اليومية.

وهكذا فاللعمومية الحضارية بعدان : بعد تاريخي شامل لمجمل القواعد والقيم الاجتماعية التي تتعدى نطاق السلوك الفردي، وبعد إنساني يتجلى بالأفعال الاجتماعية التي تتضح آثارها في أكثر من بعد مجتمعي، فالفن والشعر والأدب والفلسفة والدين والمخترعات

والكشوف العلمية الباهرة والمواقف الإنسانية تجاه قضايا الشعوب وتحررها تهز الوجدان الإنساني، أيا كان محتواها المجتمعي.

فعندما تهب الأمم والشعوب لتدين الموقف العنصري لجرائم النازية في ألمانية وجرائم الصهيونية في الأراضي المحتلة وفي مخيمي صبرا وشاتيلا مثلا، فإن ذلك يعد موقفا حضاريا يكتسب صفة العمومية والإنسانية، ويتم الحكم عادة على هذا الموقف بالرجوع إلى جملة من القيم والقواعد الأخلاقية التي تكسب الحضارة بعدها الإنساني.

٢- الحضارة ذات طابع اجتماعي:

تتنازع الفكر الاجتماعي مدرستان، إحداهما تؤكد على أثر العنصر الفردي في تغيير الحضارة وتطورها، والأخرى على أثر الأنظمة الاجتماعية والمؤسسات الرسمية في استيعاب التغير ودفعه إلى الأمام.

إن مجمل الأعمال التي يقوم بها الأفراد تتم في نطاق الجماعة وفي رحاب مؤسسات اجتماعية، فإنتاج الإنسان صحيح أنه يبدأ بالفرد لكنه ينزاح إلى الجماعات عن طريق المؤسسات فإن كل الأفراد لهم إسهام المسيرة والاكتساب والانتقاء، فالفرد هو الذي يدير رحي الحركة الاجتماعية لكنها تسوق تحت فكيها ما هو موجود في المجتمع ضمن أصالة فردية تربط بين الفرد والمجتمع والذات والموضوع والشكل والمضمون فيكون الخلق في إطار الجماعة بروح ذاتية مبدعة عبر عنها بعض الفلاسفة (بالكشف والخلق والإبداع والحدس) وكلها مسميات لما

يدور داخل الإنسان من معطيات تتفاعل في الذات مع ما هو معطى لها من الخارج، فالحضارة توجد الأفراد العاقرة والمبدعين وهم بنفس الوقت تأثروا بها ولولاها لما حققوا أعمالهم الكبرى. إن العلاقة بين الحضارة والأفراد هي علاقة متبادلة.

فهناك أفراد أثروا في مجرى الحضارة تأثيراً كبيراً، غير أنهم أيضاً قد تأثروا بها، ولولاها لما حققوا الأعمال الكبرى التي تنسب إليهم. فالأفراد الذين ترجع إليهم الأسباب المباشرة للتغير الحضاري، بما أدوه من أعمال، هم ذاتهم نتاج مواقف حضارية سابقة هيأتهم لمواجهة المشاكل التي ساعدوا على حلها. وهكذا فالمواقف الحضارية هي التي تتطور لذاتها، والعامل الفردي ما هو إلا وسيلة للتعبير عن هذه المواقف. (الآخرس، ٢٠٠١، ١٨١-١٨٨).

٣- الحضارة تكاملية (ذات بناء مركب):

إن الحضارة ذات طابع تكاملي مركب حيث تتكون من عناصر وسمات مادية وفكرية تتجمع في أنماط مادية وثقافية تترابط وتتكامل فيما بينها بفضل بعض العناصر التجريدية التي يطلق عليها اسم موضوعات أساسية أو تشكلات إذ يقول "كلاكهون": إن أسلوب حياة كل جماعة هو عبارة عن بناء، وليس مجرد مجموعة عشوائية من أنماط الاعتقاد والسلوك الممكنة مادياً والفعالة وظيفياً.

فالحضارة نسق تقوم أجزاؤه على الاعتماد المتبادل فيما بينها، ويرى بعضهم أننا يمكن أن نميز بين السمات البسيطة والمركبة المكونة للحضارة من تحليل معطياتها.

فالسمة الحضارية تتألف من وحدات حضارية تنتقل أو تبتكر من قبل أفراد مجتمع ما، ولا يمكن أن تنفصم إلى أجزاء أصغر منها مثال الزوجين والأطفال سمة أساسية في تركيب العائلة إذ لا وجود لعائلة دون هذه المقومات، لكنها بنفس الوقت هي منظومة فرعية ضمن المجتمع. إذا الحضارة ذات طبيعة مركبة، متشابكة العناصر، يصعب عزل عناصرها بعضها عن بعض على المستوى العملي، إلا أنه ممكن على المستوى التحليلي.

٤- الحضارة مكتسبة:

الحضارة لا يرثها الإنسان بيولوجياً كما يرث لون بشرته ولون عينيه بل يكتسبها بطرق مقصودة كالتعليم، أو عرضية من الأفراد الذين يتفاعل معهم، ويعيشون حوله منذ ولادته كأسرته وأقرانه وغيرهم من الذين يخالطهم. ومن هذا المنطلق عدت عملية التنشئة الاجتماعية عملية تطبع اجتماعي وتمثل أهداف المجتمع، والحضارة من خلال هذه العملية تُولف وسيلة أساسية من وسائل التوافق والتكيف بين البيئتين الاجتماعية والمادية.

٥- الحضارة انتقائية:

تختصر الرموز جملة من المعاني، وينتقي الفرد بعضاً منها، وتخزن الجماعات جزءاً من ذلك وهكذا يتشكل التراث الحضاري من ذلك المخزون المركز المكثف، وتستمر الحضارة في خلال عملية الاكتساب ولكن ليس آلياً وتلقائياً، وإنما بالإرادة التي تمزج بانسجام معطيات الماضي التاريخي بتطلعات الحاضر المستقبلية، ولأضواء الحضارة على مجمل القيم الأخلاقية فإنها تختصر أبعاد الزمان والمكان بعبارات وأنماط من السلوك، وهكذا يتصل الأفراد بجذورهم التاريخية والإنسانية دون أن يفقدوا إرادة الاكتساب عن طريق الانتقاء الذي يتم بالوعي والإدراك وليس عفويّاً. فالجماعات تنتقي من تراثها الحضاري ما يفيدها بتلبية حاجاتها الأساسية لكن هذا لا يعني أن ليس هناك من العناصر التي تفرض على الأفراد في المجتمع دون سواها حتى إذا كانت تلك العناصر لا تتماشى مع عملية الانتقاء الواعي.

٦- الحضارة متجددة ومتطورة ومستمرة:

إن الخصائص الإنسانية والمكتسبة للحضارة تعطيها سمة الثبات النسبي إلا أن عناصر الانتقاء تعطيها سمة التغيير الدائم والتغيير له مصدران: أحدهما ينبع من المجتمع وعوامله الذاتية والتي تسمى أحياناً بعوامل (التولد الذاتي) وهي التفاعلات التي تتم بين القوى الاقتصادية والاجتماعية بالمجتمع، والمصدر الثاني مرتبط بما يفد إلى الحضارة من عناصر خارجية بتأثير فعل النقل والانتشار الحضاري، وهو ما يطلق عليه (التثاقف) وكان لذلك أثر في بروز نظريات التغيير الاجتماعي

المرتبط بالمراكز الحضارية ومسائل الانتشار من المركز إلى المحيط. وأيا كان مصدر التغير فإن من المسلم به أن الحضارة ليست ساكنة في بناء محدود، وإنما تتجدد وتتطور مع تجدد الحياة ذاتها، مما يضيف عليها سمّي الاستمرار والاندماج معاً، والاستمرار من خلال التجدد والتطور، والاندماج بما يتماشى مع المحيط الذي تفد إليه الحضارة من حضارات مجاورة. (الأخرس، ٢٠٠١، ١٨٨).

الحضارة ظاهرة تتبع من الجماعة وتقترن برضاها وتدوم بتمسكهم بها ونقلها من جيل إلى جيل فهي ليست ملك أحد، ولا تموت بموت الأفراد فهي ملك وإرث جماعي ولا يقضى عليها إلا بفناء مجتمعها بأكمله أو تذويهم قسراً بمجتمعات أخرى أكبر وأقوى منهم.

- المضمون الذاتي والموضوعي للحضارة

يستخدم مفهوم الحضارة بمعنيين الأول موضوعي يرتبط بمعالم التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل لآخر يليه بالمجتمع أو من مجتمع لآخر، تلك المعالم التي تحدد أسس تطور المجتمعات ويمكن من خلالها اعتماد بعض المؤشرات الموضوعية التي نحتكم إليها في قياس معالم التقدم. فعصر الفاكس متقدم من الوجهة الموضوعية عن عصر اتصالات البرق لكنه متأخر عن عصر الإنترنت، والمجتمعات التي تحتضن تلك العصور تكتسب حضارة موضوعية، أما المعنى الثاني فهو الذاتي أو الإنساني المرتبط بذلك الشكل من المعالم ومدى التصاقه بخصوصية المجتمعات المحلية للأفراد فإدراك معنى الفاكس وأسلوب استخداماتها له والوجه الذي يجب أن

يسخر من أجله وما ينجم عنه من وسائل حضارية ترتبط بالفهم الذاتي للإنسان يدخل ضمن هذا المعنى، وواضح تماثل هذا المستوى من التحليل في التمييز بين المعنى الذاتي والموضوعي لمفهوم الحضارة، فهو مماثل لمفهوم الشكل والمضمون أو الإحساس والإدراك أو الذاتية والموضوعية في البحث العملي.

فإدراك الإنسان لما هو كائن قد لا تعكس حقيقة ما هو موجود فالإدراك مرتبط بالإحساس وهذا يتأثر بظروف ذاتية وقدرات خاصة بعضها مرتبط بنواحي نفسية وفسولوجية ومستوى المعرفة ومساحة الشعور، بالإضافة إلى المصلحة الأساسية في إدراك معنى الحادثة والظاهرة، فالقواعد التي تنشئ توافقاً بين أفراد المجتمع من خلال علاقاتهم الاجتماعية والتفاعل فيما بينهم بالتأثر والتأثير تدخل في الظروف الموضوعية. أما الرموز التي ترتبط بمعانٍ ودلائل تعبر عن القيم والسمات الحضارية فهي تعطي دلالة ذاتية.

- مجالات تخصص الأنثروبولوجيا الحضارية

يتداخل مفهوم الحضارة ومفهوم المجتمع، وسنبين فيما يلي تشابك المستويات التحليلية لمفهوم الحضارة مع كل من : الفعل الاجتماعي، والثقافة، والمدنية، والمجتمع.

١- الحضارة والفعل الاجتماعي:

الفعل الاجتماعي هو مجموعة من الأنشطة الاجتماعية يقوم بها الفرد أو الجماعة يمكن من خلاله تكوين علاقات اجتماعية من طريق تفاعل الفرد مع غيره أو مع البيئة الاجتماعية التي ينبغي إليها، وعليه

فالفاعل الاجتماعي هو عملية اجتماعية ترتبط بالهوية الاجتماعية والثقافية للأفراد وتخضع لمختلف عمليات التغيير الاجتماعي. والحضارة هي رموز للفاعل الاجتماعي المستخلص من السلوك الجمعي، فكما أننا لا نستطيع ملاحظة الفعل بل نلمس آثاره ونتائجها، كذلك الحضارة لا نستطيع ملاحظتها مباشرة بل نلمس واقع الناس ونشاطهم وحياتهم اليومية من إنتاج وتداول واستهلاك وثقافة وتفاعلات وتواصل وتقاطع وغير ذلك، إلى أن يتحول هذا التعميم الواسع للفاعل الاجتماعي إلى قوة ضغط تجبر الجماعة على ما يجب أن يكون عليه فعلهم وهذا ما يعرف بالتصنيف الحضاري بـ (النمط المثالي المعياري) والذي هو طموح ذلك المجتمع فيضع له مقاييس تلتزم بها المعايير المرتبطة بالرموز الاجتماعية في السلم الحضاري. (بوردين، ٢٠٠٧، ٢٣٤).

"العلاقة وثيقة بين الحضارة والفاعل الاجتماعي، فالحضارة تجريد رمزي لفاعل اجتماعي مأخوذ ومستخلص من السلوك الجمعي، فنحن لا نستطيع ملاحظة الحضارة مباشرة، لكننا نستطيع ملاحظة أفعال الناس وسلوكهم في واقعهم ووسائلهم المختلفة للعيش والعمل، والصناعة، والإنتاج.

وهذه الوسائل لا تعبر عن الفعل الفردي لأي شخص بعينه، وإنما هي أقرب إلى تكون تعميما واسعا، ونموذجا عاما تقع في حدوده أساليب الفعل الفردي المتنوعة.

٢- الحضارة والثقافة:

أكثر مصطلحين اختلف فيهما العلماء وتعددت لهما التعاريف والمفاهيم، فيترادفان عند البعض ويفترقان عند الآخر ويتداخلان في بعض مكوناتها وينفصلان عند آخرين ويصنفان تحليلياً تحت نفس النظريات أحياناً أو كل منهم إلى نظرياته أحياناً أخرى، ومن أبرز العلماء الذين خاضوا في هذا المضمار التنظيري لهذين المصطلحين هم (كروير، كلاهون، تايلور، دوركهيلم) فالثقافة تحمل مجموعة معطيات فكرية وعاطفية ومادية، تكتسب دلالاتها من عمليات التشكل والتعلم والمشاركة، فهي تتشكل من تفاعل الأنماط الثقافية المرتبطة بالسلوك اليومي لتكون قانوناً يأخذ شكلاً صلباً أكثر مما في المعاملات اليومية للأفراد، وفي العملية الثانية المرتبطة بالتعلم ينتقل التراث الثقافي عن طريق الأخذ والاستيعاب، فتصبح الثقافة إرثاً اجتماعياً توأماً للإرث البيولوجي فارقهما أن الإرث البيولوجي يتم طبقاً لمورثات بيولوجية، في حين الإرث الاجتماعي يتم من طريق الأخذ والاستيعاب الاجتماعي ثم تتطور الثقافة بالعملية الثالثة من خلال المشاركة التي تشير إلى اشتراك جمع من الناس في موقف محدد.

فالألمان يفصلون مصطلح الثقافة الذي يعتبرونه في تفسيرهم يدل على التقدم الفكري الذي يحصل عليه الفرد أو المجموعة بصفة عامة، أما الجانب المادي من حياة الأفراد والمجتمعات فيصفونه بمصطلح حضارة، لهذا عرف ألفريد فيبر الحضارة: (أنها جملة المعارف النظرية التطبيقية غير الشخصية ومن ثم تلك التي يعترف

إنسانياً بصلاحياتها ويمكن تناقلها) أما الثقافة فيعرفها: (أنها جملة من العناصر الروحية والمشاعر والمثل المشتركة التي ترتبط في خصوصيتها بمجموعة وزمن معين". (الأخرس، ٢٠٠١، ٢٠٥).

ويعتبر "إميل دور كهايم" الثقافة والحضارة معنى واحد، ويرى علماء آخرون أن الثقافة هي جزء من الحضارة ويجعلون الحضارة جملة ثقافات تربطها روابط محددة ويستشهدون بمثالنا العربي مثلاً ثقافة المغرب العربي وثقافة المشرق العربي وكلاهما من رحم الحضارة العربية.

٣- الحضارة والمدنية:

الذي يملكه المجتمع، ويرى أن الحضارات التي تتشابه جداً في تكنولوجيتها قد تختلف اختلافاً تاماً في تكوينها الاجتماعي وفي ديانيتها وفي فنائها. ثم يفيدنا أن « علماء الدراسات الأنثروبولوجية يميلون الآن إلى إخراج تلك الأشياء نفسها من مفهوم الحضارة ». (لنتون، دون تاريخ، ٧٨)

إن التشابك بين هذين المفهومين واسع جداً، والأصوب في توضيح العلاقة بينهما هو الاتجاه صوب الأطر التي تحدد ذلك دون الارتباط بقوالب جامدة تميز أحدهما عن الأخرى، فيرى البعض أن المدنية هي المرحلة التي تتضح فيها الحضارة وتبدأ تفقد حيويتها الأصلية وتصبح آلية مقلدة، ويرون أن المدنية هي المصير المحتوم للحضارة، وإن التعاقب الذي يعبر عن هذا المبدأ يقودنا إلى الفكرة التي تحل على أساسها مشاكل التحول الاجتماعي، فالمدنية هي نهاية

الاستقرار الذي يعقبه التغيير، كان هذا رأي الارستقراطيين الذين يضعون تقابلاً بين مطالب الروح ومطالب البدن ورأيهم لا يطابق الواقع، ومن أشهر من يتقدم هؤلاء هو العالم "شينجلر"، فالحضارة التي تتميز بالتقدم الفكري والفني لا يعني ذلك أن التقدم الاقتصادي مستبعداً أو أن الاهتمام بالاقتصاد يقابله إهمال الفكر وتدهوره، هذا غير سليم ولا يوجد تعارض بين الجانبين ومن ثم لا تتعارض مظاهر الحضارة ومظاهر المدنية. لقد عرّف "ألفريد فيبر" المدنية (هي العلم والصناعة أي التكنولوجيا) وعرّف الحضارة هي (الفلسفة والدين والفن) والفارق بين المدنية والحضارة عند فيبر هو أن الكشوف العلمية والصناعية التي تتميز بها المدنية يمكن أن تنتقل من مجتمع لآخر حتى تعم جميع المجتمعات وكذلك من جيل لآخر في نفس المجتمع فهي تراكمية يبدأ الجيل اللاحق من النقطة التي وصل إليها الجيل السابق، كما يمكن أن يقتبسها مجتمع من غيره، ويضيف لها أو لا يضيف أي أنها ظاهرة جامعة لا ترتبط بمجتمع معين، أما الحضارة فإنها ليست تراكمية ويصعب انتشارها من مجتمع لآخر فهي مستقلة وتسير في اتجاهات مختلفة، ولا تتبع نظاماً ضرورياً ولا تسير في خط واحد إنما في سلسلة من الانبثاقات، ولا تكاد تتصل بعضها ببعض ومثال ذلك الفن يبدأ كل اتجاه فيه من جديد ويسير مستقلاً عن غيره وكذلك الدين والفلسفة.

أما العالم "ماك آيفر" فيرى المدنية هي الأداة التي يستخدمها الإنسان للتحكم في ظروف حياته، أما الحضارة فيراها حياة وتفكيراً وتفاعلات الفرد اليومية في الفن والفلسفة والدين فالمدنية في نظره هي

وسائل والحضارة هي غايات فقال: (إن حضارتنا هو ما نكونه ومدنيتنا هي ما نستخدمه) وبعبارة أخرى الحضارة تقصد لذاتها أما المدنية فهي دائماً وسيلة لغاية. (الأخرس، ٢٠٠١، ٢٠٩ - ٢١١)

والخلاصة أن التمييز بين الغاية والوسيلة لا تتوضح حدوده لا في الجانب الاقتصادي، ولا في الجانب العلمي، كما أن محاولات العلماء لإيجاد التقابل بين المدنية والحضارة واجهت النقد الكثير، وتحتّم بالقول: إن المدنية إذا تميزت من الحضارة فإنما لكونها تشتمل على الحضارة الكبرى، ولكل المجتمعات حضارتها المتقدمة منها أو المتخلفة، أي أن الحضارة قد تكون أكثر تحديداً في الزمان والمكان من المدنية، وحتى بعضهم يستخدم اللفظين بمعنى واحد، ومنهم علماء الاجتماع أما علماء الأنثروبولوجية، فجعلوا مفهوم الحضارة شاملاً حتى على طريقة حياة المجتمع وأسلوبه في التفكير ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وربما يرى بعضهم أن المدنية تشمل الحضارة والثقافة وإنتاجاتهما عبر الأجيال.

إن علاقة الحضارة بالثقافة وبالمدنية تتشابك فيها المجالات الحضارية والثقافية بمفهوم أهم وأشمل هو مفهوم المدنية. فالأخيرة تستوعب المجالات المادية والروحية وتنطلق إلى الإطار الأممي الأوسع فالمدنية إنسانية أممية في مدلولها وشاملة في أبعادها وتستوعب منظومات مركبة في جنباتها، وهي في المستوى التحليلي أعلى من الحضارة والثقافة لذلك نقول (إن بعض الثقافات ترقى إلى مستوى الحضارات وبعض الحضارات ترقى إلى مستوى المدنية) (الأخرس،

١٧٨، ٢٠٠١). مثال حضارة المغول والتتار خلت من الخصائص الإنسانية إذن يبقى الحكم عليها في نطاق مرحلتها التاريخية فقط فهي ليست مدنية، وكذلك ثقافة نظام عنصري يقوم على فلسفة اجتماعية وسياسية تتسم بالتعصب وإنكار حق الآخر بالوجود فهو قد يحقق أسباب وجوده بالقوة لمدة تقصر أو تطول لكن السياق الحضاري العام سيطرد من مساره الإنساني تلك العناصر الهمجية، وتتشابك كذلك على المستوى العلمي معطيات الحضارة والثقافة والمدنية والفعل الاجتماعي والسلوك الإنساني فيما بينها إلا أن تلك المعطيات تتمايز على المستوى التحليلي وذلك ضروري من أجل التحليل والتشخيص واقتراح سياسة العلاج، أي أن الواقع الاجتماعي والحضاري هو وحدة متكاملة لكن كيف نفهم تكوين الواقع دون البحث النظري، إذا التفاعل ما بين النظري التحليلي والعمل التطبيقي هو الذي يطور النظرية الاجتماعية من جانب، ويجعلنا نفهم الواقع الاجتماعي من الجانب الآخر، وهذا لا يتم إلا بمنهج وخطّة منهجية توضح طبيعة العلاقة بين الرموز الحضارية والواقع المادي وبين أسس الانتشار الحضاري ومساراته المختلفة.

٤- الحضارة والمجتمع:

إن مصطلح مجتمع معناه يدل على نسق غير مادي مثلما نقول: إن الإنسان عنده دماغ، والدماغ هو شيء مادي يعني كتلة من الخلايا الخاصة، ولكن عندما نقول الإنسان عنده عقل نعني به النشاط الوظيفي لهذه الخلايا الدماغية ونشاطها المبرمج المهور المصنف بكلّ الدقة والمؤرشف بكلّ التنظيم يسمى العمليات الذهنية، ومصطلح مجتمع

يعني كل العمليات التي تربط مجموعة ما من البشر ليكونوا كتلة بشرية تتميز من غيرها بسمات وخصائص، فهذه العمليات التي تربط الكتلة البشرية هي حضارتها ولهذا شقّ على العلماء أن يضعوا فاصلاً بين الحضارة والمجتمع لكنهم لم يصلوا لفاصل مقنع، وتشير موسوعة علم الإنسان إلى إن المجتمع بصورة عامة يشير إلى جماعة بشرية كبيرة العدد نسبياً، ومستقلة نسبياً ولدى أفرادها القدرة على الاستمرار من الوجهة السكانية. كما يتسم بقدر مكن الاستقلالية في تنظيم العلاقات الاجتماعية. (سمث، ١٩٩٨، ٦١١).

أما المفهوم الأنثروبولوجي للمجتمع فإنه يُعرف كما ورد في قاموس الأنثروبولوجيا بأنه: مجموعة من الأشخاص، تعيش وتعمل سوية لفترة من الزمن تكفي لخلق تنظيم خاص بها. (سليم، ١٩٨١، ٩٠٣). كما استخدم علماء الاجتماع تعبير الوظيفة للدلالة على ترابط الظواهر الاجتماعية بعضها ببعض في نسق وظيفي يوضح وظائف الأجهزة الاجتماعية التي تقوم بها من أجل استمرار حياة المجتمع الإنساني والتفاعلات التي تتم فيه، يقول "رادكليف": إن من الظروف الضرورية لبقاء المجتمع توفر حدّ أدنى من التكامل بين أجزائه ومكوناته. وبهذا يشير مصطلح الوظيفة إلى العمليات التي تحافظ على استمرار التكامل والتضامن وأن الأوجه البنائية للمجتمع (البناء الاجتماعي) تسهم في هذا مما عزي به إلى الاهتمام ببناء القرابة والطبوس الدينية لما تقوم به من وظائف في تحقيق التكامل والتضامن. (الخشالي، ٢٠١٠، ١٥).

ويمكن التمييز تحليليا بين الحضارة والبنية الاجتماعية بالاعتماد على المحاور التالية: (الأخرس، ٢٠٠١، ٢١٣).

- للحضارة استقلاليتها الخاصة لذا يستطيع المرء الحديث عن الدين والاعتقاد والقيم الاجتماعية... إلخ على أنها مظاهر حضارية تتمتع باستقلاليته التي تبرر إمكانية دراستها في مجالاتها الخاصة. وفي دراستنا للبنية الاجتماعية يتم تركيز الانتباه على العلاقات القائمة بين الفاعلين في أنماط مختلفة من التنظيمات (السياسية، الاقتصادية، الدينية،.. إلخ). وقد كانت العلاقات المجتمعية وتأثيراتها على منظومات القيم هي المتغيرات المستقلة.
- ويشير الحديث عن الحضارة تحليليا إلى أن الموضوعات هي التي تقود وتوجه أفعال الفرد. ونعني بالبنية الاجتماعية تلك الروابط المحددة ونماذج السلوك الناتجة بين الفاعلين.
- تختلف الجوانب الحضارية عن العلاقات التنظيمية بمعنى أن هناك أنواعا معينة من العلاقات قد خلقت بواسطة التنظيمات ووجدت فيها. فكثير من هذه العلاقات لا تحدد على أنها حضارية ولكنها تظهر " من الأخذ والعطاء الذي ينشأ عن التفاعل بين الأفراد والجماعات وهذا يعني أنها غير محكومة كلياً من قبل قواعد محددة.
- إن العناصر المجتمعية والجوانب الحضارية مترابطة داخليا بصورة صحيحة، فكثير من الأدوار في التنظيم الاجتماعي تتحدد حضارياً، ويتأثر مضمون هذه الحضارة بصورة بنيته الاجتماعية.

٥- الرموز الحضارية :

عندما يتفاعل الإنسان والبيئة الاجتماعية يؤلف تراثاً حضارياً يتكون من مجموعة من القيم والنظم المعيارية يعبر عنها بشكل رموز لها دلالات ومعانٍ على مستوى الأفراد والجماعات حيث إنّ التراث الحضاري يأتي نتيجة تراكمات طويلة عبر التاريخ، وكان هذا مادة جيدة لعلماء الأنثروبولوجيا الحضارية ليدرسوا أسس تكوين الحضارات وأنماط توزيعها، وأسلوب انتشارها، والعوامل التي تؤدي إلى انتقالها من جيل لآخر، وعناصر مضمونها والرموز التي يستخدمها الإنسان للتعبير عنها. إنّ بعض المجتمعات تفرز نشاطات ترقى إلى مستوى الرموز التي لها معنى اجتماعي وإنساني واسع.

وكذلك الحال فكما لكل المجتمعات ثقافة عامّة، هناك ثقافة شعبية كذلك، شفوية أو مكتوبة تتمثل بالقصائد والأقاويل الشائعة، وإنّ لبعض المجتمعات حضارات استوعبت الثقافات السابقة بعد أن أضافت لها أبعاداً في الجوانب الروحية والأخلاقية والمادية تتعدى نطاق المجتمع المحلي، والحضارات لا تطبق قسراً. فالإنسان يكتسب الثقافة بسلسلة طويلة من عمليات التطبيع والتنشئة فينتقي ما يناسب قدراته، ويختار ما يلائم حاجاته فرغم القسر في التطبيع الاجتماعي الذي نلاحظه بالتنشئة لكن نلاحظ الانتقاء في اكتساب الخبرة وتطوير المهارة.

٦- الأنوية الحضارية:

إنّ الأنوية الحضارية هي ما يشير إليها "لابيير"، الشيء الذي يتقاسمه هذا العالم بأفضل ما يمكن، و كل حضارة، هي أنوية حضارية

على الأقل بعلاقتها النرجسية بذاتها. عدا عن ذلك، فإن farkا ذاقيمة يفصل الأنوية الحضارية الغربية عن مثيلاتها البدائية، إن " الهمجي" إلى أي قبيلة انتمى، هندية كانت أم استرالية، يجعل حضارته هي أعلى من كل الأخريات لكن دونما أن يكثرث بإقامة خطاب علمي حولها.

إن الأنوية الحضارية ليست إذا مجرد عقبة بوجه التفكير، إن لمقتضياتها نتائج أكثر مما نعتقد. إنها لا تسمح للاختلافات الحضارية بالبقاء كل منها لذاتها وبشكلها المجرد، (كلاستر، ١٩٩١، ١٧- ١٨)

قد يبدو من اتساع مدلول معاني مفهوم الحضارة أن إضافة أي مفهوم جديد لما كتب يحتاج إلى روية وتبصر، على انه لابد أن نشير إلى أن مراجعة تلك التصنيفات تقودنا إلى جملة من المعطيات لابد من ذكرها، خاصة وأن مفهوم الحضارة يعد نقطة ارتكاز لموضوع الأنثروبولوجيا الحضارية، ودون تحديد مضمون هذا العلم تصبح الأسس التي يقوم عليها ضعيفة لا تقوى على حمل معطيات جديدة. إن الحضارة في مفهومنا تتعدى نطاق المادة التقنية والأسس العلمية، لتشمل الرموز والأدوات والفن وكل ما يرتبط بالنواحي التجريدية والروحية لما هو موجود في نطاق العلاقات الاجتماعية، فهي تجمع الجانب الاجتماعي والمادي معا في إطار تجريدي يتعدى نطاق الزمان المحدد ليصل إلى أبعاد التاريخ.

ولا يمكن لأي رمز أن يرتقي ليصبح عنصرا في منظومة الحضارة، فالرموز التي تكتسب القوة والحيوية عبر الزمان والمكان، وتبقى لها دلالات تهز كيان الإنسان عندما يعود إليها، وتحقق اتصالا

اجتماعيا بين الناس في الأفراح والأتراح وفي الاتصال الفكري، تلك الرموز فقط تتوضع في نطاق الحضارة، فالإنسان منذ القديم يتصل بالطبيعة وأقرانه من خلال اللغة المكتوبة أو الرموز المتداولة، لكن بعض الدلالات الاجتماعية، والتي يعبر عنها بالسلوك الاجتماعي على شكل رموز لفعل اجتماعي معين، تشكل عنصر الحضارة، وهكذا تشمل الحضارة جوانب مادية وغير مادية لتصبح أداة بيد الإنسان لتحقيق ذاته.



مراجع الفصل الثالث

- الأخرس، محمد صفوح (٢٠٠١) الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات، وزارة الثقافة السورية.
- بريتشارد، ايفانز (١٩٦٠) الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة د.أحمد أبو زيد، منشأ المعارف،الإسكندرية.
- بوردن، ريمون وآخرون (٢٠٠٧) المطول في علم الاجتماع، ج٢، ترجمة د.وجيه أسعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
- بونت، بيار وإيزار، ميشال (٢٠١١) معجم الانثولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة وإشراف:مصباح الصمد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت.
- الخشالي، شاكِر (٢٠١٠) ثقافة تربية الأطفال بين الوعي والعلم، دار بصمات، سورية.
- الخشالي، شاكِر (٢٠١٠) نظريات معاصرة في علم الاجتماع، الموقع الإلكتروني للأكاديمية العربية المفتوحة،الدنمارك.
- الخطيب، محمد (٢٠٠٨) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين للنشر، سورية.
- سليم، شاكِر مصطفى (١٩٨١) قاموس الانثروبولوجيا، ط١ جامعة الكويت، الكويت.
- سمث، شارلوت سيمور (١٩٩٨) موسوعة علم الإنسان، ترجمة علياء شكري وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، بدون مكان طبع.

- كلاستر، بيار (١٩٩١) مجتمع اللا دولة، ط ٣، تعريب وتقديم
د. محمد حسين دكروب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع، بيروت.
- لنتون، رالف (دون تاريخ) شجرة الحضارة، ج ١، ترجمة أحمد
فخري، مكتبة الإنجلو مصرية.
- مجموعة من الكتاب (١٩٩٧) نظرية الثقافة، ترجمة: علي
الصاوي، عالم المعرفة (٢٢٣) الكويت.
- المكاوي، علي (١٩٩٠) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مكتبة نهضة
الشرق، جامعة القاهرة.
- مير، لويس (١٩٨٣) مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية،
ترجمة: شاكر مصطفى سليم، منشورات وزارة الثقافة
والإعلام، العراق.
- وصفي ، عاطف (١٩٧١)، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة
العربية، بيروت.

- Person, Roger (1974) Introduction to Anthropology, . Holt,
Rinehart and Winston, New York.

-Morin, Edgar (1969) Della Culture Analyze, ALAPOLITIQUE
CULTURELLE, COMMUNICA - tion, no: 14, Paris.

- Spradley, p. James (1972) Culture And Cognition, Chandler
Publishing Company, San Francisco.

الفصل الرابع

الأنثروبولوجيا الاجتماعية

- مقدمة
- مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية
- أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية
- مجالات تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية
 - البناء الاجتماعي
 - الأسرة والقرابة
 - المفاضلة الاجتماعية
 - المرتبة والتسلسل الهرمي



- مقدمة

الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بمجال محدد من مجالات العلوم الاجتماعية، وهو دراسة مجموع البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع، بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات. وبالرغم أن اهتمام الأنثروبولوجيا الاجتماعية في بداياتها انصب على المجتمعات البدائية والبسيطة، وسادت آنذاك تسمية هذا العلم ووصفه بأنه "علم اجتماع المجتمعات البدائية" إلا أن تراكم الدراسات في هذا المجال أدى بالأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى علم يدرس كل المجتمعات الإنسانية - البسيطة والمركبة - وليس المجتمعات البدائية فقط.

- مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية

تعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها: الدراسة التكاملية المقارنة القائمة على ملاحظة السلوك الإنساني في مضمونه الاجتماعي. وهي دراسة تكاملية لأنها تتبنى المنهج الكلي الذي يسعى لإدراك الإطار الاجتماعي العام الذي فيه الظاهرة، والإحاطة بالعوامل التي تؤثر فيها وتتأثر بها. وهي دراسة مقارنة بمعنى أنها تدرس النظام القرابي أو الاقتصادي في مجتمع معين، ثم تقارن بين هذا النظام ونظيره في مجتمع آخر، بقصد الوقوف على مظاهر التشابه وجوانب التباين، ومن ثم الوصول إلى المبادئ العامة والقوانين التي تحكم هذه الظاهرة. وتتم المقارنة - في هذا الصدد - بين مستويات مختلفة من المجتمعات البسيطة والبدائية والريفية والحضرية الممتدة. كما أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تعتمد على الملاحظة، لأن الباحث يستمد مادته

من الواقع الذي يدرسه بنفسه ويعايشه ويستخدم اللغة السائدة بين أبنائه في التخاطب. (المكاوي، ١٩٩٠، ٤٤)

- أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية -

لم تصل الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلا إلى قوانين محدودة النطاق أي لا تطبق على المجتمعات الإنسانية في كل مكان وزمان، وإنما على عدد محدود من المجتمعات. ونلاحظ أن الوصول للقوانين الاجتماعية هو الهدف النهائي البعيد للدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، وللوصول لذلك الهدف البعيد لا بد من تحقيق أهداف قريبة يمكن اعتبارها الوسائل الموصلة للهدف النهائي، ومن أهم هذه الأهداف القريبة : (وصفي، بدون تاريخ، ١٧٤ - ١٧٦)

١- تحديد نماذج وأنماط عالمية للأبنية الاجتماعية:

حاول الكثير من العلماء الوصول إلى ذلك الهدف، ولقد أنفق العلامة (راد كليف براون) ثلاثين عاماً في الدراسة للوصول لبعض النماذج العامة للأبنية الاجتماعية، وعن طريق جهوده وجهود العلماء الآخرين أصبح هناك اتفاق شبه عام على بعض نماذج أساسية للبناء الاجتماعي مثل العشيرة والقبيلة والدولة والأمة والمجتمع....، واستطاع العلماء تحديد الأشكال الأسرية الرئيسية في المجتمعات الإنسانية، وهذه خطوة مهمة نحو الوصول إلى القوانين الاجتماعية التي يترتب عليها ذلك التنوع الملحوظ في الأبنية الاجتماعية المختلفة.

٢- تحديد مظاهر التداخل والترابط بالنظم الاجتماعية:

أي تحديد التأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية التي تدخل في نطاق البناء الاجتماعي الواحد. ويهتم العلماء اليوم بذلك الهدف بحيث لا يوافقون على اقتصار الدراسة الأنثروبولوجية الاجتماعية على الجانب الوصفي فقط، وإنما لا بد من التحليل للكشف عن الوظائف الاجتماعية للنظم الاجتماعية عن طريق تحديد التأثير المتبادل فيما بينها، ويستخدم (راد كليف براون) التشبيه بين الكائن الحي والمجتمع، والمقصود من ذلك التشبيه توضيح التكامل والتداخل والتساند الوظيفي بين النظم الاجتماعية عن طريق تشبيهه بالتكامل بين وظائف أعضاء الجسم الحي.

٣- تحديد عمليات التغير الاجتماعي:

التي تحدث في الأبنية الاجتماعية سواء ذات المعدل السريع أو المعدل المتوسط أو البطيء، ويلاحظ (براون) أن الدراسات الخاصة بذلك الهدف اهتمت بدراسة أثر الحروب الاستعمارية على النظام القبائلي في إفريقيا وآسيا وأستراليا والأمريكيتين، إن عملية التطور أو التغير تستلزم ظهور أشكال جديدة للأنماط والأبنية وتستلزم أيضا الانتقال من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المركبة. ولذلك لابد للدراسات الأنثروبولوجية أن تحدد عمليات التغير الاجتماعي من طريق الكشف عن الأنماط والأبنية الاجتماعية الجديدة وكذلك تحديد تطور الظواهر الاجتماعية البسيطة إلى ظواهر اجتماعية مركبة.

- مجالات تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية -

المفاهيم الأساسية التي تتناولها الأنثروبولوجيا الاجتماعية، هي مفهوم البناء الاجتماعي ، والعائلة والقرابة ، المجتمع المحلي ، والمفاضلة الاجتماعية.

١- البناء الاجتماعي:

يعد المفهوم المحوري في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فالأنثروبولوجي الاجتماعي يفكر في المجتمع، وليس في الثقافة كتركيب منظم لأجزاء متعددة، وأن واجبه الأول هو اكتشاف هذا النظام وتفسيره، وهو يتكون من العلاقات القائمة بين الأفراد، وهي علاقات ينظمها مجموعة من الحقوق والواجبات المعترف بها. (الجوهرى، ٢٠٠٤، ١٦) ويرى "كيسينغ" أن البناء الاجتماعي يمثل: النظم الاجتماعية التي عن طريقها تصل مجموعة من السكان إلى حالة التكامل والترابط وهي الحالة اللازمة لتكوين المجتمع. (Keesing, 1981, 32) على حين يقصد "إيفانز بريتشارد" بالبناء الاجتماعي: الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود لوقت كاف بحيث تستطيع الاحتفاظ بكيانها كجماعات ، رغم التغيرات التي تحدث للأفراد الذين يكونون تلك الجماعات. (بريتشارد ، ١٩٦٠ ، ٤٢-٤٣).

يرى "رادكليف براون" أن الوظيفة تطبق على الحياة الاجتماعية والبيولوجية على حد سواء، ومن الممكن أن تحدد خصائص الوظائف دون وجود البناء، أما البناء فيستوجب حدوث الوظائف ويسند "رادكليف"

تحليله هذا على أن البناء الاجتماعي هو شبكة العلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد خلال نقطة زمنية معينة، (الحسن، ١٩٨٨، ١٣١)

ويمكن استخلاص أهم خصائص البناء الاجتماعي بما يلي:

١/١- يتكون البناء من أنماط العلاقات الاجتماعية فلا يمكن ملاحظته مباشرة إلا في صورة علاقات اجتماعية محسوسة بين أفراد وجماعات مجتمع ما.

٢/١- البناء الاجتماعي نسيج متشابك الأجزاء، وعند الخوض به لا بد من دراسة كل أجزائه وذلك بالكشف عن العلاقات المباشرة وغير المباشرة التي بين عناصر البناء الاجتماعي وأجزائهم جهة وتلك التي توحد بين أجزاء كل عنصر من جهة أخرى. فمهمة الباحث لا تقتصر على وصف أجزاء البناء الاجتماعي وتحديد هوائها إنما تتعداها إلى التفسير والتحليل وهذا من أهم خصائص الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تميزها من غيرها من العلوم الاجتماعية.

٣/١- البناء الاجتماعي مستقر وذو ثبات نسبي وذلك من أهم شروطه أن يتماسك ويستمر أوقاتاً طويلة لكن ليس المقصود الجمود بل استمرار متغير يشبه الاستمرار العضوي للجسم الحي، ومن مظاهر التغير فيه تعطل بعض الأجهزة الاجتماعية عن تأدية وظيفتها، أو تغير في العلاقات الاجتماعية من يوم لآخر نظراً لتغير الأفراد والزمان، إلا أن سرعة التغير تختلف من مجتمع لآخر فأحياناً يتعرض البناء الاجتماعي

إلى ضغوط خارجية تعمل على تغييره على نحو سريع أو حتى على القضاء عليه كالحروب أو الكوارث.

ويبرز في مناقشة البناء الاجتماعي مفهومان، أشاعهما على نطاق واسع أول الأمر "لنتن" في أميركا، وهما "المنزلة" و"الدور" :

أ-المنزلة : وتعني مركز الفرد قياسا على ما لغيره من الأفراد الذين له بهم علائق اجتماعية. من شروط الحصول على منزلة تقتضي دائما علائق اجتماعية بأشخاص آخرين: مثال ذلك الابن، ومدير المدرسة، والزوج، ومدير المخزن. فالشخص الواحد يمكن أن تكون له أكثر من منزلة، كما توضح الأمثلة. كما يمكن أن يقال إن للشخص منزلة عامة، هي أرفع، أو أدنى نسبيا من منازل الأشخاص الآخرين. ولكن المنزلة بهذا المفهوم، كلمة لا لون لها، إنها حين تستعمل لتصف شيئا يكافح الناس للحصول عليها، فإنها تستعمل على نحو مغلوظ.

فالمنزلة يمكن أن تكون منسوبة كجوب أن تصبح (الملكة إليزابيث الثانية) وفق القاعدة المعمول بها، ملكة لبريطانية. لأنها أكبر بنات الملك جورج السادس، أو "مكتسبة" كمثل وصول (جون كندي)، بسبب الأثر السياسي الذي قام به، إلى مركز رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. ولكل منزلة أثر مناسب لها، فالمتوقع من الناس أن يتصرفوا كما لو كانوا يحبون زوجاتهم، ويحترمون مدراء مدارسهم بغض النظر عن مشاعرهم الحقيقية حيالهم. وفي الوقت الذي يعني به عالم النفس بالأسباب التي تجعل بعض الناس لا يقبلون فكرة الزواج، ولا يطبقون الدوام في المدرسة، فإن عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية يهتم

بالطريقة التي يحدد بها المجتمع الأدوار، وما يحدث لو أن الأشخاص لم يقوموا بأدوارهم التي يحددها المجتمع، وما يحدث لو أن الأشخاص لم يقوموا بأدوارهم المرسومة بدقة. فالأدوار تشتمل على واجبات كالقيادة، وإصدار الأوامر، والحماية، والطاعة، والتعاون، وتقديم الهدايا في مناسبات معينة، وغير ذلك. (مير، ١٩٨٣، ١٩)

ب- الدور : يعنفي اللغة الاعتيادية ما يمثله الممثل في الرواية، وهذا هو معناه الحقيقي في الصدد الذي نحن فيه. فالدور يكتب للممثل، ولكنه قد يمثله بشكل جيد أو رديء، أو ينسى جزءا منه، أو قد يقدم للمتفرجين عرضا جديدا للشخصية التي يمثلها، أو قد يشتط في تمثيله للشخصية، فيبتعد بها عما يتوقع الجمهور، فيقابله بصيحات الاستهجان عوضا من التصفيق والاستحسان. وبالطريقة نفسها، فإننا نبذل قصارى جهدنا للقيام بأدوارنا الاعتيادية، وكثيراً ما يحصل الناس على أفكار جديدة عن كيفية القيام بأدوارهم فيحدث التغيير الاجتماعي. والقواعد التي تحدد الأدوار تدعى "توقعات الدور" ويضم الضبط الاجتماعي أنواع الضغوط الاجتماعية كافة التي يمارسها المجتمع على الأفراد ليحملهم على أداء أدوارهم بما يتلائم وهذه التوقعات.

ومعنى هذا أن على الممثل أن يتقيد بسلوك دوره المكتوب قدر ما يستطيع، كما يترتب على هذا أن يصبح لكل مجتمع طريقته المقررة، والمعترف بها، في التعبير عن العلائق التي يجب أن يقوم الأفراد بها في إطارها بأدوارهم. ولنضرب مثلاً بسيطاً جداً. فالطريقة المؤدبة في تأدية التحية لدى الهندوسي هي أن يرفع يديه مضمومتين أمام صدره،

ولدى الصيني أن ينحني مخبأ يديه في كميته الواسعتين، ولدى الأوروبي الغربي أن يتصافح بالأيدي. فهذه فوارق حضارية.

٢- الأسرة والقرباية:

العائلة عبارة عن منظمة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط اجتماعية وأخلاقية ودموية وروحية وهذه الروابط هي التي جعلت العائلة البشرية تتميز من العائلة الحيوانية. (الحسن، ١٩٨٨، ١١٨) لقد وجدت العائلة حيث المجتمع لا بل أن المجتمعات الإنسانية وجدت بوجودها، كما أن تركيب العائلة ووظائفها ارتبط كغيرها بتغير المجتمعات الإنسانية.

إن اهتمام عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بالقرباية ينصب على الدلالات الاجتماعية التي تتضمنها، وليس الدلالات البيولوجية، ذلك لأن نظام القرباية نظام اجتماعي، ولا يمكن فهمه إلا في علاقته ببقية النظم الأخرى التي تشكل البناء الاجتماعي. (المكاوي، ١٩٩٠، ١٢٧).

ويطلق العلماء اصطلاح الجماعات القرباية على الجماعات التي تقوم على أساس الصلات والعلاقات القرباية. وتنقسم تلك الجماعات القرباية إلى قسمين هما (الأسرة الزوجية) و(الجماعة القرباية الدموية) والفارق بينهما أن القسم الأول - الأسرة الزوجية (الصغيرة أو النووية) - تتميز بالسكنى معا في مسكن مشترك، وبوجود علاقة قرباية أساسها الزواج، ولذلك تسمى "جماعة قرباية سكنية". أما الجماعة القرباية الدموية، فلا تتميز بالمسكن المشترك.

ومن أشهر البحوث بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، بحث العالم "مكلينز" والعالم "مورغان" والأخير وضع معاني جميع المصطلحات القربائية التي استعملها علماء الانثروبولوجية الاجتماعية (الحسن، ١٩٨٨، ١٢٦-١٢٧) وله مقولته المشهورة عن حركة وفعالية الأسرة وجمود وخمول القرابة فيقول: "إن الأسرة تمثل مبدأً فعالاً، وهي ليست راكدة أو جامدة أبداً بل تتقدم من شكل إلى شكل أعلى تبعاً لتقدم المجتمع من درجة إلى درجة أعلى، أما نظم القرابة فهي على العكس منفصلة، تسجل التقدم الذي تحققه الأسرة في فترات طويلة كل فترة على حدة ولا تتغير جذرياً إلا عندما تكون الأسرة تغيرت تغيراً جذرياً". (السباعي، ١٩٨٥، ٦٥).

٣- المفاضلة الاجتماعية:

من القضايا ذات الصلة بموضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مفهوم المفاضلة الاجتماعية، حيث "ينظم" الناس أنفسهم داخل المجتمع في "جماعات"، أي أنهم يكونون جماعات ذات مصالح عامة، وذات قيادة عامة، "ويصنفون أنفسهم في فئات، أي أنهم يعتبرون من قبل الآخرين أنهم يملكون شيئاً مشتركاً. وبتحليل المجتمع يتبين وجود عدد من المجاميع والفئات. (مير، ١٩٨٣، ٦٥)

١/٣- المفاضلة بالجنس: إن انقسام الإنسان إلى ذكر أو أنثى هو الأساس الذي تقوم عليه أغلب التصنيفات الاجتماعية الأولية في كل مكان. وتقسيم الأدوار بين الجنسين ينبثق، في كل مجتمع، من حقيقة كون النساء يحملن، ويرضعن الأطفال، وبذا يصبحن مشدودات إلى الحياة

المنزلية أغلب سني حياتهن. وفي المجتمعات التي يقوم اقتصادها على "إنتاج الكفاف" حيث يحصل المجتمع على غذائه واحتياجاته الأخرى بعمله في بيئته بصورة مباشرة، يقع قسم كبير من العمل الزراعي على كواهل النسوة، وفي بعض الحالات يصبح ذلك العمل مسئوليتهن وحدهن، في حين يقوم الرجال في أماكن أخرى بالعمل الشاق في تنظيف الأرض من الأعشاب والحشائش قبل الزراعة، وتخصيب الأرض.

وهناك كذلك مجتمعات يشارك فيها الرجال والنساء في مراحل العمل في الحقل كافة. والرجال في المجتمعات التي تربي الماشية، هم الذين يخرجون بالماشية إلى المراعي وهم الذين يحمونها ضد المغيرين، وضد الحيوانات المفترسة.. وفي بعض المجتمعات تعتقد أن النسوة يجب ألا يتصلن بأي شكل من الأشكال بالماشية، والنساء يجلبن الماء، ويجمعن الحطب، وهن المسئولات عن الطبخ.

ومهام الرجال هي المهام التي تقتضي مزيداً من القوة البدنية، والخفة في الحركة، والابتعاد حين أدائها عن مساكنهم مثل الحرب والصيد ورعي الماشية وصيد السمك في البحار والاتجار بالقوارب، وتقع مسئوليات الحكومة على الرجال كذلك، ويتوقع أن يكون للمرأة في العادة، وصي، من الرجال، قريباً أو زوج، يحميها ويرعى مصالحها، ويكون مسئولاً عن أي ذنب تقتربه. وهذا ما يقصد بالقول إن النساء في المجتمعات البسيطة دائماً قاصرات، وتقتصر الأدوار الدينية المهمة للغاية على الرجال كذلك، فهم الذين يستطيعون أن يتصلوا بالأسلاف وبالأرواح الأخرى.

وتعتقد أغلب الشعوب البدائية والفلاحية أن من غير اللائق أن يلتقي الرجال بالنساء خارج البيت، وحتى داخله، فالرجال يأكلون، في الأغلب، بصورة منفصلة عن النساء، وهناك مجتمعات ينتقد فيها الرجال الذين يمضون وقتاً طويلاً في بيوتهم مع نساءهم.

٢/٣-المفاضلة بالعمر: يقسم كل مجتمع سكانه على أساس العمر، ولهذا أسس حياتية، فالأطفال ليسوا مستعدين للقيام بأعمال البالغين، والمسنون لا يملكون القوة البدنية للقيام بها. فالتقسيم في المجتمعات التي تركت وثائق مكتوبة كان يجري على أساس العمر الزمني بغض النظر عن البلوغ النسبي في البداية أو عن الشيخوخة في النهاية. ففي بريطانيا أعمار محدودة يستطيع فيها الأفراد ترك المدرسة، أو الزواج بدون قيود، أو الزواج دون موافقة آبائهم، أو إبرام عقود دين، أو الإدلاء بأصواتهم، أو استلام رواتب تقاعدية. ول بعضهم أعمار محددة يجب أن يتركوا فيها العمل. كما توجد فكرة عامة، رغم أنها ضعيفة، عن أن احترام الكبير في العمر في المجتمع واجب على الصغير فيه.

ليس في المجتمعات البسيطة سجلات للأعمار، ولا هي تعني بحقوق الإعفاء من العمل، ولا باستلام رواتب تقاعدية. ولكنها من جهة ثانية، تعطي في العادة أهمية كبرى للتقدم في السن. وفي المجتمعات بطيئة التغير، يميل الناس إلى الاعتقاد بأن حكمة الرجل تزداد كلما تقدمت به السن، وكذلك فالمعتقد، في الأغلب، أن الكبار في السن يستحقون أن يحترموا بصورة خاصة لأنهم قريبون من الموت، ومن ثم قريبون من الله، ومن الأسلاف.

كيف إذا تعرف تلك الشعوب البسيطة أي الأفراد كبير في العمر، باستثناء ما يمكن أن يحكم به، وبصورة عامة جداً، من شكله ومظهره؟ في عدد قليل من المجتمعات يحصل الناس على الاعتراف ببلوغهم مرحلة بلوغ الحلم بمرورهم خلال طقوس التكريس المنظمة إلى حد ما. وفي أي مجتمع يمارس طقوس التكريس تقام تلك الطقوس للأولاد، أو للبنات، أو لكلا الجنسين معاً. وأكثر آثار التكريس أهمية تظهر في حفلات الزواج.

ويقاس الكبر في السن، في بعض الأحيان، بمقاييس أخرى، مثل كون الرجل يملك أطفالاً، ومثل العمر الاجتماعي لأطفاله فيما إذا كانوا هم أنفسهم قد مروا بطقوس التكريس أم خلاف ذلك. وقد تنظم النسوة، كذلك، في بعض الأحيان في فئات عمرية، رغم أن ذلك قليل الشئوع.

هناك مجتمعات تستند فيها مهام سياسية وطقسية إلى الأفراد الذكور بسبب عمرهم الاجتماعي، ففي مثل هذه المجتمعات يؤلف عدد من الفئات العمرية، حين تمر بطقس تكريس واحد، درجة عمرية واحدة، فتتكون الفئات العمرية من الرجال الذين هم من أعمار متقاربة والذين مروا بطقس تكريس واحد. وتعد الدرجة العمرية المنزلة التي وصلوها خلال مرحلة معينة من حياتهم. وبصورة عامة يمكن أن يقال: إن هناك درجة عمرية من الرجال القادرين على القتال، تدعى في الكتابات الانثوجرافية، في الأغلب، (المقاتلين)، ودرجة عمرية من (المسنين)، وهم الذين أدوا دورهم مقاتلين، ثم تقاعدوا عن الخدمة في القوات المقاتلة. وليس في واقع الحال، نظام يقسم المجتمع هذا التقسيم الحاسم البين. كما أن لبعض المجتمعات تقسيمات فرعية غاية في التعقيد. ولكن

المبدأ العام أن الشبان يدعون لتحملهماء تحتاج إلى قوة بدنية كالقتال، وأعمال الشرطة، وبعضهم يطلب منهم القيام بـ "أعمال عامة" ويدعى الكبار في السن إلى أعمال تحتاج إلى الحكمة، كمناقشة القضايا العامة، والتحكيم في المنازعات، وواجبات طقسية تخولهم أعمارهم القيام بها.

٣/٣-المرتبة، والتسلسل الهرمي " والتدرج: إن المفاضلة بالعمر هي إحدى الطرق التي تقرر القواعد الخاصة المقررة للأسبقية والاحترام من أشخاص في المجتمع لأشخاص آخرين. حتى إذا انعدم نظام المراتب. وتشترك فكرة "المرتبة والتسلسل الهرمي"، والتدرج إلى حد بعيد، بفكرة عامة واحدة. وسيصبح التفريق بينهما أكثر وضوحا من المناقشة الآتي بيانها. فالمرتبة يمكن أن تكتسب بالنسب (المرتبة الموروثة). إن كثيرا من الأشخاص في المجتمعات البسيطة الذين ينتمون إلى خطوط نسب معينة، فينظر إليهم باعتبارهم أعلى مقاما من الآخرين، يحظون من الآخرين بسلوك يظهر احتراماً محدد المعالم. وربما في أحيان أخرى، يحظون بامتيازات معينة. وأوضح مثل على ذلك المفاضلة بالمرتبة هو وضع "العوائل المالكة" التي ينحدر أفرادها من سلالة الملوك والرؤساء. فقد ينقسم المجتمع بكل بساطة إلى (ملكيين) أو (أشراف) وعوام، ولكن قد توجد للمرتبة نظم أكثر تطورا.

إن التسلسل الهرمي يستلزم علائق تتراوح بين السلطة والطاعة، وبين التفوق والخضوع، في حين أن مصطلح المرتبة نفسها يعني، ببساطة، المنزلة. فالمرتبة والسلطة بصورة عامة، متلازمان. ولكن حقيقة الأمر ليس كذلك في كل الأحوال. فـ (النوير) يتقبلون مبدأ

"المرتبة" في مجتمعهم استنادا لقاعدة العضوية في الفئة العمرية. لكن لا أحد من النوير يقبل أن يتلقى الأوامر من فرد آخر لمجرد كونه ينتمي إلى فئة عمرية أكبر. و(العولم) في بريطانية لا يعتقدون أن من حق الرجل الذي يحمل لقباً أن يعلمه ما يفعل. ورغم أن حملة الألقاب كـ(الدوق) و(الماركيز) و(البارون) يققون في أماكن مخصصة لهم، فإنهم لا يختلفون في حياتهم اليومية وفقاً لهذا النظام. ولكن الجيش عكس ذلك، فهو يقوم على التسلسل الهرمي. فالضابط ذو الرتبة العالية يستطيع أن يصدر الأوامر لأي ضابط أقل منه رتبة.

والتقسيم الأكثر بساطة، والمعروف على نطاق أوسع، هو تقسيم المجتمع إلى مواطنين كاملي المواطنة، وأشخاص تحدد حريتهم في مجالات معينة. ففي الكتابة عن تاريخ أوروبا القديم كان الناس يطلقون على المواطنين كاملي المواطنة الأحرار، ويطلقون على الآخرين "رقيقاً" و"عبيد أرض". والتفريق الفني بين الرقيق وعبد الأرض هو أن الأول ملك لشخص آخر، ويمكن أن يعامل كسلعة في أمرين مهمين: الأول هو أن سيده يستطيع أن يقتله، ولا يقع تحت طائلة القانون، والثاني أنه يستطيع أن يبيعه كما يبيع الحيوان. أما عبد الأرض، فرغم أن حريته مقيدة، فإنه لا يعامل كالرقيق. ومصطلح رق يعيد إلى أذهان أغلب الناس في هذه الأيام، ولأول وهلة مزارع (أميركا) و(الكاريبين)، والثورة الإنسانية التي قامت ضد الأوضاع التي كانت سائدة هناك وقتئذ. وهذا النوع من الرق كان رقاً اقتصادياً تجارياً واسع النطاق. والفوارق بين الرقيق وعبيد الأرض في المجتمعات صغيرة الحجم تصبح، في الواقع، غير واضحة. إن التمييز بين حالي الرقيق وعبيد الأرض التي

يجريها، بعامة، كتاب التاريخ الأوروبي تقوم على أن الرقيق ينظر إليهم كسلعة، في حين أن عبيد الأرض لا ينظر إليهم كذلك. ومن هنا فهم يدعون أن تحديد حرية عبد الأرض ليست بقدر حرية الرقيق.

٢/٤- الطائفة والطبقة: إن أكثر نظم التدرج الاجتماعي تطورا هو النظام الهندوسي الذي يدعي نظام "الطوائف" (الكلمة مأخوذة من أصل برتغالي معناه العنصر). فالديانة الهندوسية) تركز كثيرا على مفهوم النجاسة، والفكرة التي يقوم عليها نظام الطائفة هي أن أولئك الذين يعيشون بطريقة يتجنبون بها النجاسة يتمتعون بمنزلة أعلى من الذين يتعرضون إليها. وتعد بعض المواد نجسة، والناس الذين تقتضي أعمالهم لمسها طبقة واطنة. ويطلق على كل طائفة اسم العمل الذي تمارسه رغم أن أقلية فقط من الأعضاء من أية طائفة تمارس المهنة التي تسمى بها. والعنصرية في الطائفة وراثية وعلى أفرادها ألا يتزوجوا خارج طائفتهم التي ينتمون إليها.

وبموجب العقيدة (الهندوسية) هناك خمسة أقسام عظيمة ينقسم إليها المجتمع الهندوسي كله: (البراهما) وهم القسس، و(الكاشاتريا) وهم الجند المقاتلون، و(الفائشيا) وهم التجار، و(الشدرا)، ويأتي في أسفل القائمة كلها (المنبوذون) الذين تعد مجرد ملامستهم، أو حتى ظلهم، نجاسة بالنسبة لأعضاء الطوائف العليا. وهذا التقسيم للمجتمع (الهندي) جيد نظريا، ولكن في واقع الأمر، هناك أعداد لا حصر لها لتقسيمات فرعية لهذه الطوائف، التي تتبع نظام تقسيم آخر في مناطق مختلفة. والتعبير

الحضاري عن التدرج الطائفي هو نفسه في كل مكان، أي أن أعضاء طائفة عليا يظهرون تفوقهم برفضهم قبول الطعام من أفراد طبقة أدنى.

ولكل طائفة شارعها الخاص بها في القرية. وهناك طبقة واحدة متسلطة في كل مجتمع من المجتمعات المحلية الصغرى، وهي التي يملك أفرادها الأرض، ويعمل أفراد الطبقات الأخرى لهم إما عمالا في الأرض، أو يقومون بمسئلات الخدمات في المجتمع مثل الحلاقة، وكنس الشوارع، التي يعتقد أن مزاولتها تتطوي على نجاسة. ويتقاضون لقاء ذلك حصة من محصول الأرض في موسم الحصاد.

ونذكر هنا كلمة "طبقة" التي أدخلها علماء الاجتماع في مفرداتهم ليضعوا بها أنواعا من التقسيم الذي يميز المجتمعات الصناعية أكثر مما يصف تلك المجتمعات التي يدرسها الأنثروبولوجيون الاجتماعيون كثيراً. فكلنا قد سمع بنظرية (كارل ماركس) عن الصراع بين الطبقات بغض النظر عن معرفته لمحتواها. فبالنسبة لـ (كارل ماركس) كانت المجتمعات مقسمة إلى طبقات تحدد وجودها علاقتها بوسائل الإنتاج. وبتعبير مبسط غاية التبسيط، إن إحدى الطبقات تملك وسائل الإنتاج وهي الأرض والمكنات وما يشبه ذلك - وتستغل هذه الطبقة الطبقات الأخرى إنها الطبقة المالكة. ولقد حدد ماركس تقسيم المجتمع بوجود مستغلين ومستغلين في كل مرحلة من مراحل التاريخ. ولكن علماء الاجتماع المعاصرين يفضلون استعمال ألفاظ أخرى لتقسيم المجتمعات التي سبقت حركة التصنيع.

ففي المجتمعات الصناعية المعقدة يحددون، طبقات متميزة، الأشخاص الذين يمارسون أعمالاً تتصل بطريقة كسب العيش تميزهم من الذين يمارسون طرائق أخرى. وهكذا فنحن نتحدث عن طبقات مهنية، وطبقات عاملة، وغير ذلك. فالفرق الجوهرى بين الطبقة بمفهومها الفنى وبين التقسيمات الأخرى الموجودة في المجتمعات المتدرجة هو أن تقسيم المجتمع إلى طبقات يقوم على أساس المهنة والدخل.

٣/٥- التقسيمات الثنائية: تقسم بعض المجتمعات إلى قسمين يكمل أحدهما الآخر، وهو تقسيم يقوم على "النسب" أو على عضوية الفخذ والعشيرة. فبعض المجتمعات (أميركا الشمالية)، وبعض القبائل في (أستراليا)، تقسم إلى أنصاف مجتمع "خارجية الزواج" أي أن كل عضو في القبيلة ينتمي بالولادة إلى أحد النصفين، ويجب عليه أن يتزوج بزوجة من النصف الآخر. ولكن أنصاف المجتمع ليست دائماً خارجية الزواج. وحتى حين يكون الأمر كذلك، فإن أهميتها الأساسية تكون بعامّة، في ميدان الدين، أكثر من ميادين العلائق الزوجية. فالقسمان يتعاونان في الطقوس المهمة، لكل مهمته المناسبة له وكلاهما لا غنى له عن المشاركة في نجاح الحفلة أو الطقس الديني. ويقيم سكان أستراليا الأصليون القاطنون في الصحارى طقوساً متقنة الإعداد لزيادة خصوبة سلالة الحيوان الذي يعتمدون عليه في غذائهم، فالجماعة المرتبطة بحيوان معين ترقص بطريقة يفترض أنها تشبه ذلك الحيوان وتحاكي حركاته. وقبل الاحتفالات يكسون أجسامهم بريش الطيور، ويطلونها بلون أحمر، ويلطخونها بالدماء. وتقع مهمة تجهيز ريش الطير وكل ما

تستلزم الاحتفالات على النصف الآخر، وليس على النصف الذي يقيمها، فهم الذين يقومون بعمل رسم على الأرض بالدم ويلونون الريش وفق ما تقتضيه الحفلة. (مير، ١٩٨٣، ٦٥-٧٨)

وحيث تكون المجتمعات الصغيرة من المجتمعات التي تتداول النقود، فقد يكون فيها نوع من الاتحاد وهو نظام للاعتماد. أو نادي للمساهمة. يكون الهدف منه معاونة الناس لادخار المال لملافاة المتطلبات وبخاصة الباهظة منها على مواردهم. والمبدأ الذي يقوم عليه الاتحاد هو أن يدفع كل شخص حصة صغيرة ثابتة في فترات محددة. ويأخذ كل واحد من المساهمين، الواحد تلو الآخر كل ما يتجمع من الرصيد المتجمع بهذه الطريقة. فبالنسبة للأفراد الذين يأتي دورهم عاجلا بعد تأسيس الاتحاد، فالاتحاد طريقة للحصول فورا على اعتماد، وهم طبعاً يستمرون في دفع حصصهم حتى يعيدوها للاتحاد ولكنهم لا يدفعون فوائد.

وهذا النوع من الاتحادات يمكن أن يكون في عدد كبير من الأقطار. ففي الصين، وهي ذات تقاليد معقدة في التعامل بالمال، تتضمن إجراءات تشكيل مثل هذا الاتحاد قاعدة الاقتراع على أول عضوله حق أخذ الاعتماد. ومجموع الأشخاص الذين يكون للفرد بهم علائق اجتماعية موروثية، أو مختارة، أصبح يطلق عليهم مصطلح "شبكة".

مراجع الفصل الرابع

- بريتشارد، ايفانز (١٩٦٠) الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة د.أحمد أبو زيد، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- الجوهرى، محمد وآخرون (٢٠٠٤) الانثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الحسن، إحسان محمد (٢٠٠٨) علم اجتماع المرأة، دار وائل، عمان.
- الحسن، إحسان محمد (١٩٨٨) المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت.
- الحسن، إحسان محمد (١٩٨٨) موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت.
- السباعي، بدر الدين (١٩٨٥) مشكلة المرأة / الحل التاريخي، دار الجماهير، دمشق.
- المكاوي، على (١٩٩٠) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة.
- مير، لويس (١٩٨٣) مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية، ت: شاكر مصطفى سليم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
- وصفي، عاطف (بدون تاريخ) الانثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت.
- Keesing, Roger (1981) Cultural Anthropology. Holt, Rinehart and Winston, New York.



الفصل الخامس

الأنثروبولوجيا الاقتصادية

- مقدمة
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاقتصاد
- النظم الاقتصادية
- موضوعات النظم الاقتصادية
- طبيعة النظم الاقتصادية
- ١- نظام جمع الطعام
- ٢- نظام الصيد
- ٣- نظام البستنة
- ٤- نظام الرعي



- مقدمة

ارتبط اسم "موريس كودوليير - Maurice Godelier" في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي بما كان يعرف بالأنثروبولوجيا الاقتصادية، وهو اتجاه في البحث والتحليل كان يتوخى ربط المقاربة الأنثروبولوجية للمجتمعات "التقليدية" أو ما كان يسمى بالمجتمعات ما قبل رأسمالية غير متوفرة على تراث مكتوب بنظرية أنماط الإنتاج ذات التوجه الماركسي. وكان "كودوليير" في بداية مشواره العلمي من المنظرين الذين أعادوا صياغة بعض المفاهيم الأساسية التي لم يولها الفكر الماركسي التقليدي كامل العناية مثل "مفهوم نمط الإنتاج الآسيوي" الذي استعمله كارل ماركس لنعت المجتمعات التي لا يمكن تصنيفها ضمن المجتمعات الإقطاعية أو العبودية، وهي عادة ما كان يصنفها الأنثروبولوجيون في المجتمعات القبلية أو المجتمعات الانقسامية. وكانت هذه المقاربة منطلقا لإرساء نظرية ماركسية أنثروبولوجية تهتم ببنيات القرابة والعناصر الثقافية بربط هذه المعطيات بعلاقات الإنتاج والمستوى الاقتصادي الذي يبقى العامل الأساسي لفهم طبيعة هذه المجتمعات من وجهة نظر الأنثروبولوجية الاقتصادية.

والجدير بالذكر أن "كودوليير" تأثر بالنظرية البنوية التي أخذها من أستاذه، وطبق منهجيتها في دراسته لقبائل تعيش بغينيا الجديدة في جزر شمال أستراليا بالمحيط الهادي. وقد تمكن من مزج المنهجية البنوية بمفاهيم مستقاة من النظرية الماركسية لدراسة مجتمع "بارويا" وهو مجتمع دون طبقات وتغيب عنه الدولة بالمعنى الحديث. وبصفة عامة تقترح الأنثروبولوجيا الاقتصادية - التي كان يمثلها في فرنسا كل من "كلود ميلاسوكس وموريس كودوليير - Maurice

"Claude Meillassoux و Godelier". وفي الولايات المتحدة "كارل بولاني ومارشال سالينس/- Marshal Sahllins و Karl Polanyi نسقا نظريا لدراسة وفهم طبيعة النظام الاجتماعي والاقتصادي في المجتمعات ما قبل رأسمالية أو ما يسمى خطأ بالمجتمعات البسيطة أو "البدائية".

- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاقتصاد

إن الأنثروبولوجيا الاقتصادية تدرس في نفس الوقت البنية الحالية لهذا النوع من المجتمعات والصيرورة التاريخية التي أنتجتها، مستغنية عن مفاهيم الأنثروبولوجيا التقليدية مثل مفهوم التطور ومفهوم الوظيفة وتعوضهما بمفاهيم أكثر إجرائية مثل مفهوم القطيعة، ومفهوم السيطرة ومفهوم الانتقال.

وهناك ثلاثة إشكاليات نظرية كانت محل اختلاف بين الباحثين المنتمين لحقل الأنثروبولوجيا الاقتصادية نجملها في العناصر التالية: (Dahane, 2012)

١- أهمية كل من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج : نقطة الاختلاف هنا تتعلق بمعرفة العامل الذي يؤثر في النظام الاجتماعي إجمالاً، أو ما يعرف بنمط الإنتاج، ومن له الأثر الحاسم في إحداث التغير الاجتماعي.

٢- تملك وسائل الإنتاج: هناك من الباحثين من يعد أن التناقض بين الفئات الاجتماعية هو العنصر الفعال في إحداث قطيعة في النظام الاجتماعي في المجتمعات "البسيطة". إن هذا التناقض لا يرتبط بتملك وسائل الإنتاج من عدمه بل يهم نوعية العلاقات التي ترتبط بالفئات الاجتماعية وهو مكون أساسي لكل تشكيلة اجتماعية.

وهناك من يولي الأهمية لفهم التغير الاجتماعي إلى وسائل الإنتاج (التقنية ووسائل العمل)، طبيعتها، ودرجة تقدمها، وشكل تملكها، والعلاقة بين من يملكها ومن يوظفها (علاقات الإنتاج). إن التقنية توحى أن التغير لا يتم دائما بفعل عوامل داخلية بل يمكن أن يحدث نتيجة الاحتكاك الثقافي (الثقافة) أو التواجد الأجنبي كما هو الحال بالنسبة للاستعمار بكل أشكاله. وهناك عوامل داخلية لا ترتبط بالصراع في البنية الاجتماعية بقدر ما ترتبط بمعطيات طبيعية أو مورفولوجية (الشكل والبنية) كالنمو الديموغرافي (التركيبة السكانية)، أو العوامل المرتبطة بالمناخ والبيئة.

٣- دور القرابة: إن القرابة تسهم إسهاماً أساسياً في المجتمعات "القبلية"، وهناك من الباحثين من يجعلها بمثابة العامل الأساسي الذي يحدد الملامح الاجتماعية والسياسية للمجتمعات التي يهتم بها البحث الأنثروبولوجي. لكن الاتجاه المعروف بالأنثروبولوجيا الاقتصادية يضيف أنها لا يمكن أن تقوم بهذا الأثر بمنأى عن تدخل العوامل الاقتصادية، وبالخصوص قوى الإنتاج.

وبالانتقال إلى علم الاقتصاد، نشير إلى أن التعريف الموجز التقليدي لعلم الاقتصاد وفقاً لليونيل روبنز" في عام ١٩٣٢، هو "العلم الذي يدرس سلوك الإنسان كعلاقة بين الوسائل النادرة التي لها استخدامات بديلة". أو أنه باختصار "دراسة كيفية سعي الناس إلى تلبية الاحتياجات وإشباع الرغبات". وفي ظل غياب الندرة ووجود البديل لن يكون هناك علم اقتصاد. كما يمكن تعريف علم الاقتصاد على أنه دراسة "الجوانب المالية لسلوك البشري". يعرف علم الاقتصاد الفرع من العلوم الاجتماعية الذي يبحث الاستخدامات المتعددة للموارد الاقتصادية لإنتاج السلع وتوزيعها للاستهلاك في الحاضر والمستقبل بين أفراد المجتمع.

ويختص علم الاقتصاد بدراسة الأمور الآتية :

١- السلع والخدمات التي ينتجها المجتمع، ويجب على المجتمع أن ينتجها وفقاً لموارده الاقتصادية المتاحة وهي تتميز بالندرة النسبية الأمر الذي يقتضي المفاضلة بين الاستخدامات البديلة من خلال آليات السوق.

٢- طريقة الإنتاج فهناك طرق إنتاجية متعددة مثل :

- طرق إنتاجية كثيفة العمالة.

- طرق إنتاجية كثيفة رأس المال.

- طرق إنتاجية كثيفة التكنولوجيا.

٣- كيفية توزيع الإنتاج بين أفراد المجتمع :أي كيفية توزيع الناتج القومي من السلع والخدمات بين عناصر الإنتاج المشاركة في العملية الإنتاجية، كالعامل، ملاك الأراضي، أصحاب رأس المال، التنظيم.

٤- الكفاءة التي تستخدم بها الموارد الاقتصادية، أي ما إذا كان الإنتاج يتم بطريقة كفؤة ويوزع أيضاً بكفاءة.

٥- موارد المجتمع وتوظيفها وتوظيفاً كاملاً .

٦- الطاقة الاقتصادية ونموها بصورة مطردة مع الزمن أم أنها تظل ثابتة.

و يتناول علم الأنثروبولوجيا الاقتصادية دراسة مجموعة من الموضوعات الأنثروبولوجية من وجهة نظر علم الاقتصاد. وهناك ثلاثة

اتجاهات أساسية في الأنثروبولوجيا الاقتصادية وهي: الاتجاه الشكلي،
والحقيقي، والثقافي : (الاقتصادية، ٢٠٠٧)

-**الاتجاه الشكلي:** يرتبط بعلم الاقتصاد الكلاسيكي الجديد، ويعرف علم الاقتصاد على أنه دراسة تحقيق الاستفادة القصوى من الخدمات المتاحة في ظل ظروف الندرة. يحاول الاتجاه الشكلي استخدام نظرية الكلاسيكية الجديدة لتحليل موضوعات تتدرج خارج الاختصاص التقليدي لهذه النظرية. يقوم الاتجاه الشكلي على افتراض أن الأفراد يسعون إلى تحقيق الاستفادة القصوى من الخدمات المتاحة من طريق الاختيار بين الطرق البديلة.

-**الاتجاه الحقيقي :** يذهب إلى أن هناك معنيين لكلمة الاقتصاد، أولهما المعنى الرسمي الذي يشير إلى الاقتصاد على أنه المنطق وراء عملية اتخاذ القرارات كاختيار منطقي بين الاستخدامات المختلفة للموارد المحدودة. أما المعنى الثاني الذي يقدمه الاتجاه الحقيقي للاقتصاد فلا يفترض مسبقاً أسباب اتخاذ القرار أو ظروف الندرة وإنما يشير إلى دراسة كيف يكسب الأفراد عيشتهم من بيئتهم الاجتماعية والطبيعية.

-**الاتجاه الثقافي :** يفترض أن العمليات المركزية لكسب العيش مهيكلًا ثقافياً، ومن ثم فإن نماذج كسب العيش والمفاهيم الاقتصادية المرتبطة بها مثل التبادل التجاري والمال والأرباح يجب أن تحلل من خلال طرق المجتمعات المحلية لفهم هذه النماذج والمفاهيم . بدلاً من اختراع نماذج

عالمية متأصلة في الفهم الغربي واستخدام المصطلحات الاقتصادية الغربية ثم تطبيقها على جميع المجتمعات.

يمكن الجزم بأن علم الإنسان قد أسهم إسهاماً فعالاً في إثراء علم الاقتصاد بما قدمه من دراسات عن المجتمعات البدائية والبسيطة والمنعزلة، والتي يعيش بعضها على صيد الحيوانات البرية وجمع الثمار البرية من الأحرش والغابات، ويعيش بعضها الآخر على صيد الحيوانات البحرية والنهرية.

وقد حلل علماء الإنسان، وفسروا النظم الاقتصادية لتلك المجتمعات وفقاً لتقافة تلك الجماعات وتتبع تاريخها وتطورها وأنواعها المختلفة، وعلاقة تلك النظم الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة ببقية الأنظمة الأخرى في تلك المجتمعات، مثل الأنظمة الاجتماعية والدينية والسياسية، ابتداءً بمجتمعات الصيد والجمع والالتقاط إلى المجتمعات الرعوية حتى المجتمعات الصناعية المعاصرة.

لقد وجدت الأنثروبولوجيا الاقتصادية نفسها في مواجهة مع مواضيع أخرى تغطي مجالاتها أو تتعدى كثيراً على ميدانها. فابتداءً من الخمسينيات، أدخلت البنيوية الثقافية، والعلوم الانثوية والانثروبولوجيا البيئية والاقتصاد الإشكالية الأكثر عمومية لعلاقات المجتمعات مع بيئتها المادية والبيولوجية. نتجت عن ذلك إضاءة جديدة على أنماط اقتصاديات (صيد وقطف وزراعة واسعة...) كانت تتصف إلى ذلك اليوم ببساطة التقنيات وتنظيمها، وبحالة نقص مزمن. من جهة أخرى، نشأت دراسات عن موضوع المجتمعات الفلاحية، التي تتميز بعلاقاتها

العضوية والاقتصادية ، بل حتى الثقافية والسياسية مع مجتمع شمولي أو مسيطر - طبقات وفئات مدنية ، دولة ، عواصم رأسمالية . " (بونت، ٢٠١١، ١٥٧)

- النظم الاقتصادية

تزداد أهمية النظام الاقتصادي بمرور الوقت في أي مجتمع إنساني سواء كان بدائياً بسيطاً أو صناعياً حديثاً للوفاء بالمتطلبات المعيشية التي لا يمكن توفيرها إلا من خلاله، فإنتاج السلع والمواد المختلفة التي تحتاجها الجماعة هي ركن مهم في النظام الاقتصادي، والسكن والراحة والاطمئنان يوفرهما النظام الاقتصادي، وهذا الأخير متعدد الأنشطة فهو يشمل الإنتاج والتداول والتبادل والتوزيع والاستهلاك، وهذه جميعها إذا لم تتحقق بأسلوب عادل وصادق وأمين فسوف لن تحقق للإنسان ما يتمناه إذ ستشوبها الصراعات والمشاكل.

وعلى هذا الأساس فإن علماء الأنثروبولوجيا عندما يتناولون النظم الاقتصادية ببحوثهم بجميع جوانبها وتفرعاتها آنفاً ولكن جماعة سكانية بدراسة مقارنة، وقد تكون هذه الجماعة عشيرة أو قبيلة أو دولة أو مجتمعاً بأكمله يخضع لقيادة معينة، وبهذه الحالة لا يعد النظام الاقتصادي نظاماً مستقلاً إنما يعد جزءاً من النسق الاجتماعي العام، فيسعى الأنثروبولوجي على تحديد المتغيرات المتعلقة بالنظم الاقتصادية والتعرف على تفاعلها فيما بينها وتفاوتها من مجتمع لآخر، وتزداد الأهمية لذلك عند دراسة هذه النظم في المجتمعات البدائية والبسيطة.

لقد اكتشف العالم مالفينوسكي خلال دراساته لبعض المجتمعات ما قبل الاستعمارية (مجتمعات دون رأس) حتى السلطة فيها تعبر عن نفسها عبر لعبة أداء تبادلية بين الرئيس وبين أعضاء المجموعة الاجتماعية فوجد الزعماء يجمعون الثروات بشبكات من القرابة والعملاء ثم يستثمرونه بإقامة أعياد تنافسية تدبيرية تجعل مساعدة مؤيديهم تأخذ طابعاً رسمياً. (أوجيه، ٢٠٠٨، ٤٢).

إنّ النظم الاقتصادية هي الأساليب المستخدمة في إشباع حاجات الإنسان المادية وعلى الرغم من تنوع تلك الأساليب فإنها تتفق في الشكل العام الذي يتمثل في نشاط يجمع ثلاثة عناصر هي الموارد والأدوات ونشاط الإنسان، فالموارد الأولية الموجودة في البيئة لا تعد موارد إلا إذا استغلها الإنسان فالنفط في جزيرة العرب قبل مئة عام كانوا يتضورون جوعاً وهو مخزون تحت أقدامهم ولا يعرفون عنه شيئاً والذي يعرف لا يعلم كيف يستفيد منه.

- موضوعات النظم الاقتصادية

لا بدّ للأنثروبولوجي أن يوزع اهتماماته بعناية إذا أراد أن يحيط الموضوع الاقتصادي بشيء من الشمولية والدقة لكل الجوانب وعليه أن يعطي الموضوعات الآتية اهتماماً خاصاً:

١- بداية مقارنة النظم الاقتصادية الصغرى من المجتمعات المحلية المعزولة ذات التكنولوجيا البدائية في المجتمعات البسيطة إلى المجتمعات الزراعية التي تأثرت بالتصنيع وصولاً إلى اقتصاد المجتمعات الصناعية الكبرى.

٢- دراسة مكونات النسق الاقتصادي كأشكال ملكية الأرض وأساليب تنظيم الإنتاج وحركة الأيدي العاملة وتقسيم العمل والحراك المهني ونظام الالتزام ودائرة ومجالات التبادل ونظم وأشكال النفوذ ومستويات الاستهلاك ومستويات المعيشة وعلاقة توزيع الثروة بالمكانة الاجتماعية.

٣- دراسة عمليات النمو الاقتصادي سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وملاحظة تغطية عمليات الاستثمار والالتزام والتراكم واستخدام رأس المال الزراعي والإسهام بدارستهم في تشخيص معوقات التنمية في المجتمعات والنظم التقليدية، وهجرة العمالة. (أوجيه، ٤٢، ٢٠٠٨)

٤- دراسة تنوع الإنتاج في مجتمعات الصيد والرعي والجمع خاصة مجتمعات صيد السمك ودراسة التخصص في إنتاج بعض العناصر غير الغذائية.

٥- دراسة الأسواق والعمليات التجارية وعمليات التبادل والاستدانة والأسهم وتبادل النقود والادخار وكيفية استخدام رأس المال.

إن دراسات الأنثروبولوجي هذه للنظم الاقتصادية أثارت قضية علاقة الانثروبولوجي بالاقتصاد وعلاقة الاقتصادي بالمفاهيم الاجتماعية وتحليل السلوك الاقتصادي في المجتمعات البسيطة، وهنا يبرز رأي مفاده أن الاقتصادي لا يمكن أن يساعد الأنثروبولوجي طالما أن مجال كل منهما يختلف عن الآخر حيث تختلف اقتصاديات المجتمعات البدائية عن اقتصاديات المجتمعات المتقدمة، ويخالفه رأي آخر بالقول: إن

المفاهيم والمبادئ الاقتصادية تلك المطبقة في المجتمعات المتقدمة المعقدة يمكن تطبيقها على اقتصاديات المجتمعات الصغرى، وأمام هذين الرأيين يتوجب على الأنثروبولوجي أن يلم بالنظرية الاقتصادية عندما يريد تفسير ظاهرة ودراستها بكفاءة وأن يضع بالحسبان أنها قد لا تصلح لتفسير النظم الاقتصادية البدائية وبهذه الحالة يمكنه الاستفادة من الإرث الأنثروبولوجي حول مجتمعات متشابهة.

- طبيعة النظم الاقتصادية

تتسم النظم الاقتصادية في المجتمعات البدائية بالبساطة إذا قورنت بالمجتمعات المتقدمة المعقدة، ومن ناحية أخرى تختلف هذه النظم الاقتصادية فيما بينها من مجتمع بدائي إلى آخر، ولعل أبسط تلك النظم هو نظام جمع الطعام ويتلوه نظام الصيد وفي الأغلب هناك النظامان معاً مع تغلب أحدهما على الآخر. وقد استطاع الإنسان بعد فترة طويلة اكتشاف نوع آخر من النظم الاقتصادية ذي كيفية متميزة وهو نظام استئناس الحيوان من خلال نظام الرعي واستزراع النبات (البستنة) وعلى مختلف ما يميز المجتمعات البدائية من بساطة النظم الاقتصادية، إلا أن تلك الأنظمة الاقتصادية هي الأخرى رغم اشتراكها في صفة البساطة فقد ظلت مميزة فيما بينها، فمن نظام جمع الطعام، إلى نظام الصيد سواء البري أو البحري، وذلك حتى بدأ الإنسان في اكتشاف نظام آخر وهو نظام الزراعة، وما تلاه من ترويض الإنسان للحيوان وتسخيره إياه في مساعدته على أداء مهام معيشته المختلفة، ومنها بل

وأولها الطعام ، وإلى آخره . وفيما يلي عرض مختصر لهذه الأنظمة:
(وصفي، ١٩٧١، ١٣٥ - ١٣٨)

١ - نظام جمع الطعام:

عاشت هذه المجتمعات على جذور وبذور النباتات، وهي طعامهم الأساسي والوحيد حتى أطلق عليهم اسم (الحفارين) وسبب ذلك هو أن الحيوانات كانت نادراً جداً في أقاليمهم، وكانوا يستخدمون عصي مدببة الطرف في حفر الأرض بحثاً عن الطعام فيجمعونه بسلال بسيطة، وهو عبارة عن جذور وثمار وبذور في أغلبها بذور عباد شمس وجوز ولوز، كما كانوا يصطادون بعض الحشرات (كالجندب) ويأكلونه مشوياً، وكان إذا صادفهم حيوان وهذا نادر الحدوث كالغزال أو الماعز الجبلي فإنهم يهجمون عليه بوحشية، ويتخاطفون أشلاءه نيئة ويأكلونها.

ورغم كل هذه القساوة فإن طقوسهم الدينية حرمت عليهم أكل الكلاب والذئاب، لكن إذا اشتد بهم الجوع فإنهم لا يتورعون عن أكل لحم البشر ومن أشهر هذه القبائل التي تعيش هكذا نمط غذائي هم قبائل (اندمان) و(تسماتيا) و(سيمانج) في بولينزيا وقبائل (الأقزام) في إفريقيا وبعض قبائل الهنود الحمر (الشوشون).

٢ - نظام الصيد:

يعد أكثر النظم الاقتصادية انتشاراً في المجتمعات البدائية، ولا يمارس بمفرده وإنما تعتمد المجتمعات التي تأخذ به على وسائل أخرى للحصول على الطعام، وخاصة عندما يفشلون في الصيد، وأهم تلك الوسائل هي جمع الجذور والبذور والفاكهة والحشرات والبيض وأفراخ

الطيور، ويعد الصيد أقل بساطة من جمع الطعام وذلك لاختراع أدوات متعددة للصيد كالهراوة والحربة والنبلة والسهام والفخاخ والشراك والشباك والسدود والسنارة والبلطة والسكين وكذلك السموم التي تستخدم لقتل الفريسة، وقد يستخدم الإنسان الجوارح للصيد أو بعض الحيوانات كالحصان والجمال، كما استخدم وسائل الحيلة للتقرب من طريدته كالتخفي أو ارتداء جلود الحيوانات.

ويمارس الصيد بطقوس خاصة ومعتقدات مثلاً تقام صلاة الصيد وتفرض محرمات على جميع أفراد القبيلة لضمان نجاح حملة الصيد وتنتشر التعاويذ والطقوس السحرية وغير ذلك، ففي مجتمعات (الأسكيمو) مثلاً يحرم النوم والعمل أثناء خروج حملة صيد الحوت، وتتميز المجتمعات التي تعيش على الصيد بصغر حجمها وذلك لأن طبيعة تلك النظم الاقتصادية لا تسمح بتوفير كمية كبيرة من الطعام، وكذلك لاحتمال عودة الصيادين دون صيد، كما أن الصيد يحتاج إلى مجهود إنساني كبير نسبة إلى عائده. ومن مميزات النشاط الاقتصادي القائم على الصيد هو التشابه التام بين نشاط العائلة الاقتصادية والنشاط الاقتصادي في نطاق المجتمع المحلي ويلاحظ كذلك أن كل تلك المجتمعات البدائية تمثل وحدة إنتاجية ووحدة استهلاكية بنفس الوقت.

٣ - نظام البستنة:

استطاع الإنسان بعد شقاء وعناء لعصور طويلة معتمداً على الصيد والجمع أن يخترع نظاماً اقتصادياً أكثر وفرة واستقراراً وأقل جهداً ووقتاً هذا النظام هو استئناس النبات والحيوان وتحول الإنسان إلى

مزارع وراع، ومن الصعب تحديد أي النشاطين مارسه الإنسان قبل الثاني وذلك لأنهما لم يمارسا في بقعة واحدة من العالم فقد مورسا تدريجياً في مراكز تجمعات إنساني متعددة في العالم معدومة التواصل فيما بينها آنذاك، ويبدو أن كل منهما قد وصل إلى هذا الاختراع العظيم مستقلاً عن المراكز الأخرى.

لقد اختلف أسلوب استئناس النبات من قبل الإنسان، فالأسلوب الأول الذي يسمى "نظام البستنة"، وهو الذي لا يستخدم فيه المحراث. والأسلوب الثاني والذي يسمى "نظام الزراعة"، وهو الذي يستخدم فيه المحراث. ولا شك أن أسلوب الزراعة تمثل نظاماً اقتصادياً أكثر تركيباً وتقدماً من نظام البستنة. وتستعمل في البستنة أدوات يدوية مثل عصا الحفر والفأس، وهناك أعداد كبيرة من المحاصيل الناتجة عن البستنة كالقمح والذرة والبطاطا، وهذه المحاصيل تعتبر العناصر الأساسية في غذاء المجتمعات التي تعيش على ذلك النظام الاقتصادي.

٤ - نظام الرعي:

مارس الإنسان البدائي الرعي تكيفاً مع ظروفه ومع البيئة فالغابات يمكن أن تكون مضمراً للصيد وللزراعة لكن الصحارى والأراضي السهلة يمكن أن تكون مراعياً لقطعان المواشي والإبل وغيرها، يتركز نظام الرعي في آسيا وإفريقيا ويقل وجوده في الأمريكيتين.

ولا بد من الإشارة إلى أن عدد المجتمعات التي تعتمد على الرعي فقط أقل بكثير من المجتمعات التي تجمع بين الزراعة والرعي

وأن المجتمعات البدائية لا تستفيد من كل منافع الحيوانات التي ترعاها اقتصادياً، ولهذا يرى بعض الباحثين أن دوافع الإنسان إلى استئناس الحيوانات هي دوافع دينية وكونها حيوانات أليفة، وليس لاستثمار كل منافعها اقتصادياً.

ورغم أن نظام الرعي قد تكون مجتمعاته أكبر حجماً من مجتمعات الصيد والجمع إلا أنه يلزم الرعاة على الحركة والانتقال بحثاً عن الكلأ والماء، وقد ميز العلماء من خلال دراساتهم لخطوط حركة الرعاة أن هناك نوعين من الرحلات الرعوية، الأول يسمى (رحلات دائرية طويلة الأمد) وفيها ينتقل الرعاة من مكان لآخر سالكين طريقاً محدداً يتخذ شكل الدائرة، وهذا كان سائداً بين معظم قبائل البدو في شبه الجزيرة العربية. أما النوع الثاني فيسمى (رحلات موسمية) وتستغرق الرحلة الواحدة نحو عام، وهذه سائدة إلى الآن في شمال العراق، وتتسم القبائل الرعوية بتواضع وخفة ممتلكاتهم من العفش والمواد وتزداد اهتماماتهم بحيواناتهم أحياناً بما يقدمونها على أنفسهم عندما يتعرضون للمجاعات وفي السنين القاحلة من شدة حُبهم والتصاقهم بها.

وهناك نوع ثالث وهو رحلة (العزيب) وهذه تعني خروج أصحاب المواشي ممن يمتنون الزراعة والرعي سوياً في موسم الربيع بمواشيهم مع بعض من أفراد العائلة، والانتقال إلى المناطق المفتوحة ذات المراعي الوفيرة.

إنّ النظام الاقتصادي هو الأساس والأهم من بين النظم الأخرى الاجتماعية والحضارية والسياسية، لأنها ترتكز على مرتكزاته، ولو أنّ جميع النظم بعضها يساند مع بعضاً وأي خلل بأحدها يربك البقية.

إن النشاط الاقتصادي واحد من أهم جوانب السلوك الإنساني العام. ووحدة شخصية الإنسان تؤدي إلى انعكاس الأوضاع الاقتصادية في مختلف المجالات القانونية والسياسية والفكرية للمجتمع. ولهذا فقد عدّ "كارل ماركس" البنيان الاقتصادي للمجتمع الأساس الذي تستند إليه جميع البنى الفوقية من قانونية وسياسية واجتماعية.. حتى المعارضون لفكره لا ينكرون أن التطور الاقتصادي يمثل وجهاً من وجوه التطور في التاريخ لا بد له من أن ينسجم مع الوجوه الأخرى، ويسير معها في الاتجاه نفسه، وقد يسببها أو ينتج عنها. أي إنه قد سبقها، وقد يتبعها. وبذلك فإن تحليل المجتمع لا يمكن أن يكون تاماً إذا استبعد الجانب الاقتصادي من التحليل، كما أن دراسة الجانب الاقتصادي للمجتمع لا تكون كاملة إذا استبعدت الجوانب النفسية والسياسية والقانونية والاجتماعية من الدراسة أيضاً.



مراجع الفصل الخامس

- الاقتصادية ، (٢٠٠٧) الانترنتوبولوجيا الاقتصادية : ٣ اتجاهات أساسية لتحقيق الأرباح ، العدد ٤٨٤٥
<http://www.aleqt.com/2007>
- أوجيه، مارك وكولان، جان بول (٢٠٠٨) الانترنتوبولوجيا، ترجمة: جورجكتورة، دار الكتاب الجديد، بيروت.
- بونت، بيار وإيزار، ميشال (٢٠١١) معجم الانترنتوبولوجيا والانترنتوبولوجيا، ترجمة وإشراف:مصباح الصمد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت.
- وصفي، عاطف (١٩٧١) الانترنتوبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.
- خمسون سنة من البحث الانترنتوبولوجي (2012) Dahan-dahanarabland
<http://dahanarabland.wordpress.com//>



الفصل السادس

الأنثروبولوجيا السياسية

- مقدمة
- دلالة الأنثروبولوجيا السياسية
- تأسيس الأنثروبولوجيا السياسية
- المفهوم الحديث للأنثروبولوجيا السياسية
- مجالات تخصص الأنثروبولوجيا السياسية
 - ١- القرابة والسلطة السياسية
 - ٢- المقدس والسلطة السياسية
 - ٣- التدرج الاجتماعي والسلطة
- مناهج الأنثروبولوجيا السياسية وتياراتها
 - التكوينية
 - الوظيفية
 - التصنيفية أو النموذجية
 - الاصطلاحية
 - البنيوية
 - الدينامية
- مجتمع اللادولة



نتناول الأنثروبولوجيا السياسية بالدراسة أثر المتغيرات الاجتماعية والحضارية في تكوين بنية السلطة السياسية، وتطور أنظمة الحكم في المجتمع، فالنظم الاجتماعية والعناصر الحضارية من وجهة نظر هذا الميدان (متحولات)، وأمور السياسة وشؤونها عوامل تابعة تتأثر بالعوامل الاجتماعية وتتغير بتغيرها، وعلى هذا فإن أي فهم دقيق للنظم والمؤسسات السياسية يتطلب تحليلاً لمرتكزاتها الحضارية، ورصداً لعناصر التغير في المجتمع.

وتتصدى الأنثروبولوجيا السياسية لموضوعات كثيرة ومهمة، وتستخدم مفاهيم تحليلية تترابط بمنظومة العلوم الاجتماعية الأخرى، وبخاصة مفاهيم علوم الاجتماع والسياسة والتاريخ.

وإذا كانت مفاهيم (الطبقة) و(الكاريزما)، و(المكانة الاجتماعية) و(التماسك الاجتماعي) و(الدور) مركزية في فهم أسس النظام السياسي المعاصر، فإن مفاهيم (العصبية) و(النزاع) و(الوساطة) وسبل حل المنازعات بين الشعوب، و(المنافسة والحسد والشماتة) ركائز أساسية في ميدان الأنثروبولوجيا السياسية. والأنثروبولوجيا السياسية، التي تعد فرعاً حديثاً قياساً بالفروع الأخرى الأكثر قدماً، حيث لم تبرز الحاجة لهذا الفرع إلا في الأربعينيات من القرن الماضي وذلك على ضوء حاجة الإدارة الاستعمارية-تحديداً البريطانية- إلى معرفة كل ما يلزم حول الشعوب المستعمرة كي تتجح تلك الإدارة في حكم الشعوب المستعمرة، وتبعهم في ذلكالفرنسيون. واليوم أصبحت الأنثروبولوجيا السياسية متجاوزة فكرة دراسة المجتمعات والشعوب المستعمرة إلى دراسة الظواهر

السياسية والتنظيم السياسي والثقافة السياسية. وبالرغم من ذلك مازال يعد هذا الفرع أفقر فروع الأنثروبولوجيا.

لهذا أمكن القول: إن الأنثروبولوجيا السياسية علم لما هو سياسي، يهدف إلى دراسة الإنسان بوصفه كائناً سياسياً، منذ اللحظة التي يَنزَعُ فيها (بالطبع) إلى الاجتماع، وعلم يهدف إلى استكشاف الخصائص المشتركة بين التنظيمات السياسية في تنوعها التاريخي والجغرافي، وعلم يهدف إلى اكتشاف القوانين التي تتحكم في حركة الظاهرة السياسية وتغير نظم الحكم، بدلاً من البحث بصورة معيارية عن دولة المدينة الفاضلة، فإن الأنثروبولوجيا السياسية حاضرة بذورها الجينية في التاريخ لدى الفلاسفة والمفكرين الذين تأملوا الإنسان كائناً مزوداً بنزعة اجتماعية تنظيمية، أي بنزعة سياسية.

- دلالة الأنثروبولوجيا السياسية

الأنثروبولوجيا السياسية هي دراسة الجوانب الاجتماعية والسياسية للمجتمع وصلاتها مع قضايا أخرى مثل مسألة السلطة، ومصدرها، وأثرها في المجتمع. أيضاً تبحث في العلاقة بين الأفراد في المجتمع، وتوزيع السلطة، وتبحث في الطرق التي يستخدمها الأفراد في الحصول على السلطة ونوع ومدى سيطرة أولئك الذين يملكون السلطة على المجتمع. ودراسة الأنثروبولوجيا السياسية تشمل أثر السلطة والقيادة، وأثر البيروقراطية في المجتمعات المعقدة والاستعمار، وحالة ما بعد الاستعمار والمقارنة بين النظم القانونية. والتساؤل حول مصدر السلطة ما زال موضوع الأنثروبولوجيا

السياسية، ينطوي على هذا التساؤل عن دراسة الطاقة الناشئة من المؤسسات الاجتماعية مثل: الهياكل الدينية، والقرابة، والمؤسسات الاقتصادية، والنظام السياسي. (Hann,2010,1)

إذا الأنثروبولوجيا السياسية هي طريقة معرفة الأشكال السياسية المتعددة، وهي أداة للكشف عنها، ولدراسة مختلف المؤسسات والممارسات الضامنة لحكم البشر، ولنظم التفكير والرموز التي تكونها.

تظهر بعد ذلك تأملات "شارل دي مونتسكيو" (١٦٨٩-١٧٥٥) التي تجعله من مؤسسي نظرية الحتمية الجغرافية بادعائه أن السيماء الأخلاقية للشعوب وطابع قوانينها وأشكال حكوماتها يحددها المناخ والتربة ومساحة الإقليم. في كل عمل "مونتسكيو" تنتشر فكرة أن القوانين تُولف نظاماً، و"ثمة أشياء عديدة تحكم الناس: المناخ والدين والقوانين والمبادئ الأساسية للحكومة وأمثلة الأشياء الماضية والطبائع والآداب". قد تبدو اللائحة للوهلة الأولى مجرد تعداد، لكن "مونتسكيو" يدخل معياراً يسمح بتمييز الطريقة التي تؤثر فيها هذه الضغوط المختلفة على الأنواع المتباينة للقوانين.

وكلما كان التمايز في المجتمع أقل، كلما كان الأساس "التشكلي" (المناخ والبيئة والبنية الديموغرافية) أكثر إلزاماً. كلما كان الناس أكثر "تمدناً" كلما ازداد استناد قانونية النظام الاجتماعي على القوانين والطبائع والآداب.

ويجمع "مونتسكيو" الطبائع والآداب التي يضعها معاً في مواجهة القوانين التي هي "أعراف أقرها المشرع". إن الشعوب الحرة هي التي يحكمها القانون، في حين أن البلدان التي تسيطر فيها الطبائع والآداب تكون عرضة للاستبداد والطغيان.

ويعتبر "مونتسكيو" مؤسس لمشروع علمي حول وظائف الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، كما حدد نماذج المجتمعات حسب أنماط الحكم وقد صنف في كتابة الحكومات إلى ثلاثة أنماط رئيسة تختلف كل منها عن الأخرى بحسب طبيعتها ومبدأها، وهي: النظام الجمهوري الذي يصلح حسب رأيه لدول المدن، والنظام الملكي الأنسب لأوروبا، والنظام الدكتاتوري الاستبدادي الذي يناسب الإمبراطوريات الكبيرة.

وعن علاقة الأنثروبولوجيا بالسياسة، نجد أن الأنثروبولوجيا تدرس الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وميزت المجتمعات والحضارات بسماتها، كما أنها تأخذ بالاعتبار المجتمعات البدائية قبل تشكل الدولة أي حيث لا توجد سلطة سياسية مركزية، وكذلك تتناول المجتمعات المعاصرة التي تتبدى فيها الدولة بأشكال مختلفة. حيث تتعرض بالدراسة للدولة وتكوينها ومراحلها.

ومن تعريفات الأنثروبولوجيا السياسية حسب الأهداف التي تحققها: (بالاندييه، ١٩٩٠، ١٩)

- تحديد ما هو سياسي دون ربط السياسة بالمجتمعات المسماة تاريخية فقط ولا بوجود جهاز للدولة.
- توضيح صيرورات التشكل والتحول للنظم السياسية وبما يوازي بحوث التاريخ.
- دراسة مقارنة تضبط التعابير المختلفة للواقع السياسي ليس بحدود تاريخ أوروبا فقط، ولكن في كل اتساعه التاريخي والجغرافي.

- تأسيس الأنثروبولوجيا السياسية

منذ العصر اليوناني والأفكار السياسية تبرز للوجود وتزايد في تنوعها، ومنذ زمن بعيد قال أرسطو بأن الإنسان سياسي بطبعه. وكشفت أبحاث الأنثروبولوجيين عن تنوع الأشكال السياسية "البدائية" مما أسهم في كشف الحقل السياسي وتحديده حيث لا وجود لمجتمع بدون "حكومة".

"و قد نبه "فرنسيس بيكون" إلى الأهمية الكبرى التي تكتسبها الشهادات المتعلقة بالمجتمعات المختلفة وأنظمتها السياسية، خصوصا منها المجتمعات "الوحشية" بوصفها أوساطا تعرف هي الأخرى أنواعا معينة من التنظيمات السياسية. وفي كتابه الأمير، ميّز "مكيافيلي" بين نوعين من الدول: الوراثة والسلطانية، واضعا بذلك تصنيفا أوليا للدول حسب طرق الحكم السائد فيها.

ويؤكد "ماكس فيبر" على أسبقية السياسة على الدولة. فالسياسة ليست كل شيء لكنها في كل شيء. وهناك من يقول بأن نطاق السياسي يبدأ حيث

ينتهي نطاق القرابة. وعموماً فإن السياسي كان دوماً حاضراً، وتميز ميدان السياسي بالوظائف المؤداة أكثر منه بطرق التنظيم؛ بمعنى طرق تنظيم حكم المجتمعات البشرية وأنواع العمل المساعدة في إدارة الشؤون العامة، والاستراتيجيات الناجمة عن تنافس الأفراد والجماعات. والمعرفة السياسية والاستدلال سواء من حيث طرق التنظيم المكاني أو الاستدلال بالوظائف وطرق العمل السياسي والخصائص الشكلية.

ووضع "مونتيكيو" مقولة "الاستبداد الشرقي"، مبنياً، في أثناء تمييزه المجتمعات التي تحددها مقولة الاستبداد، التقاليد السياسية التي تجعل هذه المجتمعات مختلفة عن أوروبا، وحائزا على مكانته بين المفكرين الأوائل الذين وضعوا الأسس القاعدية للأنثروبولوجيا السياسية (Balandie, 1984,10).

"إذا كانت الأنثروبولوجيا السياسية هي العلم المقارن لطرائق التنظيم السياسي، فلا نستطيع أن نحدد له تاريخ ميلاد. فمن "أرسطو" إلى "مونتيكيو"، قام تصنيف ومقارنة أشكال أنظمة الحكم بتغذية شريحة واسعة من الأدب. "إن هذا الخطاب الذي عرف الإنسان بأنه "حيوان سياسي" قد أرسى أسس الفلسفة السياسية علماً سياسياً حديثاً، وهذا هو الميدان الذي تطورت فيه أيضاً الأنثروبولوجيا السياسية، إلا أن هذه العبارة تدل اليوم على حقل أبحاث محدد ناجم عن تحقيقات إثنوجرافية أجريت طوال القرن العشرين.

ولكن توسيع معارفنا التي أصبحت تشمل المجتمعات القديمة لم يسمح بتحقيق فهم أفضل للشأن السياسي. لقد أدت أولى الاكتشافات السياسية لعلماء الأنثروبولوجيا إلى إيضاح خصائص كانت إلى ذلك الحين مجهولة نوعا ما عن المجتمعات المسماة "بدائية".

وكان مورغان (١٨٧٧) قد أظهر، إثر دراسة تناولت عدة مجتمعات، أن صلات القرابة تؤلف البنية الأساسية للشأن الاجتماعي، وأن التمييز الذي تقيمه بين المجتمعات السلافية ومجتمعات الدولة، وما ينم عن وجهة نظر نشوئية، قد أثر بشدة على التطورات اللاحقة في الأنثروبولوجيا. ولقد كان لذلك تأثير إيجابي هو أنه حض الباحثين على مضاعفة تحقيقاتهم عن أشكال القرابة، ولكنهم اكتفوا بأن يختاروا من المجتمعات التي أجريت عليها التحقيقات ما كان يمكن أن يبدو مسببا أو مخططا للهيكليات السياسية بالمعنى العصري للكلمة. إن عبارة "مجتمع بلا دولة" تلخص جيدا هذه الإشكالية التي استمرت حتى الثلاثينيات. والسؤال عن أصل الدولة يحرك الأذهان : فنحن نهتم على نحو خاص بإكمال الحلقة المفرغة بين السياسة الغيابية (المجتمعات البدائية) والسياسة بالإفراط (الدولة البيروقراطية المعاصرة).

لقد أظهر إيفانز-بريتشارد (١٩٤٠) عبر تحليله لتنظيم مجتمع النوير في السودان، انه في غياب كل شكل مؤسسي للحكم تكون العلاقات بين الجماعات المناطقية خاضعة لمبدأ التعارض المتكامل: في حالة النزاع، تلتحم الفروع المعزولة لتؤلف وحدة أكبر تكون معادلة لقوة

الخصم. كما يشوب الحياة السياسية حالة من التعاقب ما بين التحالفات والمواجهات، والانشقاق والتلاحم.

بفضل هذه الآلية، تصبح وحدة المجتمع الكلي محفوظة، أي التكافؤ ما بين الجماعات القائمة من دون إلحاح تراتبي متمتع بسلطة إكراه. إن "الفوضى المنظمة" لدى النوير ليست حالة استثنائية، إذ توجد مجتمعات أخرى ذات صفات مماثلة. في كتاب خاص بالأنظمة السياسية الإفريقية قام "إيفانز" و"قورتنس" (١٩٤٠) بوضع جدول مقارنة بأشكال الأنظمة السياسية أدرجا فيه إلى جانب مجتمعات الدولة فئة المجتمعات المفرعة. لقد أدخلوا جماعات لم يتم تنظيمها من خلال تنظيم إداري أو قانوني أو عسكري وإنما من خلال جملة علاقات بين الفروع تعرف بالمحلية والبنوة.

تدل هذه الدراسة النموذجية في الواقع على ولادة الأنثروبولوجيا السياسية. إذ تزايدت منذ ذلك الوقت الدراسات المتخصصة لسياسة المجتمعات المسماة "مقطوعة الرأس". وتدرجيا فرضت وجهة نظر جديدة همها تخطي المظاهر المؤسسية للتركيز على الشأن السياسي المعتبر كنظام ثانوي داخل نظام اجتماعي كلي، كما هو حال القرابة أو الدين". (بونت، ٢٠١١، ٥٦١)

إن الأنثروبولوجيا السياسية بمفهومها الحديث لم تتأكد كتخصص إلا في الأربعينيات من هذا القرن، على يد الأنثروبولوجيين الوظيفيين الإنجليز الذين حددوا لها هدفا ليس هو تحليل ظاهرة الدولة فقط، بل هو دراسة التنظيمات السياسية في تنوعها التاريخي والجغرافي، واكتشاف

المؤسسات المختلفة التي تضمن الحكم ونظم الأفكار والرموز التي ترسي قواعد السلطة السياسية، وتمنحها الشرعية، فإن البذور الجنينية لهذا التخصص تضرب بجذورها بعيدا في تاريخ الفكر الغربي. (Riviere, 1999, 96)

لقد جعل النظام السياسي جزءا من النظام الاجتماعي يعود له الفضل في تفعيل الكلية التي يتسم بها هذا الأخير ضمن ظروف متوازنة داخليا وخارجيا. إن هم الحفاظ على وحدة الجماعة بوجه التهديدات الخارجية المحتملة يجعل من النظام السياسي صاحب سلطة التحكم باستخدام القوة. (بونت، ٢٠١١، ٥٥٨)

إذا الأنثروبولوجيا السياسية تهتم بوصف الأنظمة وتحليلها على مستوى البنى والعمليات والتمثيل والتفاعل خاصة في المجتمعات القبلية التقليدية، ووفقا لهذا فإن ظهورها تخصصا مستقلا يعد حدثا جديدا على الرغم من إن بداياتها ترسخت في إجراء الدراسات على المجتمعات القبلية أما اليوم فلا توجد حدود لميادينها البحثية.

- المفهوم الحديث للأنثروبولوجيا السياسية

حسب "كلود ريفيار" فإن الأنثروبولوجيا السياسية لم تظهر تخصصاً إلا مؤخراً، في الأربعينيات في أحضان الأثنولوجيا الوظيفية البريطانية، متوخية ليس فقط تحليل الدول، بل التنوع التاريخي والجغرافي للأنظمة السياسية، واكتشاف مختلف المؤسسات التي تضمن

الحكم، وكذلك أنظمة الأفكار والرموز التي تقوم عليها السلطة السياسية وتستمد منها شرعيتها.

"وحتى عام (١٩٥٠) كان تركيز الأنثروبولوجيا السياسية على السياسة في المجتمعات غير الغربية، مع التركيز على نطاق صغير من هيئات اجتماعية محلية وإقليمية. في البداية ركزت الدراسات على مسائل السلطة والإكراه والنظام والاستقرار. وكان النقاش حول وجود السياسة أو السلطة في المجتمعات غير الحكومية حيث تناولت بالدراسة مسائل كالقراية، والعرف، والعقد." (Forte, 2013, 1)

وحسب "جورج بلاندييه"، فإن الأنثروبولوجيا السياسية تحدد ميدان دراستها في إطار الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الأنثروبولوجيا. وتركز اهتمامها على وصف وتحليل الأنظمة السياسية (البنىات، الصيرورات والتمثلات) الخاصة بالمجتمعات المنظور إليها على أنها بدائية أو تقليدية، وتظهر الأنثروبولوجيا السياسية حسب نفس الكاتب على شكل مادة علمية تتفحص المجتمعات "القديمة" حيث الدولة غير مكونة بوضوح والمجتمعات حيث الدولة قائمة وذات أشكال متنوعة جدا، متوخية معرفة الأشكال الأولية للدولة وأشكال تكونها. كما تهتم الأنثروبولوجيا السياسية أيضا بالمجتمعات المجزأة المفتقرة إلى سلطة سياسية مركزية والتي هي موضوع جدال قديم ومتجدد باستمرار. (Balandier, 1984, 16- 17)

وإذا كانت الأنثروبولوجيا العامة تشدد على ضرورة الشمول والربط بين العلوم المختلفة، وتركز اهتمامها على كائن واحد، الإنسان، محاولة فهم جميع الظواهر التي تؤثر فيه، في حين تركز العلوم الأخرى اهتمامها على أنواع محدودة من الظواهر، فإن الأنثروبولوجيا السياسية التي يتحدد ميدانها ضمن الأنثروبولوجيا العامة، تركز على الإنسان كائناً سياسياً.

نفهم من ذلك أن الأنثروبولوجيا السياسية تركز اهتمامها في إطار الأنثروبولوجيا العامة على أنظمة الحكم، والمؤسسات التي تقوم عليها السلطة السياسية، وتستمد منها شرعيتها، فتدرس بنيتها وآلياتها والتمثيلات التي يحملها الأفراد عنها، خصوصاً في المجتمعات التقليدية المجزأة حيث السلطة السياسية غير مركزة أو في المجتمعات التي تأخذ فيها الدولة أشكالاً متنوعة، وبصورة عامة تشدد الأنثروبولوجيا السياسية على الإنسان بوصفه كائناً سياسياً.. منتجاً للمؤسسات السياسية ولأنظمة الحكم وللأفكار والرموز التي تؤسس القاعدة للسلطة السياسية وتجعلها مقبولة من طرف المجتمع. كما تتوخى دراسة الخصائص المشتركة بين جميع التنظيمات السياسية في تنوعها التاريخي والجغرافي.

- مجالات تخصص الأنثروبولوجيا السياسية

١- القرابة والسلطة السياسية:

يرى العديد من المؤلفين أن نظام القرابة يتنافى نظرياً والنظام السياسي. وحسب "مورغان": ينظم الأول وضع المجتمع، وينظم الثاني

وضع الدولة، ويتصدى الأول لبنى المعاملة بالمثل والثاني لبنى التبعية. وفي الحالتين فإن الثنائية واضحة. وتظهر أيضا في النظرية الماركسية حيث ينشأ مجتمع الطبقات والدولة من جراء ذوبان الجماعات البدائية، وحيث ينبثق السياسي باختفاء روابط الدم الشخصية . (بالاندييه ١٩٩٠، ٧١)

وتحتل القرابة مكانا مركزيا في دراسات الأنثروبولوجيا السياسية، وهو مكان يفرضه الإمكان الواقعي للمجتمعات التي هي ميادين بحث أنثروبولوجية. فالمواضيع التقليدية للبحوث الأنثروبولوجية مجتمعات تنظم حول القرابة، وتقيم مؤسساتها على أساسها وتجعلها مصدرا لكل السلطات بما فيها السلطة السياسية. في هذه المجتمعات يترك مفهوم الوطن مكانه لمفهوم النسب، حيث يدين الفرد هنا لقبيلته التي هي حسيلة النسب أو الأنساب وحيث تعلو العلاقات القرابية فوق كل علاقة. لذلك فإن الحقل السياسي، وإن كان يتحدد بالإقليم والقرابة معا، إلا أن هذه الأخيرة تحتل مكان الصدارة. وبخصوص السلطة السياسية فإن الارتقاء إلى مراكز القرار، لا بد في المترشح له من نسب صريح إلى الجماعة، وانتماء إلى قرابة قوية بملكيتها وأفرادها وتحالفاتها وولاءاتها.

إن القرابة تقوم مقام العامل المحدد في تعيين الحكام، كما هو معلوم، إذ لا أشياء لمن لا قرابة له. "و معلوم أيضا إلى أي حد يخدم الزواج (الذي هو توسيع لنطاق القرابة) استراتيجيا المصالح السياسية

للحكام سواء أُتعلق الأمر بفرانسوا الأول، أو لويس الرابع عشر أو الملوك الزندية السودانية أو زعماء كاليدونيا الجديدة.

ولا غرابة لدى من يعلم هذا الأثر الذي تقوم به القرابة، أن يؤدي تلاشي عرى القرابة وضعفها إلى زوال السلطة السياسية التي قامت على أساسها، وظهور سلطة جديدة تدين بقيامها لقرابة قوية بتماسك أفرادها وجاهلية للتحالفات والولاءات بسبب هذا التماسك.

و لا تستمد القرابة قوتها وتكسب لصالحها الأتباع بكثرة عددها وتماسك أفرادها فحسب، بل تستمد ذلك من ملكيتها الاقتصادية، إذ لا حسب لمن لا ملكية له، وإمكانية الملكية في المجتمعات التقليدية يمنحها النسب الصريح، الذي يكون جديرا بالأرض ويتكافل الجماعة، مما يؤهل الملكية للتكاثر، ويجعل ممكنا خدمة الجماعة، الأمر الذي يجعل تكاثر الأموال سببا في تكاثر الأشياء ومن ثم عاملا من عوامل الحصول على السلطة السياسية.

٢- المقدس والسلطة السياسية:

مثلما أن هناك تداخلا بين القرابة والسلطة السياسية، فإن هناك تداخلا بين هذه الأخيرة وبين المقدس دينيا كان أو سحريا. وليست الوحدة التي تؤلف بين رموز المقدس والسلطة إلا تعبيراً عن العلاقة التي كانت موجودة دائما بينهما والتي بعيدا عن أن يقطعها التاريخ لم يزدنها إلا امتدادا. ولا شك أن البدايات الأولى للعلاقة بين السلطة

والمقدس قد رسمها زمن انبثاق الملك عن السحر والدين. والأسطورة التي تؤكد تبعية البشر المزدوجة للآلهة والملوك قد أثرت تأثيراً رئيسياً في تحديد أطر هذه العلاقة.

ن الطبيعة الدينية تسجل وترتبط بالأنماط الاجتماعية التاريخية في علاقتها بالإطار الحضري وطبيعة نموها، إذن في هذا المعنى بإمكاننا تقديم فكرة عن المجتمعات الأكثر تدنياً أو الأقل تدنياً عن غيرها، ومن الجلي أن النظام الديني يمثل إحدى أبنية أو أنساق الوعي البشري "فالإنسان لم يضح سياسياً إلا لكونه دينياً"، وبذا يشكل الدين عنصراً في وحدة الجماعة، فهو مرتبط بالهيكل الاجتماعي والتنظيم السياسي، ونشير في تاريخ بداية الدين أن الدين لا يمكن بالفعل أن يغمر كل الحياة، "فمن الضروري التمييز بين الدين والتاريخ الديني" (abdollah, 1994, 152-153) وفي هذا الإطار يمكن القول بأن النيوقراطية تعد الفعل الأول لاستعادة السياسة للدين بتقمص السياسي للدين.

وواقع الحال، فإننا إذا توغلنا في التاريخ ووقفنا على النظام السومري أو البابلي أو الفرعوني تكشف لنا اللبس بين السلطة السياسية والدينية. ذلك أن الملوك هنا يردون مصدر سلطتهم إلى الحق الإلهي ويحكمون بوصفهم تجسماً للإرادة الإلهية. وفي المجتمعات المتدنية بديانات سماوية تستمد السلطة السياسية شرعيتها من الكنيس أو الكنيسة أو يكون الخليفة إماماً.

أما في المجتمعات القبلية حيث تسيطر عبادة الأسلاف الأموات، فإن الزعيم السياسي هو أفضل مجسم لهمزة الوصل بين أرواح الأجداد وبين سلالة الأحياء، بوصفه الأكثر تمثيلاً للقيم النهائية التي تحملها سلالة الأموات. ولا شك في مثل هذا النظام أن التداخل بين السياسي والمقدس قوي والعلاقة أساسية.

وتبدو السلطة السياسية في المجتمعات التقليدية فوق طبيعية، لأنها مراقبة من طرف الأسلاف الأموات، والذين يملكون سلطة العقاب، ويلحقونها بمن يخرج عن قواعد النظام التي رسموها، وعن القيم التي سنوها لتبقى يتناقلها جيل عن جيل بحرص من الزعيم الممسك بزمام السلطة السياسية. ويبدو صاحب السلطة الذي هو كثيراً ما يشغل وظائف دينية مزوداً بقدرات سحرية. فلا يترك بذلك مجالاً للساحر الذي قد يضعف السلطة السياسية - الدينية بسلطته السحرية باستقطابه نصره الجماعة التي بسحره يحقق لها الإشباع المادي والمعنوي ويفتح لتوقعاتها مجالات أوسع مما وعدتها به السلطة السياسية الدينية.

إن العلاقة بين مختلف مستويات الوجود الطبيعي والكوني والبشري والفوق-الطبيعي، هي نفسها التي يستوجب على السلطة السياسية تجليتها بوصف الحاكم كائناً يضمن بوجوده إعادة إنتاج نظام الكون مأخوذاً بهذه الشمولية. فالملك الإله في المجتمعات البدائية تكون به خصوبة الأرض وتكاثر القطيع، وبه يكون تحقيق إرادة الله فيعاقب الفوضى بوصفه المؤتمن من الله على القوة الإلزامية، إنه يملك سلطة الأمر والنهي، وله بذلك اليد الطولي على حركية الكون وحركية المجتمع.

إن المقدس في المجتمعات التقليدية موضوع الأنثروبولوجيا السياسية يقوم بالأسطورة مقام المقوي للبنى السلطوية، وذلك بمخاطبة التاريخ لمنحها تفسيراً وبمخاطبة الأخلاق لمنحها تسويماً.

وعموماً يظهر أثر المقدس الديني، بأشكال ثلاثة، فالدين:

- إما أنه يشكل القاعدة التي تقوم عليها مباشرة السلطة السياسية بوصفها مصدرها وهو ما يتجلى في الأنظمة الثيوقراطية.

- أو أنه يستخدم لتسوية شرعية السلطة السياسية من طرف النخبة الحاكمة.

- أو أنه يستخدم لبناء أنساق ذهنية ومعتقدات وتقاليد يتسلح بها الطامحون إلى الوصول إلى السلطة السياسية.

ولا يمكن إنكار تداخل المقدس والسياسي، وهو تداخل بقي ظاهراً في المجتمعات الحديثة المعلمنة التي لم تكن السلطة فيها أبداً خالية من محتواها الديني الذي يبقى حاضراً، مختصراً، ومكتوماً. وتحلل فلسفة "ماركس" السياسية طبيعة عظمة الدولة، وتكشف التدين المفرط الذي يغمرهما. ويرى "ماركس" أن سلطتي الدولة والدين هما في جوهرهما من طبيعة متشابهة، حتى عندما انفصلت الدولة عن الكنيسة وحاربتهما. ويقوم هذا التشابه الجوهرى في الواقع على أساس وقوع الدولة على مستوى أعلى من الحياة الواقعية في دائرة يوحى بعدها ببعده

الإله أو الآلهة. وهي تنتصر على المجتمع المدني على طريقة انتصار الدين على العالم الدنيوي" (بالاندييه، ١٩٩٠، ١٢٨).

٣- التدرج الاجتماعي والسلطة:

إن التدرج الاجتماعي من الظواهر المهمة التي لفتت أنظار الفلاسفة وعلماء النظرية الاجتماعية عبر التاريخ، إلا أنه لمتخضع للدراسة النقدية والتحليل إلا بنمو العلوم الاجتماعية الحديثة. (مور، ٢٢٧، ١٩٨٧). وهنا يقول الكاتب البريطاني (جورج أرويل، ١٩٥٤) إنه توجد في كل المجتمعات ثلاثة أنواع من المصادر الاجتماعية ذات القيمة هي: ١- السلطة. ٢- الهيبة. ٣- الملكية ولا تتوزع هذه المصادر توزيعاً متساوياً بين الأفراد أو بين الجماعات، أو في أي مجتمع من المجتمعات، وينشأ التدرج الاجتماعي عندما يكون التمييز بين الأفراد والجماعات هو الأساس في توزيع هذه المصادر القليلة (هيس، ١٩٨٩، ٢٦٦).

كمعاد "أليكسانكلا" (١٩٧٧) أن علم الاجتماع لم يشهد خلال منتصف القرن العشرين مشكلة لفتت الأنظار وأثارت كثيراً من الخلط كمسألة التدرج الاجتماعي كما أشار إلى أن ترتيب الأفراد في المجتمع يعتمد على اتجاهين أساسيين طبقاً للمستويات الاجتماعية:

يقوم الاتجاه الأول على عدد من المعايير الموضوعية، كالدخل والممتلكات، والتعليم، والقوة التي يمتلكها الفرد .

أما الاتجاه الثاني فيقوم على عدد من المعايير الذاتية أو النفسية، كالمشاعر التي يحملها الفرد للوضع الذي ينتمي إليه، أو الآراء التي لدى الآخرين نحو الموقع الذي يحتله شخص معين. (انكلر، ١٩٧٧، ١٦٠)

فالسطة الساسفة تنظم السطرة الشرعة والسبعة؁ وتخلق تدرجاً خاصا بها. وهف تعبر رسمفا على نحو خاص عن تفاوت أكثر أصالة؁ إنه : تفاوت بقفمة التدرج الاسماعف ونظام الطبقات الاسماعفة بفن الأفراد والجماعات. إن طرفة تملفر العناصر الاسماعفة ومختلف المراتب الفف تنفمف إليها وهفئة العمل الساسف هف ظواهر وثفقة الترابط. وتفرض هفه العلاقة نفسها واقعاً توضفها الصفرورة الفارفخفة للمفتمعات الساسفة- وكضرورة منطقفة وبذلك تحصل السطة عن لا تماثلات مؤثرة فف العلاقات الاسماعفة؁ بفنما تخلق هفه العلاقات الفرق التبافنف الضرورف لنشاط المفتمع . (بالانففة؁ ١٩٩٠؁ ١٠٣)

إن كل المفتمعات مفعافرة وبدرجات مختلفة؁ وبشحنها الفارفخ بمضامفن فففة دون إلغاء القفمة؁ بضاعف تمافز الوظائف عفف الجماعات الفف تفهض بها أو يفرض على مجموعة واحدة الظهور بأشكال شفى تبعا للمواقف. لا فمكن لهفه العناصر المختلفة أن تتوافق إلا إذا كانت مرتبة بالنسبة لبعضها البعض. وتوحدها الساسة فارضة ترتفبا ما وقد أمكن القول: إنها القوة المرتبة بامفياز. بالاختصار لا مفتمع دون سلطة ساسفة؁ ولا دون طبقات ودون علاقات مفعافوة قائمة بفن الأفراد والجماعات الاسماعفة. لا فجب على الانفروبولوجفا الساسفة أن تفكر أو تفمل الواقع؁ إن مهمتها هف على العكس إظهار الأشكال الخاصة الفف تفخذها السلطة والتفافات الفف تففف إليها فف إطار المفتمعات الغربفة.

كما تطول هذه المهمة المجتمعات التي تتصرف بحد أدنى من الحكم، أو التي لا يظهر فيها إلا على نحو ظرفي. فالسلطة والنفوذ والاعتبار تحصل فيها بشروط معروفة على نحو أفضل الآن مثل صلة الأجداد وحيازة الأرض والثروات المادية ومراقبة الأشخاص الذين يمكن مقابلتهم بالأعداء الخارجيين واستعمال الرموز وكتاب الطقوس. وتتطوي هذه الممارسات على الخصومة والمنافسة والنزاع. وتضم هذه المجتمعات مراتب اجتماعية أولية متوحدة فيما بينها بجدلية تعلن عن "الأشكال الأولية لصراع الطبقات" في المجتمعات الأكثر تعقيدا التي تحكمها الدولة البدائية. (بالاندي، ١٩٩٠، ١٠٤)

- مناهج الأنثروبولوجيا السياسية وتياراتها

الأنثروبولوجيا السياسية (Political Anthropology) هو ميدان مرتبط بقوة بالأنثروبولوجيا الاجتماعية. وهو عمل يتعلق بالوصف والتحليل للنظم السياسية من حيث بنيانه، وسيرورته، وأشكاله وإشكالاته، وهو من أحدث العلوم، وأخذ بتوسع بسرعة، ويبحث في الأشكال السياسية بمختلف خصائصها. سواء كانت بدائية بسيطة أم مدنية معقدة ومركبة. وبناءً على التوسع الكبير في هذا الميدان تعددت التيارات الفكرية في تفسير مفهوم الأنثروبولوجيا السياسية.

تتميز هذه المناهج أو التيارات بأدوات معينة، والمسائل التي ناقشتها، ومن هذه المناهج، ومن أشهر هذه التيارات :

١- التكوينية:

إنه الاتجاه الأول في تاريخ الأنثروبولوجيا السياسية، وهو مفهوم جدلي لتاريخ المجتمعات. ويتعلق بالدراسات الطويلة لنفس المسائل الأصول وعمليات التطور التي حدثت في أساليب الحكم. "ويطرح على نفسه مسائل المنشأ والتطور الطويل الأمد: الأصل السحري والديني للملكية، تحول المجتمعات المبنية على القرابة إلى مجتمعات سياسية، إلخ....

٢- الوظائف:

اتجاه فكري يدرس المؤسسات السياسية القائمة وما تقوم به من وظائف وأعمال ويمكن التفريق بين نوعين من المؤسسات الاجتماعية السياسية، والتي تقدم وظائف محددة :

- وظائف تساند النظام الاجتماعي الداخلي

- وظائف تضمن الأمن والدفاع عن الوحدة السياسية.

أيتحدد هوية المؤسسات السياسية في المجتمعات المسماة بدائية انطلاقاً من الوظائف المعمول بها. كما تهتم بالنظم والأنساق اعتماداً على العلاقات السياسية. وترتكز على عنصرين أساسيين الانتظام الاجتماعي والتعاون الداخلي من أجل ضمان الوحدة السياسية.

٣- التصنيفية أو النموذجية:

هي امتداد للوظيفية، تحدد نماذج النظم السياسية ويصنفها لتحديد تنظيم الحياة السياسية، لأن تنظيم السلطة السياسية معقد خاصة في المجتمعات المجزأة والمجتمعات الدولية الممركزة. وهذا التيار يبحث في الانتروبولوجيا السياسية على اعتبار أنها مفهوم ثنائي البناء مهما يكن بسيطاً أو بدائياً. فمن الثابت مهما كان الحكم بدائياً لا بد من وجود من يعارضه ونوعية المعارضة تكون من طبيعة بدائية، كذلك وتتقدم نماذج السياسة والحكم على هذا المنوال، فتمتد سلسلة هذه النماذج من نماذج ذات حكم الحد الأدنى وغير الواضحة التكوين والحدود إلى نماذج الدولة الواضحة التكوين. ويتقدم هذه العملية من نموذج إلى آخر تحدث تغيرات في السلطة السياسية، وتخرج من بدائيتها أكثر تعقيداً. وبذلك ليس هناك من نموذج محدد يمكن اتباعه أو التعويل عليه. بل هناك نماذج متعددة ذات خصائص متغيرة وغير ثابتة.

٤- الاصطلاحية:

إن كشفاً أولياً للظواهر والأنظمة السياسية وتصنيفها يؤيدان بالضرورة إلى محاولة إعداد فئات أساسية. وتلك مهمة صعبة تتطلب تحديداً دقيقاً للحقل السياسي. (بالاندييه، ١٩٩٠، ٢٩) إذا هناك ضرورة لتحديد مجالات الحقل السياسي. حيث يؤكد سميث أن عدة قضايا لم تحل بعد. إذن لا بد من الاقتحام من أجل ضبط منهجي للمقولات والنظريات السياسية المحلية.

وتتولى مهمة تفسير المصطلحات، وهذا وتحدث عنه "أستون" في دراسته حول الانثروبولوجيا السياسية أكد أن مادة هذا العلم تبقى غير محددة ذلك لأن عدة مسائل مفهومية لم تحل.

إن إحدى المبادرات الأكثر انطلاقا في هذا المجال هي مبادرة م.ج.سميث، التي تحاول وبجرأة وضع المفاهيم الأساسية مثل: عمل سياسي، منافسة، سلطة، الحكم، إدارة، وظيفة، إلخ... وهي مبادرة نافعة بنتائجها خصوصا وأنها تتناول العمل السياسي بطريقة تحليلية، وذلك من أجل الكشف عن الناحية المشتركة لكل الأنظمة. رغم ذلك يبقى وضع معجم المفاهيم تاما وذلك بدراسة منهجية للمقولات والنظريات السياسية المحلية، سواء كانت هذه الأخيرة صريحة أو ضمنية ومهما تكن الصعوبات التي تعترض تفسيرها". (بالاندي، ١٩٩٠، ٣٠) ولحل هذه المشكلة يجب وضع معجم للمفاهيم مع دراسة للنظريات السياسية، وتعد الألسنية إحدى الأدوات الضرورية لمخرجات الانثروبولوجيا والسوسيولوجيا السياسيتين.

٥- البنيوية:

تنظر إلى السياسة من جانب العلاقات الشكلية، وتتناول علاقات السلطة القائمة فعليا بين الأفراد والجماعات وإذا كنا نريد اللجوء إلى التفسير الأكثر بساطة فإن البنيات السياسية إجمالا بنية اجتماعية هي النظم المظهرة للمبادئ التي توحد العناصر المكونة للمجتمعات السياسية الملموسة. والبنيوية تستبدل الدراسات التكوينية والوظائفية بأخرى سياسية بنماذج بنيوية. انطلاقا من: (بالاندي، ١٩٩٠، ٣٠)

٦- الدينامية:

هي تكملة للبنىوية. فهو يريد تناول ديناميكية البنى وكذلك نظام العلاقات التي تكونها، أي أخذ التعارضات والتناقضات والتوترات والحركة الملازمة لكل مجتمع بعين الاعتبار، ويفرض هذا المنهج نفسه كأنتروبولوجيا سياسية خصوصاً، وأن الميدان السياسي هو الميدان الذي تلتقط فيه هذه التعارضات والتناقضات والتوترات على نحو أفضل والذي يترك فيه التاريخ بصماته بأوضح ما يكون. (بالاندييه، ١٩٩٠، ٣٣)

٧- مجتمع اللادولة:

إن المجتمعات البدائية هي مجتمعات دون دولة: إن حكم الواقع هذا بحد ذاته صحيح، لكنه في الحقيقة يخفي رأياً ما، إنه يخفي حكماً تقييمياً يجعل من الصعوبة بمكان، إمكانية تكوين أنثروبولوجيا سياسية علماً دقيقاً. إن ما يعلن عنه في الواقع هو أن المجتمعات البدائية ينقصها شيء ما - الدولة - هو بالنسبة إليها، كما بالنسبة لأي مجتمع آخر. هذه المجتمعات إذاً، هي غير تامة التكوين، إنها ليست مجتمعات حقيقية على نحو كامل - إنها ليست مجتمعات البوليس - إنها تستمر من معاناة التجربة المؤلمة لغياب ما - غياب الدولة - وهي تحاول عبثاً تجاوزه. إننا لا نستطيع تصور المجتمع دون الدولة، الدولة هي قدر كل مجتمع. فهناك قناعة راسخة بأن المجتمع هو للدولة.

فيما وراء الصيغ الحديثة، تبقى التطورية القديمة نفسها دون أي تعديل، لكنها من المهارة بحيث استطاعت إخفاء نفسها في لغة الأنثروبولوجيا بدلاً من الفلسفة، وهي بهذا تضع نفسها على مستوى

المقولات التي تدعي العلمية. إن ما يمكن ملاحظته على الدوام، هو ذلك التحديد السلبي للمجتمعات البدائية التي تعاني نقصاً ما : مجتمعات دون دولة، مجتمعات لاتعرف الكتابة، مجتمعات دون تاريخ. هذا التحديد السلبي يظهر أيضاً على الصعيد الاقتصادي : مجتمعات ذات اقتصاد اكتفائي.

إن الثورة الحقيقية ما قبل التاريخ الإنساني هي الثورة السياسية، إنها الظهور الغامض، الحتمي والقاتل بالنسبة للمجتمعات البدائية، ذلك الذي يعرف تحت اسم دولة. وإذا كان من موجب للحفاظ على المفاهيم الماركسية عن "البنى التحتية" و"البنى الفوقية"، لابد من الاعتراف بأن "البنى التحتية" هي "السياسي" و"البنية الفوقية" هي "الاقتصادي". إن انقلاباً بنيوياً سحيقاً ووحيداً يمكن له أن يحول المجتمع البدائي، وهو يدمره: "إن ذلك الذي يستحضر إلى داخل المجتمع البدائي أو من خارجه ما يؤلف غيابه صفة أساسية لهذا المجتمع: علاقة السلطة، السلطة التراتبية، استعباد الإنسان أي الدولة.

إنه من العبث البحث عن هذا الانقلاب البنيوي فيتحول لعلاقات الإنتاج في المجتمع البدائي، تحول يقسم المجتمع شيئاً فشيئاً بين أغنياء وفقراء، مستغلين ومستغلين، ويقود بشكل آلي إلى تأسيس جهاز لممارسة سلطة هؤلاء على أولئك، إلى ظهور الدولة.

يقال: إن الدولة هي الأداة التي تسمح للطبقة المسيطرة ممارسة سيطرتها العنيفة على الطبقات المسيطر عليها. إذاً، لكي تظهر الدولة، يجب أن يسبق هذا الظهور، انقسام المجتمع إلى طبقات اجتماعية

متنافرة، مرتبطاً بعضها ببعض عبر علاقات الاستغلال. إذا، إن بنية المجتمع - الانقسام الطبقي - يجب أن تسبق ولادة الدولة. (كلاستر، ١٨٦، ١٩٩١-٢١٣) إذن الأنثروبولوجيا السياسية شفرة لفهم العلاقات بين الدولة والسلطة والتراكم وبين الأحزاب السياسية والتغيير. وبين الاكتفائية والفائضية وبين الشيخ والمريد.... وبين الشعوب الشرقية والشعوب الغربية، وبين أصل التفاوت البشري. وبين المنهج والظاهرة والقوانين والنظرية.

وبين السياسة والتاريخ. وبين السلطات فيما بينها. وبين الحاكم والمحكوم، بين الديني واللا ديني، بين الحرب والسلام، والاندماجي والانقسام، وبين الاغتراب السياسي والاغتراب الاقتصادي. لذلك ذهب "كلاستر" إلى أن الحرب بنت النذرة في أثناء مقارنتها بالعنف.



مراجع الفصل السادس

- انكلر، اليكس (١٩٧٧) مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرين، دار المعارف، القاهرة.
- بالاندييه، جورج (١٩٩٠) الأنثروبولوجيا السياسية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- بونت، بيار وإيزار، ميشال (٢٠١١) معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصمد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت.
- هيس، بيث وآخرون (١٩٨٩) علم الاجتماع، ترجمة: محمد مصطفى الشعبني، دار المريخ، الرياض.
- كلاستر، بيار (١٩٩١) مجتمع اللا دولة، ط٣، تعريب وتقديم: د. محمد حسين دكروب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- مور، بوتو (١٩٨٧) تمهيد في علم الاجتماع. ترجمة: محمد الجوهري وآخرين، دار المعارف، القاهرة.
- Abdollah, Belhandiche (1994) Islam et laicize, these de doctorate, universities de Paris 4.
- Forte, Maximilian, (2013) With a Special Focus on Democracy, the State, and Movements, Concordia University /<http://politicalanthro.wordpress.com>

- Hann, Peter (2010) Political Anthropology, Math & Science Simplified. Instant Wisdom &

Enlightenment. <http://www.sciences360.com/>

- Balandier, G. (1984) Anthropology politico. Paris, PUF, 4ème Ed.

- Riviere, C. (1999). Introduction 'anthropology. Paris

بعض المصطلحات العلمية المستخدمة في الكتاب

العربي	الانكليزي
علم دراسة الإنسان	Anthropology
الأنثروبولوجيا التطبيقية	Applied Anthropology
علم الأحياء	Biological Science
الأنثروبولوجيا البيولوجية	Biological Anthropology
الحضارة	Civilization
الثقافة	Culture
الأنثروبولوجيا الثقافية	Culture Anthropology
الأنثروبولوجيا الاقتصادية	Economic Anthropology
إثنوغرافيا	Ethnography
اثنولوجيا	Ethnology
القربة	Kinship
نظام القربة	Kinship System
علم اللغويات	Linguistics
ميثولوجيا	Mythology
الأنثروبولوجيا الطبيعية	Physical Anthropology
الأنثروبولوجيا النفسية	Psychological Anthropology
سياسة	Political
الأنثروبولوجيا السياسية	Political Anthropology

Pre-History	ماقبل التاريخ
Primitive societies	المجتمعات البدائية
Science	علم
Social Anthropology	الانثروبولوجيا الاجتماعية
Social role	الدور الاجتماعي
Sociology	علم الاجتماع

مراجع الكتاب

أولاً- المراجع العربية :

- الأخرس، محمد صفوح (٢٠٠١) الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات، وزارة الثقافة السورية.
- الاقتصادية، (٢٠٠٧) الانثروبولوجيا الاقتصادية : ٣ اتجاهات أساسية لتحقيق الأرباح ، العـــــدد ٤٨٤٥ <http://www.aleqt.com/2007>
- أبو زيد، أحمد (١٩٧٨) محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.
- أبو هلال، أحمد (١٨٧٤) مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، الأردن، عمان.
- انكلر، اليكس (١٩٧٧) مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرين، دار المعارف، القاهرة.
- أوجيه، مارك وكولان، جان بول (٢٠٠٨) الانثروبولوجيا، ترجمة: جورجكتورة، دار الكتاب الجديد، بيروت.
- أيوب ، محمد (٢٠٠٤) العناصر الفنية في القصة القصيرة ، الحـــــوار المتمـــــدن ، العـــــدد ١٠٦٠ <http://webcache.googleusercontent.com>
- بالاندييه، جورج (١٩٩٠) الأنثروبولوجيا السياسية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

- بريتشارد، ايفانز (١٩٦٠) الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة د.أحمد أبو زيد، منشأ المعارف، الإسكندرية.
- البعيني، أنجلو (٢٠٠٤) الخلق السومري والخلق التوراتي، رحلة. <http://www.alzakera.eu/>
- البقلي، محمد قنديل (١٩٦٢) صور من أدبنا الشعبي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- بوردن، ريمون وآخرون (٢٠٠٧) المطول في علم الاجتماع، ج٢، ترجمة د. وجيه أسعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
- بونت، بيار وإيزار، ميشال (٢٠١١) معجم الانثولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصمد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت.
- تاترسول، جاي وماترنيس، ه. (٢٠٠٠)، مجلة العلوم، المجلد ١٦، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي <http://www.oloommagazine.com>.
- توينبي، أرنولد (٢٠٠٣) تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زياده، الأهلية للنشر والتوزيع.
- الجبائي، علي (١٩٩٦/١٩٩٧) الأنثروبولوجيا - علم الإنسانية، جامعة دمشق
- الجوهري، محمد وآخرون (٢٠٠٤) الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

- الحاجي، علي (بدون عام)، محاضرات في أنثروبولوجيا التربية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- الحسن، إحسان محمد (٢٠٠٨) علم اجتماع المرأة، دار وائل، عمان.
- الحسن، إحسان محمد (١٩٨٨) المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت.
- الحسن، إحسان محمد (١٩٨٨) موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت.
- حسين، طه (١٩٣٧) تجديد ذكرى أبي العلاء، الطبعة الثالثة، مطبعة دار المعارف، مصر.
- الخشالي، شاكِر (٢٠١٠) ثقافة تربية الأطفال بين الوعي والعلم، دار بصمات، سورية.
- الخشالي، شاكِر (٢٠١٠) نظريات معاصرة في علم الاجتماع، الموقع الإلكتروني للأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمرك.
- الخطيب، محمد (٢٠٠٨) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين للنشر، سورية.
- الخوري، موسى ديب (٢٠٠٤) ارتقاء الكائن الإنساني، الجمعية الكونية السورية.
- دارون، تشارلز (١٩٧٣) أصل الأنواع، ترجمة: إسماعيل مظهر، مكتبة النهضة، بيروت.

- الداهري، صالح حسن أحمد والكبيسي، وهيب مجيد (بدون سنة نشر) علم النفس العام، الطبعة الأولى، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن.
- درنوني، سليم (٢٠١٣) اهتمامات الانثروبولوجي بدراسته النظم الاقتصادية، موقع _____ أنترنوس <http://www.dernounisalim.com>.
- دياب ، عز الدين (٢٠١٣) من أجل مدرسة عربية في الأنثروبولوجيا النقدية، موقع الفكر السياسي - <http://www.reefnet.gov.sy>
- ذهني، محمود (١٩٧٢) الأدب الشعبي العربي - مفهومه ومضمونه، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- رحاب، مختار (٢٠١٠) نموذج مساهمات محمود شكريب الألوسي في مجال الدراسات الأنثروبولوجية قسم: علماء اجتماع، المركز الجامعي، خنثلة.
- رستم، سهيل (٢٠١١) الارتقاء العقلي الآثار الكاملة، الفكر القومي الاجتماعي، جريدة النهضة، رقم العدد : ٥٣٣، الجزء الأول، صفحة ٤٤. سعاده <http://www.alnhdah.com>
- الساعاتي، سامي حسن (١٩٨٣) الثقافة والشخصية، دار النهضة، بيروت.
- السباعي، بدر الدين (١٩٨٥) مشكلة المرأة / الحل التاريخي، دار الجماهير، دمشق.
- سليم، شاكر مصطفى (١٩٧٥) المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مطبعة العاني، بغداد.

- السمّاك، منال (٢٠١٣) علم دراسة المجتمعات العربية.. أين وإلى أين ؟
الأنثروبولوجيا مفهوم يكتنفه الغموض ويغيب عن باحثينا ، مؤسسة
الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سورية
- سمث، شارلوت سيمور (١٩٩٨) موسوعة علم الإنسان، ترجمة
علياء شكري وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،
بدون مكان طبع.
- السواح، فراس (١٩٩٧) الأسطورة والمعنى، ط١، منشورات
دار علاء الدين ،دمشق.
- شعبان، سعاد علي حسن (٢٠٠٤) الأنثروبولوجيا الثقافية
لأفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.
- الشماس، عيسى (٢٠٠٤) مدخل إلى علم الإنسان
(الانثروبولوجيا) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- شيلا ، سمير اسطفيو (٢٠٠٨) الزمان والمكان عند كانط ،
الحوار المتمم — دن، العدد ٢٣٨٦
<http://webcache.googleusercontent.com>
- عبيدي، ابراهيم حاج (٢٠٠٤) الفلكلور والعلوم الإنسانية،
جريدة المدى الثقافي، دمشق. <http://almadapaper.net>
- الغامري، محمد حسن (١٩٨٩) المدخل الثقافي في دراسة
الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- فهيم، حسين (١٩٨٦) قصة الانثروبولوجيا: فصولها في تاريخ علم الإنسان،
سلسلة عالم المعرفة، العدد ٩٨، الكويت.

- قاسم، أمجد (٢٠١١) الثقافة. مفهومها وخصائصها وعناصرها، موقع أفاق علمية
- وتربوية. (<http://webcache.googleusercontent.com/>)
- القمني، سيد (٢٠٠٥) قصة الخلق - منابع التكوين، الناشر Kotobarabia.com
- كون، كارلتون اس. - هنت آلابن، ادوارد أ. (١٩٦٥) السلالات البشرية الحالية، ترجمة د. محمد السيد غلاب، مكتبة الانجلو المصري، القاهرة.
- كلاستر، بيار (١٩٩١) مجتمع الدولة، ط ٣، تعريب وتقديم: د. محمد حسين دكروب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- لومبار، جاك ١٩٩٧ مدخل إلى الإثنولوجيا. ط ١، ترجمة: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- لينتون، رالف (١٩٦٧) الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة المصرية، بيروت.
- لينتون، رالف (١٩٦٤) دراسة الإنسان، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة المصرية، بيروت.
- مجموعة من الكتاب (١٩٩٧) نظرية الثقافة، ترجمة: عليالصاوي، عالم المعرفة (٢٢٣) الكويت.
- مدبولي، جلال (١٩٧٩) الاجتماع الثقافي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة .

- مسلم، عدنان أحمد (١٩٩٣) علم دراسة الإنسان "الانثروبولوجيا" منشورات جامعة دمشق.
- مقدسي، فايز (٢٠١٠) مناهج التعليم السومرية - البابلية منذ الألف الثالث ق.م (مقال)، مجلة المعرفة، العدد ٥٥٨، وزارة الثقافة السورية.
- مصطفى، زاهيد (٢٠١٣) مدخل إلى الفكر الأنثروبولوجي ، منتدى المأثورات الثقافية. <http://www.startimes.com/>
- المكاوي، علي (١٩٩٠) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة.
- مور، بوتو (١٩٨٧) تمهيد في علم الاجتماع ترجمة : محمد الجوهري وآخرين، دار المعارف، القاهرة.
- موسى، سلامة (١٩٧٥) نظرية التطور وأصل الإنسان، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة.
- مير، لويس (١٩٨٣) مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة: شاكراً مصطفى سليم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
- ناصر، إبراهيم (١٩٨٥) الأنثروبولوجيا الثقافية - علم الإنسان الثقافي، عمان، الأردن.
- نسيت، روبرت وبيزان، دوبرت (١٩٩٠) علم الاجتماع، ترجمة جرسى خوري، دار النضال، بيروت.
- هرسكوفيتز، ميلفيل. ج (١٩٧٤) أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة : رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق.

- هيس ، بيثو وآخرون (١٩٨٩) علم الاجتماع ، ترجمة :محمد مصطفى الشعبني ، دار المريخ ، الرياض.
- وصفي، عاطف (١٩٧١) الانتروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية،بيروت.
- وصفي،عاطف (بدون تاريخ) الانتروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت.
- وطفة، علي أسعد (٢٠١٠) التراث الشعبي والهوية، (مقال) مجلة المعرفة الصادر عن وزارة الثقافة السورية، العدد ٥٥٩، دمشق.

ثانياً-المراجع الأجنبية

- abdollah, Belhandiche (1994) Islam et laicize, these de doctorate, universities de Paris 4.
- Balandier, G. (1984) Anthropology politico. – Paris, PUF, 4ème Ed.
- Benedict, ruth (1966) patterns of culture, London
- Bock, Philip K., ed. (1988) Handbook of Psychological Anthropology. London: Greenwood Pre

- Boorstin, Daniel .J (1985) The Discoveries a History of Man's Search to know his World and Himself.Vintage Books edition.
- Darnell, Regna and editor (1978) Reading in the History of Anthropology, University of Illinois.
- Forte, Maximilian, (2013) With a Special Focus on Democracy, the State, and Movements, Concordia University <http://politicalanthro.wordpress.com>
- Hann, Peter (2010)Political Anthropology, Maths& Science Simplified. Instant Wisdom & Enlightenment.<http://www.sciences360.com/>
- Kardiner, abram(1939) the individual and his society, new york
- Keesing, Roger (1981) Cultural Anthropology. Holt, Rinehart and Winston, New York.
- Kristin Alten (1998) Psychological Anthropology,, SUBDISCIPLINES: Psychological Anthropology.
- Linton, ralph, (1945) the cultural back ground of personality, new York-
- Linton, ralph,(1936) the study of man, new York

- Mead, Margaret (1973) Changing Styles of Anthropological Work. Annual Review of Anthropology, Palo Alto
- Morin, Edgar (1969) DE LA CULTURE Analyze, ALAPOLITIQUE CULTURELLE, COMMUNICATION, no: 14, Paris.
- Oswalt, Wendell (1972) Other People, Other Customs, Holt Rinehart and Winston Inc.
- Person, Roger (1974) Introduction to Anthropology,. Holt, Rinehart and Winston, New York
- Riviere, C. (1999). Introduction 'anthropology. - Paris.
- Sapir, Edward (1967) Anthropologies, Minuit, Col, Points, Paris.

(ملحق)

لمحة عن أسماء أعلام الأنثروبولوجيا الواردة في الكتاب

١- إدوارد بيرنت تايلور (١٨٣٢ - ١٩١٧ م):

هو أنثروبولوجي إنكليزي، ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجية وتطور الاهتمام بذلك العلم. كان أستاذاً للأنثروبولوجية بجامعة أكسفورد (١٨٩٦ - ١٩٠٩). أهم كتبه " الثقافة البدائية " (١٨٧١) و " الأنثروبولوجية " (١٨٨١). واشتهر بتعريفه للثقافة، وقد ابتدع "الأرواحية"، واهتم بوقائع الزواج والنسب.

٢- إميل دوركايم (١٨٥٨ - ١٩١٧):

فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. يعتبر أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره <في تقسيم العمل الاجتماعي> (عام ١٨٩٣)، و<قواعد المنهج السوسيولوجي> (عام ١٨٩٥).

٣- ألفريد ريجينالد:

ولد ألفريد ريجينالد راد كيف براون في ١٧ جانفي من عام ١٨٨١ في برمينجهام بإنجلترا تخرج من جامعة كمبرج، وشغل منصب البروفيسور في جامعات كاب، سيدني، شيكاغو قبل أن يصبح الأستاذ الأول للأنثروبولوجيا بجامعة أكسفورد، خصص براون جل أعماله لدراسة الشعوب غير الصناعية. والسكان الاصليين

لأستراليا بالخصوص، من أهم مؤلفات براون: النظام الاجتماعي للقبائل
الاسترالية - التوارث الأبوي والأموي. توفي راد كليف براون ١٩٥٥.

٤- ليتش، إدموند رونالد :

انثروبولوجي بريطاني، ولد عام ١٩١٠ في سيدموث -انكلترا، عرف من خلال
أبحاثه الانتوغرافية في بورما وسيرلانكا. درس الانثروبولوجيا في كلية الاقتصاد
في لندن، استخرج مادة كتابه الأول "التنظيم الاجتماعي والاقتصادي للرواندوز
الأكراد " ١٩٤٠ من إقامة قصيرة في كردستان، ويعارض ليتش كل أشكال
التعصب والتصلب الفكرية.

٥- كلود ليفي ستروس (١٩٠٨ - ٢٠٠٩):

عالم اجتماع فرنسي. بدأ ليفي ستروس تكوينه بدراسة الفلسفة غير أن هذه
النظريات المجردة الاعتبارية البعيدة عن الواقع الاجتماعي ما لبثت أن خيبت
آماله، فسافر إلى البرازيل حيث درس علم الاجتماع واكتشف أعمال علماء
الإنسان الأميركيين (غير المعروفة في أوروبا آنذاك) مثل بواسوكروبولوي.
وبعد عودته إلى فرنسا سنة ١٩٤٨ قدّم أطروحته المتعلقة بالمشاكل النظرية
للقرابة.

انتخب أستاذًا في كوليج دو فرانس سنة ١٩٥٩ وشغل كرسي الأنثروبولوجيا
الاجتماعية الذي كان ل مارسيل موس من قبله. فكان لأعمال ليفي ستروس
وتعليمه أثر بالغ في مجال علم الإنسان والتحقيق الإثنولوجي الميداني.

٦- رالف لنتون :

ولد في (فيلادلفيا ٢٧ فبراير ١٨٩٣ - نيو هيفن، كونيتيكت ٢٤ ديسمبر ١٩٥٣) كان مواطن أمريكي قدير وعالم في مجال الأنثروبولوجيا في منتصف القرن العشرين، عرف رالف خصيصاً لكتاباته (The Study of Man (1936) و (The Tree of Culture (1955). من المساهمات الكبيرة التي ساهم بها رالف في علم الأنثروبولوجيا كان تعريف التميز بين الحالة والدور.

استغل رالف علاقاته في جامعة هارفارد لضمان منصب عمل في المتحف الميداني للتاريخ الطبيعي بשיكاغو. وفي أثناء دراسته للدكتوراه في جامعة هارفارد، قام بأبحاث في آثار بولينيزيا. وفي الفترة بين عامي ١٩٢٥م و١٩٢٧م عاش في مدغشقر ودرس ثقافة المنطقة، ثم التحق فيما بعد بهيئة التدريس بجامعة وسكنسن وجامعتي كولومبيا وييل. تشمل كتب لينتون دراسة الإنسان (١٩٣٦م)؛ الخلفية الثقافية للشخصية (١٩٤٥م).

٧- مالينو فسكي، بريسلاف :

كان عالماً بولندياً مختصاً في علم الإنسان ويعد من أهم علماء الإنسان في القرن العشرين، وهو من أهم الرواد في علم الإنسان التطبيقي. وفي العام ١٩٢٢ حصل مالينوفسكي على درجة الدكتوراه في علم الأنثروبولوجيا وأصبح أستاذاً في كلية لندن للاقتصاد. وفي العام نفسه أصدر كتابه الذي ألفه تحت عنوان (Argonauts of the Western Pacific)، والذي احتل مكانة عالمية مرموقة وأصبح مالينوفسكي على أثره من أهم وأشهر علماء الإنسان في العالم، وبفضله

أصبحت كلية لندن للاقتصاد خلال سنتين من أهم مراكز تدريس علم الإنسان في بريطانيا.

وقد حاضر مالفينوفسكي لفترات متقطعة في الولايات المتحدة وعندما بدأت [الحرب العالمية الثانية] كان هنالك فاضطر المكوث فيها وأصبح يدرس في جامعة ياييل والتي بقي فيها حتى وافته المنية. وقد أسس مالفينوفسكي الجمعية البولندية للأدب والعلوم في أمريكا.

٨- لويس مورغان :

محام وأنثروبولوجي أمريكي ومن رواد المدرسة التطورية اهتم في بداية حياته بدراسة هنود الايروكيز وغيرهم من سكان الشمال الشرقي الأمريكي الأصليين. حاول مورغان إعادة تركيب صورة المجتمعات الإنسانية وتصنيفها بغية التعرف على تاريخ المجتمع الأوروبي والمراحل التي مرّ بها وصولاً إلى ما هو عليه في عصره. وقد تأثر مورغان بكتاب باخوفن "حق الأم" وبأبحاث لافيتو. نشر مورغان في عام ١٨٥١ بحثاً بعنوان "عصبة الايروكيز" أبرز فيه النظام الأمومي السائد وسط الايروكيز.

وكان اهتمام مورغان بنظم القرابة والنظم الاجتماعية والسياسية كبيراً مما دفعه للقيام برحلات واسعة بين الأمريند، وراسل المبشرين العاملين في جهات مختلفة من العالم مستفسراً عن أنظمة القرابة والتنظيمات الاجتماعية لدى الشعوب التي يبشرون بينها. كما أطلع على كتاب هنري مين "القانون القديم" الذي نشر في عام ١٨٦١. نتيجة تلك الأبحاث والقراءات أصدر مورغان مؤلفة عن "أنظمة

القراءة والمصاهرة في العائلة البشرية" في عام ١٨٧١ وألحقه في عام ١٨٧٧
بمؤلفه "المجتمع القديم".

٩-مارغريت ميد:

تعد مارغريت ميد واحدة من أكثر علماء الأنثروبولوجيا الثقافية شهرة في
الولايات المتحدة الأمريكية لما لها من تأثير امتد إلى أوروبا وبلدان أخرى.

ولدت مارغريت ميد في السادس عشر من شهر كانون الأول عام ١٩٠١م في
فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد تخرجها من
المرحلة الثانوية التحقت بالجامعة واختارت علم النفس حتى بداية السنة الثانية
عندما التقت بالمرأة التي وجهتها إلى علم الإنسان وفي السنة الثانية سجلت في
مادة علم الإنسان (الانثروبولوجيا) التي كان يدرسها الأستاذ "فرانز بواز" مع
الأستاذة المساعدة رث بندكت، وكان يعد من أبرز علماء الإنسان في الولايات
المتحدة الأمريكية.

أولت ميد اهتماما خاصا لموضوع الثقافة والشخصية ومن أهم النتائج التي
توصلت إليها في بحوثها ودراساتها الميدانية أن أنماط الشخصية تتحدد بالعوامل
الثقافية لا عن طريق العوامل البيولوجية.

١٠-هوسكو فيتز، ملفيل جان :

ولد الانثروبولوجي الأميركي ملفيل جان هرسكوفيتز عام ١٨٩٥، درس
الانثروبولوجيا في جامعة كولومبيا، هو رائد في ميدان تحديد الحيزات الثقافية
الإفريقية ومؤلف لكتاب عن الحضارات الرعوية في إفريقيا الشرقية.

اللجنة العلمية :

أ.د. علي منصور

أ.د. عيسى الشماس

أ.د. جلال السناد

المدقق اللغوي :

أ.د. عبد الكريم حسين

حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة لمديرية الكتب والمطبوعات